





دكتور محمود أفندي

# والله كافي

( الطبعة الأولى )

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

الغلاف من تصميم الفنان

---

حسن أحمد خليل

# الإهداء

الى أساتذتى الاجلاء  
وزملائى الأعزاء  
من العاملين  
فى بلاط صاحبة الجلالة

د • محمود ادهم



## تقديم

جذبتني إليها بشدة ، تلك العلاقة بين رجال القمة السياسية ، وسيداتنا أيضا من ملوك وملكات وأباطرة ورؤساء جمهوريات وحكام .. وبين رجال القمة الصحفية .. أو بين هؤلاء من جانب ، وبين صحافة بلادهم من جانب آخر .. ذلك لأنها تتصل عن قرب بالتاريخ العام لدولهم ، وبحياة هؤلاء ، وأفكارهم ، ومواقفهم .. كما تتصل عن قرب أيضا بتاريخ الصحافة العالمية والعربية ، وبقوانين الاعلام في بلد وآخر ، وبالفتون الصحفية نفسها في نهاية الأمر .. وجميعها ذات أهمية بالغة تنطلق من تلك الأهمية المعقودة على الصحافة نفسها .. تلك التي تكون مرآة للشعوب ، تماما كما يصح أن تصبح مقياسا لتقدمها ، ووعيها ، ذلك لأن من الثابت أيضا أن لكل شعب صحافته التي يستحقها .

ومن هنا ، فقد رأيت أن أكتب عن بعض من صور هذه العلاقة نفسها ، وبكل أبعادها ، وتفصيلاتها ، وبوجهيها أيضا ، وحتى تلك الصور التي غلبت عليها الطرافة بما يؤكد أنها لم تكن علاقة صدام ومعارك ، أو سلطة وتقييد فقط ، بل كانت كذلك وفي أحوال عديدة علاقة حب .

وود ، وتفاهم مشترك ، ودور تؤديه الصحافة ويؤديه الصحفيون خدمة لأوطانهم ، ومجتمعاتهم ، تأييدا ، وتعصيذا للدور السياسى أو العسكرى الذى تقوم به القيادة السياسية .. وبصرف النظر عن النزعات المتطرفة ، سياسية كانت ، أم صحفية .

على أنه قد يشور بشأن مادة هذا الكتاب وسبب اختيار هؤلاء الأشخاص دون غيرهم ، وتلك اللقطات أو الصور نفسها أكثر من سؤال .. أقول بشأنها أننى لم أهدف الى أكثر من بيان بعض صور هذه العلاقة ، وطبيعتها ، وأما عن هؤلاء فقد وجدت أنه قد تجمع لدى عنهم وعن صحافة عهدهم ومواقفهم منها الشئ الذى يمكن أن أبتند اليه فى كتابة هذه المجموعة المتنوعة من المقالات التى تركز الى الحقائق العلمية وحقائق التاريخ وحدها ، وما أمكنتنى الحصول عليه منها .. دون أن يغيب عن بالى الكتابة عن آخرين أجمع الآن شتات المعلومات والحقائق عنهم وعن صحافتهم .. ومن بينهم :

« أوليفر كرومويل - لويس السادس عشر - فيكتوريا - جورج واشنطن - محمد على - رودلف الثانى - بسمارك - فرانكو - ماكينلى - هارى ترومان - ماوتسى تونج - نهرو - نلسون روكفلر - خروشوف - جمال عبد الناصر - أحمد سوكارنو - محمد الخامس » ... وغيرهم ..

كذلك فأننى لم أقصد أن أحيط بتاريخ جميع هؤلاء الرجال ، ولا كان باستطاعتى ذلك .. وإنما قصدت الى وجهات نظرهم بشأن مرآة شعوبهم ، ودورها ، ومواقفهم منها . دون أن يمنع ذلك - بالطبع - من ذكر شئ عن حياتهم كمدخل الى الحديث عن مواقع الصحافة من اهتمامهم ..

وأما عن بعض الأسماء الأخرى من الأحياء الذين كانت لهم مواقف



مشهودة من الصحافة ، أو هؤلاء الذين تأثر حكمهم بالفضائح التى  
أثارتها صحف بلادهم .. وحتى السقوط أو الاستقالة .. أقول ان الكتاب  
لا يقدم رجال الحكم الأحياء ، كما أنه لم يكتب بهدف تسقط الأخطاء  
أو متابعة الفضائح أو الكشف عن المثالب فى عهد زعيم أو رئيس  
أو ملك ، ومن ثم فإن مقياس الفضائح المثارة ، أو التى أثرت ، ليس  
هو المقياس المتبع بالنسبة لهذا الكتاب ، ولا بالنسبة للكتاب الذى  
سوف يليه باذن الله .. دون أن يمنع ذلك كله من الإشارة الى بعض  
المثالب ، أو الطرائف ، أو الغرائب .. لأن الشئ بالشئ يذكر ،  
والحكام بشر ..

والله أسأل أن تتحقق به الفائدة المرجوة .

محمود أدهم

القاهرة - أغسطس ١٩٨٠

100  
100

يوليوس قيصر

صحيفة كاملة

من ٢٠٠٠ سنة !

يوليوس قيصر :

صحيفة كاملة  
من  
٢٠٠٠ سنة

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : هل تحدثني هذه المرة عن  
احدى الصحف القديمة قدم الدهر ؟ وعن الرجل الذى أصدرها ،  
والغاية من اصدارها ؟

أجاب الشيخ : أما الصحف القديمة قدم الدهر فهي كثيرة ، وتجل  
عن الحصر ، وكل أمة من الأمم تعتقد أن لها فضل السبق فى هذا  
المجال ، خاصة مصر والصين والعراق والشام وفارس وجزيرة العرب  
فلندع هؤلاء جميعا ، ولنول وجهنا شطر الغرب ، لنعبر البحر أيضا ،  
ولنقرأ قصة هذه الصحيفة ، وحكاية هذا الرجل ..

الزمان : المائة سنة الأخيرة قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام .  
والمكان : روما ... سيدة العالم فى ذلك الوقت ، وعدد من مدن  
الدونة الرومانية الشامخة .

والحدث : صور عديدة من صور صراع قادة الامبراطورية ، بعد  
أن قفز هذا الصراع نفسه من ميدان السياسة ، الى ساحات المعارك  
الدموية ، أما أطرافه فهم أمراء جيوش طالما انتصرت .. لوكولوس وبومبي  
الأكبر وكراسوس ويوليوس قيصر وسبارتاكوس .. أما الأخير - قائد  
ثورة العبيد الكبرى فقد هزم على يد الأول الذى واصل تقدمه ليقضم

ما يستطيع أن يقضيه من التفاحة الرومانية المتنازع عليها .. فكان له ما أراد وأكثر ، حيث فتح آسيا الصغرى وتوغل حتى أرمينية ثم تقاعد مكتفياً بما حققه من ثراء عريض .. وأما ثالثهم - كراسوس - فقد رأى أن يغزو بلاد فارس .. ثم هزمه البارثيون وقتلوه شر قتله .

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : وماذا عن الآخرين بومبي ويوليوس قيصر ؟

أجاب الشيخ : فرغت الساحة من غيرهما .. وبدأت المناوشات فوراً .. واستمرت وقتاً طويلاً ، بل وانتقلت الى أكثر من مكان من أرجاء الامبراطورية الشاسعة .. وأخيراً هزم قيصر بومبي ، الذى قتل بمصر التابعة لدولتهما .. فأصبح الرجل بذلك - يوليوس قيصر - البطل الوحيد في الساحة ، بعد أن اختفى الجميع .. أو بتعبير آخر أصبح وحده سيداً على العالم الرومانى ..

ذلك أنه بعد أن قضى على منافسه الوحيد ، نودى به « ديكاتوراً » لمدة عشر سنوات .. ثم مدى الحياة .. وهى الفترة التى قصدنا إليها من حديثنا هذا كله .

قال ، الشيخ المؤرخ : ذلك أن الرجل ما كاد يستتب له الأمر ، بعد أن أكلت الحرب أصحابه ، حتى بدأ يلتفت الأنظار اليه ، ليس بالسيف وحده ، وإنما بالعقل والمنطق .. وقد دفعناه الى أن يكون رجل اعلام من الرار الأول .. بالاضافة الى أنه كان بطلاً حروبياً مرموقاً ، وقائداً خبيراً .. وسياسياً داهية ..

أما اعلامه فظهر على أكثر من صورة ، كانت بعضها تمثل مقدمات عديدة لمكونات شخصيته الاعلامية عامة ، الصحفية خاصة ، حتى وان لم تظهر الموهبة الثانية الا متأخراً ، ولكنها على كل حال جاءت فى مرحلة من النضج السياسى والاعلامى .. معا ..

وقد تمثلت هذه المقدمات الاعلامية ، أو تلك التي تقف لتدل على جانب الاعلام في شخصه في أكثر من صورة ، وبأكثر من أسلوب ، كان من بينها على سبيل المثال لا الحصر أنه كان يركز الاعلام عن أفكاره ومبادئه في المواقع الحساسة ، كالمعابد والأسواق وحلبات السباق والمصارعة ، وأثناء عروض المسرح الرومانى .. منتهزا فرصة هذه الجماهير المحتشدة التي نجح في تجنيدها - الى حين - لصالحه ، وغرس بين عقولها أفكاره ، كما نجح كذلك في أن يدخل بهذا الجانب الدعائى الضخم الى قاعة مجلس الشيوخ الرومانى نفسه - السيناتور - منتهزا فرصة الانتصارات العديدة التي أحرزها .. مستغلا لها كل الاستغلال ، بل انه نجح كذلك في ادخال الرهبة الى قلوب هؤلاء وهؤلاء .. في ساحات المصارعة والتحدى، وجنوده يتقاذفون بحجج أعدائه بأيديهم وبأرجلهم أيضا ، مما يصح اعتباره أساسا لعبة كرة القدم ، وان كان أساسا دمويا .. ومصارعوه ينتصرون على غيرهم بعد أن نجح في استمالة عدد من العبيد المصارعين اليه .. وكذا في ساحة مجلس الشيوخ عن طريق الترغيب والتهديد معا ..

كذلك يعزى الى هذا الرجل ، أنه ابتكر نوعا جديدا من الخطب التي لم تكن معروفة من قبله ، ذلك أن الخطباء كانوا يتجهون بخطاباتهم الى الموعظة والحكمة ، واعطاء المثل ، والقصص الهادفة التي يأخذ منها المستمع بعض العبر .. وهكذا كانت الخطابة اليونانية .. ولكن الرجل أدخل عنصر رواية أخبار المعارك التي يخوضها جنوده ، ضمن خطبه ، فجاءت بذلك خطابة « اعلامية » أو خطابة « اخبارية » لأنها كانت تروى بطولات هؤلاء ، ومواقع انتصاراتهم ..

وأما عن نهضة الخطابات الاخبارية التي كان يتبادلها كبار القادة وأثرياء روما ، فقد بلغت في عهده ما لم تبلغه في عهد غيره من القادة ، أو الإباطرة .. وكتبت في كل شيء وكان لكتابها من سعة الموضوعات وشمولها وتنوع الأغراض ما جعلها تتفوق عددا ونوعا ...

وجميع هذه الصور والمشاهد تقف في جانب الرجل ، والقائد ،  
والسياسى والاعلامى ولكنها - جميعها أيضا - تعتبر مقدمات أو  
ارهاصات للعمل الصحفى الكبير الذى تم في عهده .. والذى جعل منه ،  
وبشهادة أكثر المراجع التى تناولت تاريخ الصحافة العالمية .. من أوائل  
هؤلاء الذين وضعوا أيديهم على ذلك الدور الكبير الذى يمكن أن تؤديه  
الصحافة ..

وصحيح أن معرفة روما بالخطابات الاخبارية كانت تعود الى ما قبل  
عهده بمئات السنين .. وأن دولتها الكبرى ، أو امبراطوريتها قد عرفت  
وكما يقول د . ابراهيم امام ، الصورة الأولى لاذاعة الأنباء منسوخة باليد  
في أوروبا ، مثلة في تلك النشرات الحكومية التى يكتبها النساخون  
ونوضع في الميادين الهامة (١) .. كل ذلك صحيح ولكن ما أحدثه الرجل  
يجعل له مكانا بارزا ، استحقه عن جدارة ، في تاريخ الاعلام .. وذلك  
عندما رأى بحصافته أن يقوم بتحويل مثل هذه النشرات الى صحيفة  
كاملة صدرت منذ ٢٠٠٠ سنة ، وعلى وجه التحديد خلال شهر يناير عام  
٥٩٠ ق م . وأطلق عليها اسم « الوقائع أو الأحداث اليومية » (٢)  
وهو الاسم الذى أصبح يحفظه عن ظهر قلب جميع طلاب الصحافة وهواتها  
في العالم كله .. ويتحدثون عنها وعن صاحبها حديثا محببا الى قلوبهم  
حيث تمثل هذه « الجذور » الصحفية ، الضاربة في أعماق التربة  
البشرية .. كذلك ولعنايتها باعلام الشعب الرومانى واخباره فقد أطلق  
عليها المؤرخون اسم « أحداث الشعب أو الأحداث الشعبية » (٣) .

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : انها لقصة عجيبة حقا .. فهذه  
تحدثنى بالمزيد عن هذه الصحيفة « الجدة » ..

قال الشيخ : في بداية صدورها لم تكن تختلف كثيرا عن هذه الأوراق  
الاخبارية الأولى التى كانت روما مركزا لصناعتها وتجارتها وتبادلها .  
وباستثناء الانتظام في الصدور وتناولها للأحداث يوما بيوم - كما يؤخذ

ذلك من اسمها - فانها لم تكن تختلف كثيرا عن النشرات الحكومية التي كانت سائدة في هذا العهد ، بمعرفة الناسخين والتجار ، أو بمعنى أكثر دقة كانت الأحداث اليومية أو الشعبية تطوira لهذين الوسيلتين .. ولكن ذلك لم يكن يشفى غليل الرجل - يوليوس قيصر - أو يتناسب مع حجم طموحاته ، وما يريد لنفسه ولأبرز أدوات الدعاية له ولعهده ، ولصورة مجتمع روما بمن فيه ، وما فيه .. كما أراد لها .. ومن هنا ، فقد بدأ يدخل اصلاحاته « التحريرية » و « الادارية » عليها .. فزاد من عدد ناسخها واختار لها بنفسه المواقع الهامة كالميادين ومفتري الطرق والأسواق والشوارع المؤدية الى الملاعب الرومانية القديمة ، وجدران المسارح وبيوت القادة والأثرياء وكبار التجار .. حيث كانوا يلصقونها على جدرانها ، كما كانت تقدم الى من يطلبها من الرجال والنساء على حد سواء .. حيث يحكى بعض مؤرخى هذه الفترة ، أن البيوت الرومانية كانت تزدان بها .. وأن سيدات المجتمع الروماني كن يقدمنها الى ضيوفهن كدليل على حب المعرفة والمعاصرة فى آن واحد ..

ذلك كله من حيث الطفرة التي حدثت فى توزيع الصحيفة ، والتي استندت الى قاعدة تحريرية كبيرة ، تمثل ثورة فى مضمونها الاخبارى ، تحققت من ورائها الفائدة التي كان يريد لها مصدرها ، وربما أكثر منها .. وعلى وجه الخصوص من نشرها لوقائع جلسات مجلس الشيوخ الروماني ، الذي كان يقرر مصائر القضايا الشعبية والسياسية والعسكرية الهامة .. فساهمت بذلك فى اطلاع الشعب عليها .. ودخلت مجاوزات ومناقشات وجدل الأعضاء الى البيوت. ثم بدت هذه الثورة التحريرية كذلك فى التنوع الكبير الذى أدخل على مادتها الاخبارية ، حيث مارست مهمتها الجديدة فى نشر الأخبار والأحكام القضائية والقوانين الجديدة ، وأخبار حملات الرجل العسكرية شرقا وغربا .. وإذا بها تنتقل من ذلك الى نشر أخبار المجتمع العادية من مواليد ووفيات وزيجات جديدة ، وحتى ما يقول



به علماء الفلك والمنجمون الأوائل ، مما يعتبر أساسا للنشرة الجوية ، كما أبدت اهتماما بالأخبار المثيرة كتلك التي تتناول الجرائم وفصائح العائلات . وقصص الغرائب والظواهر الشاذة ...

ويقال أن يوليوس قيصر قد حول من بعض أعمدتها مادة توجيهية كبرى لتحقيق أكثر من هدف من بينها بل في مقدمتها مواجهة أتباع القادة الآخرين الذين سقطوا في الطريق ، بينما تابع هو مهيمته إلى الحكم ولتهدة بعض مشاعر الثورة التي كانت تتجدد من حين لآخر بين العبيد من جانب ، والقوى المعارضة له في مجلس الشيوخ نفسه .. تلك التي كانت ترى أنه ما وصل إلى الحكم إلا فوق مئات وألوف الجثث الرومانية ، وفي مقدمتها جثة غريمه « بومبي » الذي كان بعض أتباعه من ذوى الأصوات المرتفعة في مجلس الشيوخ ..

ويقال أيضا - وكدليل قوى على اهتمام الرجل بها - أنه كان لهذه الصحيفة بعض المراسلين في المدن الرومانية ، من هؤلاء الذين كانوا يوافقونها بالأبناء أولا بأول ..

قال الشيخ المؤرخ : وكم كانت تلك تجربة فريدة ، وتدل على عقلية اعلامية وتنظيمية كبيرة لا شك أن الرجل قد اكتسبها خلال معاركه العديدة ، وفي ساحات القتال نفسها ..

على أن الرجل بعد أن واصل زحفه إلى مصر ، حيث وقع في غرام « كليوباترة » ملكتها وآخر البطالة عاد إلى روما حاملا معه تلك الأفكار العديدة التي ركبت رأسه على ضفاف النيل ، وعلى شاطئ الاسكندرية ، خاصة وهو يتنزه مع الملكة في المكان الذي ما يزال يعرف باسمه حتى اليوم - كامب سيزار - أو معسكر قيصر .. كما حمل معه أيضا وكما يقول ه . ج ديلز في كتابه « موجز تاريخ العالم » فكرة الملك المؤله

وهي فكرة مصرية أصلاً<sup>(٤)</sup> .. وفي روما .. أثار عبثه ومجونه بوادي النيل ، وأثارت هذه الفكرة نفسها ، ونسيانه لبلده ، ثائرة الثائرين عليه ، خاصة هذه البقايا المعارضة من أتباع بومبي الذين نجحوا في استمالة عدد آخر من أعضاء مجلس الشيوخ اليهم .. كان من بينهم صديقه الحميم وتلميذه وابن زوجته « بروتس » وانهى الأمر بأن اجتمع هؤلاء عليه ، وطعنوه في ساحة المجلس بالخناجر ، فوقع صريعا تحت أقدام تمثال منافسه المتسرع « بومبي » ..

وبينما كان الرجل يلفظ آخر أنفاسه ، ويحاول أن يتمالك نفسه ، لينظر بعينه الى قاتليه .. فيجد وسطهم صديقه ، وخليله ، فتكون آخر كلماته تلك الكلمات المعاتبة المريعة ، التي جرت مجرى الأمثال : « حتى أنت يا بروتس » .

كان الناسخون يستعدون لاصدار عدد جديد من الصحيفة التي أنشأها ، ومئات الأعداد من الخطابات والنشرات الاخبارية ، التي تحمل الى أرجاء الامبراطورية خبر نهاية الرجل .. القائد .. الصحفي العاشق أيضا .. يوليوس قيصر .. لتبحث روما عن سيد جديد لها ..

فجح هو الآخر في استغلال هذه الصحيفة الى أقصى حد .. ولكن تلك كانت قصة أخرى .

(١) ابراهيم امام : « تطور الصحافة الانجليزية » ص : ٥

Acta Diurna (٢)

Acta Populi (٣)

(٤) هـ . ج . ويلز - ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد : « موجز تاريخ

العالم » ص : ١٥٢ - ١٥٣

هنرى الثامن

---

اضرموا النار

فورا .. فى

هذه الأوراق

الخطرة .. !

---

## هنرى الثامن :

### اضرموا النار فوراً فى هذه الأوراق الخطرة

كان الأصدقاء من أثرياء الانجليز وتجارهم قد وقعوا فى غرام « فابى » أو هكذا كانوا يسمون الرجل ..

ولم يعدم « ا . ب . فايان » وجود عدد من المعجبين به ، وبعمله ، وبضاعته حتى بين صفوف رجال البلاط الملكى والأمراء وكبار القادة ..

أما الذين كانوا يعملون تحت امرته من « مراكية » وجامعى أخبار وعبيد فقد كان هؤلاء من أشد الناس إعجاباً به .. ولم لا ؟ ، وهو يعاملهم جميعهم — على قدم المساواة ولم يحدث أن ألقى على أحدهم بكلمة جارحة .. ممن يعمل عنده من العبيد من هم أقل عدداً ..

ولذلك فعندما عاد الرجل من جولته اليومية مبكراً .. ولاحظ رجاله تجهم وجهه .. وأن حمرة غير عادية تملو هذا الوجه الهادىء .. أسقط فى أيديهم جميعاً ، ونظر كل واحد منهم الى صاحبه وقد ارتسمت فوق وجهه علامة استفهام كبيرة .. بينما ألقى الرجل بقبعته على كرسى عتيق ، ومال برأسه على طرف مكتبته وذهب بعيداً ..

أسرع رئيس العبيد « أماندو » يستدعى الشاب « جاكى » فقد كان هو الوحيد الذى يستطيع أن يأتى بالخبر اليقين ، وأن يسرى عن فابى ويهون عليه أيضاً ..

وجاء « جاكى » ونظر اليه « فابى » كمن كان يتوقع مقدمه أو يريد ذلك ، ثم قال له : اغلق باب المكتب واجلس هنا الى جوارى .. فلبى جاكى

أمر صديقه الكبير ووالده الروحي فوراً ثم انطلق قابى محدثاً تلميذه وصديقه .

— اسمع يا جاك .. لقد فعلها الرجل

— من هو ؟ .. وماذا فعل ؟

— ومن الذى يستطيع أن يفعلها غيره ؟ .. لقد نفذ تهديده السابق، الذى سبق أن هدد به خلال الشهر الماضى ، ومر الشهر على خير ، ولكنى أبلغت شخصياً وأبلغ غيرى كذلك ، بأن علينا جميعاً أن نجمع أوراقنا ونذهب بها الى ضابط الشرطة .. والا فان الحرس الملكى بنفسه سيقوم بجمعها واحراقها .. ثم يكون السجن مصيرنا .

نظر جاك الى الرجل .. وقال له .. ألم أقل لك ذلك ؟ ألم أحاول لفت نظرك الى أن الملك « هنرى » ينفذ تهديداته دائماً .. ؟ ولكنك كنت تقول لى أن أصدقاءك من رجال البلاط سوف يقفون الى جوارك ، وأن الأمراء سوف ينتصرون لك ..

ويرد فايان : حدث ذلك فعلاً .. لقد وعدونى بالوقوف الى جوارى أكثر من مرة .. بل ان أحدهم طمأننى ، وقال لى أنه لا داعى للحصول على إذن من الملك شخصياً مادامت هذه الأوراق التى تبيعها لا تكتب الا ما يريده الملك ، وما يريده الأمراء ، والأميرات وكبار القادة .. فلماذا سكتوا جميعاً ؟

— جاك : اسمع يا عزيزى .. انه لا يستطيع أن يبقى عليك وحدك .. واذا فعل ذلك ، فماذا يقول الآخرون عنه ؟ ..

— فايان : ألا يذكر لى وقفاتى الطويلة معه ، فى معارضة العديد من أعدائه ؟ .. ألا يذكر لى أن رسائلى كانت تأتى من ميادين المعارك ، حاملة أخبار انتصاراته العظيمة فى اسكتلندا حتى أننى كنت أجهد عبيدى أكثر من مرة فى نسخ المئات منها ؟ .. ألا يذكر لى أنه هو شخصياً قد استدعانى

وطلب منى إعادة نسخ بعض هذه الأوراق ؟ .. لقد ربت هنرى يومها على كتفى .. وقال لى : أيها الصديق .. لقد دعانى بصديقه .. وقدم لى بيده الكأس الملكية ..

— جاك : ذلك شيء .. ورغبته فى امتلاك هذه الأوراق شيء آخر .  
— فايان : آه .. اننى أعلم من هو وراء هذه الثورة فى رأس مليكى ؟ .. أعرف تماما من هو صاحب هذه الأفكار السوداء ؟ .. انه لن يخرج عن واحد من ثلاثة .. اما أنه ذلك اليهودى المخادع الذى يعمل مستشاره الخاص ، ويريد منى أن أدفع له ، واما أنه البرنس أوف شيفيلد الذى تجاهلت دوره فى المعارك الأخيرة .. لأنه كان دورا حقيرا مثله ولكنه .. بعد كل معركة صغيرة ، يأتى الى منزلى ويطلبنى ليملى على ما يؤكد بطولته الأسطورية .. لقد مللت ذلك الرجل الذى يريد أن ينتزع وحده دور البطولة .. حتى عبيدى ضاقوا ذرعا بثقل دمه .. وبنكاته الحقيرة التى يطلقها عليهم ، وهو يمر بينهم مختالا كما الطاووس .

— جاك : والثالث ؟

— فايان — انك تعرفه حتما .. انه قسيس الكنيسة المجاورة لقصر الملك ، والذى بدأت زيارته لهنرى تتوالى حتى كاد أن يصبح نديمه ، وناصحه الأمين ، وان هذا القس الأرعن لا ينسى لى ملاحظة أبديتها عندما جاء — فى حضرة المليك — وعلى مشهد من عدد من الأمراء ليبدى رأيا عجيبا ، ينم عن قصر نظر غريب ، وعن فكر عجيب يمكن أن تعاقبه عليه الكنيسة ذاتها .. وكان لابد أن أتدخل .. ومن يومها والرجل يحقد على جميع تجار الأخبار .

.. وانتهت المحاوراة بأن طلب فابى ، تاجر الأخبار الشهير فى لندن ، من تلميذه وصديقه الذى قام بتربيته ، منذ توفى والده .. طلب منه أن يحمل كل النسخ الموجودة فى منزله ، وفى الكوخ الخشبي الكبير الذى يوجد به الناسخين ، وكذا النسخ الموجودة فى مكتبه ، والتى يمكن أن

تكون عند جاكى نفسه .. يحملها جميعا الى مقر الشرطة ، ويسلمها لهم ، ويتسلم منهم ما يفيد تسليمها .. كما أوصاه بأن يفعل ذلك على وجه السرعة ، حتى لا يدهم المكان الحرس الملكى ويقوم أفرادهم بحمل النساخ عنوة ، الى حيث ينفذ الملك تهديده باحراقها وسجن أصحابها .. ذلك التهديد الذى يسرى مع الخيوط الأولى لصباح اليوم التالى ..

حدث ذلك كله ، عندما كانت تجارة الأخبار قد بدأت تروج فى انجلترا ، وبشكل منقطع النظير .. جعل العديد من الأذكياء يقبلون عليها ، اما برغبة كامنة فى أنفسهم واما يعملون كممثلين لعدد من كبار الأثرياء ، أو التجار ، أو رجال البلاط أنفسهم ..

وكان قوام هذا العمل الاخبارى ، الذى كان يدر على صاحبه ربحا كبيرا ، قاربا يقوده أحد مندوبى التاجر الكبير ، يذهب به الى السفن القادمة ، قبل أن تدخل الى الموانئ الانجليزية حيث يقوم بجمع الأخبار الهامة ، التى يرسلها مع آخر يركب جواذا سريعا ، ليقوم هذا بدوره بتسليم الرسالة الاخبارية ، الى آخر .. وهكذا حتى يصل الجواد وراكبه ، وفى جعبته ما حصل عليه الأول من أخبار .. كما كان يبعث بها أحيانا تحت أجنحة الحمام الزاجل ، من الموانئ ، أو السفن نفسها ، أو ميادين المعارك ، حيث كان « المخبّر » يحمل معه حمامة يخفيها فى سترته حتى اذا وصلت الى مقر العمل ، قام أحد العبيد المتخصصين ، والذى كان يجلس فى انتظار حمائمه التى يبعث بها المندوبون تحمل رسائلهم - قام بامساك الحمامة وتقديم الحب والماء المعطر لها .. أما الرسالة نفسها فتمضى الى حيث يجلس عدد من العبيد وأمامهم أوراق « الصحيفة » - مع التجاوز - والأخبار ، وأقلام البوص ، أو ريش الطيور ، حيث يقومون بنسخ العشرات من هذه الرسائل الاخبارية المتجمعة لديهم .. ليبدأ بعد ذلك عبيد آخرون فى توزيعها على المشتركين ومن يدفع .. وأحيانا من يدفع أكثر ..

أما فايان نفسه ، فكان « متخضعا » في نشر أخبار الملك ، والقصر الملكي والأمراء ، وأحيانا الأميرات ، وكبار الجند ، والاثرياء ، ولذلك فقد أصاب شهرة عريضة خاصة عندما أقبل على مساعدته عدد من أفراد عائلته الذين كانوا يملكون الجياد ، وعندما نجح في نقل أخبار انتصارات الملك هنرى الثامن ، ووقف الى جانبه كثيرا ..

ولكن .. عندما بدأت الفتن تعمل عملها في المجتمع الانجليزي ، على أثر الانتصارات العديدة التي أحرزها الانجليز على غيرهم ، خاصة الفرنسيين ، وعندما بدأ الملك نفسه يتحلل من قيود الكنيسة الكاثوليكية التي أراد رجالها تكيله بها .. وقرر هو - وهو القائد المنتصر - أن يواجه رجال الدين الكاثوليك الذين نجحوا في إثارة الناس ضده ، وكذا عندما بدأت بعض الصحف المنسوخة أو « الرسائل الإخبارية » كما كان يطلق عليها - تهاجمه وتهاجم أفراد عائلته وحاشيته ، كان لابد من إجراء ما .. وصدر هذا الإجراء في صورة مرسوم ملكي يطلب من أصحاب هذه الرسائل الحصول على إذن منه شخصيا قبل إصدارها ..

ولكن المرسوم لم يفعل شيئا كثيرا .. فقد كانت الرسائل تصدر أحيانا بدون إذنه ، وعندما أحكم الحرس الملكي سيطرته على بعضها صارت هذه الرسائل تصدر خفية ، مما زاد في اقبال القراء عليها وقفز بأسعارها الى أرقام خيالية في هذا العهد .. وهذا بدوره ضاعف من عدد « تجار الأخبار » الذين كانوا يعملون في ميدانها ، حيث بدأ هؤلاء يستأجرون الفنانين لاضفاء بعض اللمسات الفنية عليها ، كما اشترى العبيد وقام بتعليمهم على تفقثهم الخاصة ، ثم استخدموهم كناسخين .. تماما كما كان يفعل فايان ، وكما سبق وأن فعل ذلك والده نفسه .. ومع مرور كل يوم ، كان الملك ومن خلفه عدد كبير من المؤيدين الذين بدأت هذه الصحف المنسوخة تثير ثأرتهم لسبب ما .. حتى وإن كان هذا السبب هو تجاهل أخبارهم .. كان هؤلاء جميعا يزدادون اقتناعا بأن من الأهمية



السيطرة الكاملة على هذه الأوراق الخطيرة ، التي ترفع من تشاء ، وتخسف  
بمن تشاء ... فماذا لو انها التفتت الى ما ينويه الملك من الخروج الكامل  
على الكنيسة الكاثوليكية .. أو اذا وقعت أخبارها في أيدي الأعداء ، أو  
اذا استطاع محركو الفتن في عهده استمالة عدد من العاملين في ميدانها ..

أضف الى ذلك كله أن « هنرى الثامن » كان قد بدأ يقتنع بالرأى  
الذى نادى به عدد من أسلافه ، كبجاء لجماح هذه الرسائل وامعانا في  
السيطرة عليها .. وحتى لا يصبح الجميع سواسية بالنسبة لها ، أو تكون  
هى بكل ما أتيح لها من قوة ، فى خدمة الأفراد العاديين ، أو يكون  
بامتطاعة « الرعاى » قراءة أخبار الطبقات العليا ، وأصحاب الدم الملكى  
وكبار القادة .. على صفحاتها .. ان الحل هو فى احتكار الحكومة ، أو  
القصر لها ، وجعلها تحت سيطرة التاج ، أو بتغيير آخر .. رسائل ملكية  
تحتكرها الحكومة ، تماما كما كانت تحتكر فى هذه الأوقات تجارة الصوف  
وفرض الضرائب ، وكما تحتكر الحكومات الآن تجارة البترول ، أو  
المحصول الزراعى الأول كالقطن أو القمح ويحرم على العاديين من الناس  
التجارة فيه ..

أضف الى ذلك أيضا ، أن سيطرة هنرى عليها ، تعنى أن تكون فى  
يده سلطة نشر أو عدم نشر أية مادة من موادها ، فيتحكم بذلك فيما  
يعرفه الناس ، ومالا ينبغى أن يعرفوه ..

ومادام الاجراء السابق - الحصول على اذن من الملك شخصيا -  
لم يعد مجديا ، أمام هذا السيل المتدفق من الرسائل والكتب الاخبارية ،  
وأمام هذا السيل المتدفق أيضا من الأخبار المتنوعة التى تجد فيها هذه  
وتلك مادة مقروءة تماما .. ويقبل عليها الجميع .. وأمام هذه المكاسب  
العديدة التى يحققها تجار الأخبار .. مادام ذلك كله قد أصبح واقعا تعيشه  
البلاد فلا بد من المفاجأة .. والقضاء على جميع الرسائل الخارجة على  
سيطرة الملك .. وبعدها يسهل عليه أن يفعل بها ما يشاء ، وأن يجعلها

تكتب ما يريد هو .. وليس أحدا غيره ومن هنا فقد عاد « فايان » الى  
عسالة متجهما على غير عادته .. تعلو وجهه حمرة محيرة ، وغريبة فقد كان  
أول من علم من التجار بالنبا الغريب ، بالقرار الخطير الذى أصدره هنرى  
الثامن أو بالأمر الملكى الشهير بجمع جميع الرسائل الاخبارية التى  
صدرت بدون اذن منه ، واحراقها فى ظرف ٢٤ ساعة فقط .. أو أن يتعرض  
أصحابها للسجن .. لقد صاح الملك فى رجال الشرطة وحرسه .. عليكم  
أن تجمعوا هذه الأوراق الخطرة التى باتت تؤرق الملك ، والحاشية  
والأمراء ، والأميرات .. وأن تضرعوا فيها النار فورا .. والويل لأصحابها  
الذين يحاولون المراوغة ، كما راوغوا فى الشهر الماضى .. ان السجن  
الطويل فى انتظارهم ..

ولم ينس الملك أن يهدد رجاله أيضا فأردف قائلا .. والويل لكم  
إذا تهاوتم فى تنفيذ ذلك ..

جمع جاكى النسخ الموجودة من رسائل فايان الاخبارية .. بينما  
كان صاحبها يجلس منهارا على كرسيه الذى طالما جلس عليه وهو يكتب  
المدائح الملكية ، ويدبج المقالات ويحرر الأخبار التى تؤكد عظمة مليكه .

وبينما انطلق جاكى بكل النسخ الموجودة .. كان نحيب العبيد  
يعلو .. فقد كانت مصيبتهم أعظم .. عبر عنها أحدهم بقوله والدموع  
تملا عينيه .. من أين لنا اذن أن نعيش ؟ .. وهذا هو الملك يأمر باحراق  
بضاعتنا ؟ .. لقد كان أجدر به أن يحرقنا نحن أيضا .. أليس كذلك  
يا صديقى أمأندو ؟ ..

ولكن أمأندو لم يجب .. فقد كان مشغولا بعمل آخر .. لقد كلفه  
فايان بأن يخرج الى السوق مع عدد من أعوانه للتصرف بالبيع فى جميع  
الحياد الموجودة فى الأسطبل ، وجميع الحمام الزاجل الموجود طرفه ..  
فلم تصبح هناك حاجة لها .. أو له .

اليصابات

---

اقطعوا يده  
حتى لا يكتب  
مقالة أخرى ..

---

## اليصابات :

اقطعوا يده

حتى لا يكتب

مقالة أخرى

يقولون أنها « من العظيمات في التاريخ » .

ويقولون أيضا أنها قادت انجلترا بشجاعة عشرة ملوك من الرجال .

ويقولون كذلك .. أن عصرها يعتبر من أفضل عصور التاريخ

الانجليزي ..

وكلمات .. وقصائد ، وروايات وكتب .. آلاف مؤلفة .. جميعها  
تكيل لها وللباقتها وشجاعتها وحكمتها وحسن تصرفها عبارات المديح ،  
وسطور الثناء ، كما لم يحدث بالنسبة لامرأة قبلها تلك هي ملكة الانجليز  
الشهيرة اسما ، وعصرا ، وسلطانا « اليزابث الأولى » أو « اليصابات » ..  
ابنة « هنري الثامن » - مضم النار في الأوراق الخطرة - من زوجته  
« آن بولين » .. واخت الملك « ادوارد السادس » والملكة « ماري » ..  
أي أنها ملكة ابنة ملك .. وأخت ملك .. وأخت ملكة .. وبقية العائلة من  
ملوك أسرة « تيودور » .

وماذا أيضا ؟

لقد ولدت الملكة في ٧ سبتمبر ١٥٣٣ في قصر جرينتش .. وعندما  
كانت أختها « ماري » تتولى عرش انجلترا .. اشتركت اليصابات في  
ثورة قامت ضد شقيقتها .. فما كان من هذه الأخيرة ، وقد اتضح لها

الدور القيادي الذى لعبته أختها فى هذه الثورة .. الا أن تأمر بسجنها فى برج لندن ..

أى أنها منذ ريعان شبابها كانت فتاة « متمردة » و « ثورية » ..  
فما الذى تنتظره البلاد منها ؟ وما الذى يحدث على يديها ؟

.. ها هى تتولى العرش الانجليزى فى الخامسة والعشرين من عمرها  
— عام ١٥٥٨ م — فما الذى فعلته هذه المرأة .. الثائرة .. الملكة ؟

لقد كان لها فى البداية أكثر من اجراء نأثر متمرّد اتخذته فور جلوسها على العرش .. لعل أبرزها أنها أمرت — لأول مرة — باقامة الشعائر والصلوات فى كنائس انجلترا باللغة الانجليزية .. كما اتبعت ذلك باجراء نأثر متمرّد آخر عندما أعلنت أن المذهب البروتستنتى .. هو مذهب بلادها الرسمى .. وبالحما من قرارين أثارا عليها كثيرا من الهجوم ، وفجرا عددا من الأحقاد الكامنة ، ووصلا الى حد اعلان الحرب ، ولكنها كانت مثلاً أعلى للثقة ، ورباطة الجأش .. فى الأوقات العصيبة .. رغم اندفاعها وثورتها .. ومن هنا فقد اجتازت ببلادها أزمات عديدة .. بل وحققت ببلادها فى عهدها ما لم تحقّقه فى عهد قبل عهدها .. اللهم الا نادرا ..

ومن ذلك مثلاً .. بل فى مقدمة هذه الانجازات نفسها مد النفوذ الانجليزى الى أماكن لم يصل اليها من قبل ، وتوسيع التجارة فى القارة الأوروبية والشرق .. وانشاء الشركات العملاقة وفى مقدمتها الشركة الاستعمارية العتيقة المسماة بشركة « الهند الشرقية » .. كما أن ذلك العهد نفسه هو الذى شهد الانتصار البحرى الكبير للأسطول الانجليزى على الأسطول الأسباني الأشهر المسمى « الأرمادا » وذلك فى يوليو ١٥٨٨ .. كما أن من مفاخر هذا الحكم نفسه استعمار أمريكا ..

وقد ساعد ذلك كله على توفير المناخ الملائم الذى ساعد ليس على ظهور العبقريات العلمية والأدبية فقط .. كعبقرية يكون وشكسبير وغيرهما .. ولكنه - وكما كان من المنتظر - ساهم أيضا ومساهمة فعالة فى مزيد من الانتشار للرسائل والكتب الاخبارية المنسوخة بعد أن وجد أصحابها فى أحداث هذا العهد كلها معينا لا ينضب من المادة الاخبارية التى تملأ هذه الأوراق .. وجميعها كانت تعكس هذه التطورات كلها .. فى ميادين الممارك مع الأعداء ، أو الميادين العلمية أو الأدبية أو الدينية الأخرى ..

بل ان بعض الأثرياء نجدهم فى هذا العصر وقد بدأ توظيفهم لجامعى الأخبار من هذه الأماكن كلها ، فكانوا يختارونهم من بين الرجال الأقوياء الذين يستطيعون متابعة الممارك فى ميادينها الحقيقية ، كما لم ييخل عدد من العاملين بالجندية أو البحرية بأخبارهما على هؤلاء .. أضف الى ذلك أنهم كانوا يتسللون الى الكنائس والمقاهى والصالونات .. ويفتحون آذانهم جيدا لكل كلمة تقال .. حتى نمت المادة الاخبارية نموا هائلا على صفحات هذه الرسائل والكتب .. وبدأ عدد من الناس يترك تجارته الحقيقية للاشتغال بها ..

كذلك .. فان عددا من أعوان الملكة - اليصابات - نفسها ، كان يعمل فى هذه التجارة المربحة .. تجارة الأخبار .. ضاربا أكثر من عصفور بحجر واحد .. فهو من ناحية يعمل على كسب ود مليكته بالدعاية لها ، وتسجيل ازدهار فترة حكمها الطويلة ، واقتصاراتها ، وهو من جهة ثانية يدخل تجارة لا بأس بها ، وتدر عائدا مناسبا ، وأصبحت لها تقاليدها ، ومجالات أنشطتها المعروفة .. وذلك بالاضافة الى تمكنه من اشباع بعض هواياته ، والكتابة عن نفسه ، وعن أفكاره ..

وكان فى مقدمة هؤلاء الأعوان وصيف الملكة نفسه المسمى « الايرل أوف اسكس » (١) ذلك الذى كان من أكبر الدعاة لها ..

ولانتصاراتها الحربية ، وجهوده هو أيضا ، حتى قيل أنه كان يشرف بنفسه على اصدار عدد من هذه الرسائل والكتب الاخبارية المنسوخة ، كما كان يوظف عددا كبيرا من جامعي الأخبار ومحرريها الذين كانوا يتولون جمع مادتها وكتابتها .. ويقال أن هذه الرسائل بالذات كان لها الفضل الكبير في تسجيل كثير مما عرفه المؤرخون والدارسون والقراء عن عهد هذه الملكة ، بعد أن عثروا على عدد كبير منها في أماكن متفرقة .. ذلك كله على الرغم من أنها كانت رسائل وكتب ونشرات منسوخة أو مخطوطة - بخط اليد - وليست مطبوعة ..

على أن هذا الانتشار الكبير نفسه والذي تحقق لهذه الوسيلة الاعلامية الناجحة نجاحا منقطع النظير .. كان يغرى الأعداد الكبيرة من المغامرين بالدخول في حلبتها .. أو التسلسل للعمل بها ومن هنا ، ولأن الكسب السريع عن طريقها كان هو هدفهم الأول ، وانتهازا لفترات انشغال الملكة بألوان الصراع العديدة التي كانت تخوضها ، فإن بعض هؤلاء عندما كانت تعوزهم الأخبار الجادة من عسكرية وسياسية وعلمية وأدبية ، على الرغم من كثرتها ، فإن من يتبعونهم من جامعي الأخبار كانوا يولون وجوههم شطر أحاديث المقاهي ، والصالونات ، وما تلوكة الألسنة فيهما وفي غيرهما من المجتمعات من أحاديث يقطع بها السمار أوقاتهم .. وما يتردد خلال هذه كلها ، من حقائق ، وشائعات ، وأكاذيب وتحوها .. كانوا ينقلونها الى صفحاتهم ، بعضهم ينقلها كما هي .. والبعض الآخر يضيف اليها كثيرا من عندياته ، ويلبسها الاطار الصحفي المثير .. ولا بأس أيضا من قليل من المشهيات « المصنوعة » أو تلك التي تقوم بنات أفكار جامع الأخبار ، وربما تاجرها أيضا ، بالدور الأكبر في « فبركتها » فكانت تتحدث في أحوال كثيرة عن بعض الجرائم المثيرة ، وعن قصص الحب والزواج والطلاق وفضائح العائلات

الانجليزية ، مما ساهم في اقبال جمهرة كبيرة من القراء عليها .. كآية.  
صحافة مثيرة أخرى ..

ولأن الانتشار يدفع الى مزيد من الانتشار ، والكسب ، ولأن  
النجاح عند هؤلاء كان لا يخرج عن هذه الحدود .. فقد تجرأ أصحاب  
هذه الرسائل وبدأ عدد منهم يقتحم بأذنه وأثفه عددا من الأسوار  
العالية .. أسوار بيوت العائلات الانجليزية الكبرى .. ليتسمع ويتشم  
أخبارها ومضى يقدمها على صفحاته .. حتى اذا أصاب مزيدا من الذبوع  
دفعته جرأته الى أن يقتحم هذه المرة معاقل قصص الحب ، والطلاق ،  
وحكايات العلاقات العديدة التي تنشأ بين الأميرات والأمراء من أسرة  
تيودور نفسها ، وفي بلاط الیصابات أيضا ..

وعندما وصل هؤلاء حتى العائلة المالكة ، والبلاط والحاشية .. كان  
من السهل أن تلتقط آذانهم بعض الأخبار المتطيرة من هنا ومن هناك ..  
عن الملكة نفسها ..

ويبدو - بل هو الواقع فعلا - أن الملكة الحاكمة القوية .. وعلى  
الرغم من كل ما تحقق لها من سطوة ونفوذ ، وما تحقق لبلدها على  
عهدا .. يبدو أنه كانت لها - كبشر - علاقاتها الخاصة جدا .. بل  
ونزواتها المتمردة أيضا .. تلك الى نسجت حولها العديد من قصص  
الغموض والتشويق التي يختلط فيها الحب ، بالمغامرة ، وبالقتل أيضا ..  
حتى أنه يقال كثيرا عن قتلها لابنة عمها « ماري » ملكة أيقوسيا ..  
ثم تدبيرها لمقتل وصيفها تاجر الأخبار الشهير ، الصحفي ، العسكري  
« الايرل اوف اسكس » بعد كل ما قدمه لها ..

وأما عن « عاطفيتها » فقد كانت حديث المجتمعات نفسها ، وزاد  
من جدة فضول الناس حول هذه المسألة ، ورجال الأخبار في مقدمتهم ..  
أنها بكل ما تحقق لها ، لم تتزوج خلال فترة حكمها التي امتدت الى



خمس وأربعين سنة .. قرابة تصف قرن كامل .. بل ان عددا من المؤرخين يؤكدون أنه كان في مقدمة أسباب الجفوة الانجليزية الأسبانية التي حدثت في عهدها وانتهت بالحرب بين الطرفين وتدمير الأرمادا .. ذلك الدلال الذي أبدته في علاقتها بفيليب الأسباني ، ومراوغته أكثر من مرة ، واستمرار هذه المراوغات له طويلا .. ثم رفضها له في النهاية كزوج لها .. مما عجل بالحرب بينهما .. كما يشير عدد من « الخبءاء » الى أكثر من علاقة كانت قائمة بينها وبين عدد من رجال حاشيتها .. ويربطون بين مقتل « ايرل اوف اسكس » .. وبين هذه النزوات نفسها بشكل أو بآخر .. حتى وان لم يكن ذلك هو السبب المعلن على الملأ لقتل وصيفها ..

كان ذلك هو بعض ما يدور حول هذه الملكة الثائرة ، المتمردة ، القوية ، التي كانت تبدي في أحيان كثيرة نفس ما تبديه من صور الضعف ، أية امرأة أخرى تقبع في ركن قصي من كوخها الحقيق .. في الريف الانجليزي .. أو أية خادمة من خادما قصرها ، أو قصر احدى الأميرات من التابعات لها .. أو أحد أفراد حاشيتها ..

وقصص مثل هذه ، لا يمكن أن تقوت على رجال الصحافة ، بحال من الأحوال ، حتى وان كان هؤلاء ، من صحفيي القرن السادس فقط ، وليس النصف الثاني من القرن السادس عشر وبكل هذا الحجم من الرسائل والكتب الإخبارية ، وبكل هذه المادة المثيرة .. ان هؤلاء كانوا يجوبون المقاهي والصالونات والجدايق والكنائس والبيوت أيضا ، حتى يمكنهم العثور على قصة من هذا النوع لانجليزي عادي ، أو انجليزية مهمة .. فكيف اذا كانت هذه القصة تختص بأحد الأمراء ، أو احدى الأميرات ؟ .. ثم كيف اذا كانت هذه القصة تتصل بأكبر رأس في البلاد ؟

ودون أن ينتظم هؤلاء في مقاعد معاهد الصحافة وكتلياتها ، بل وقبل

أن تنشأ مثل هذه المعاهد بأكثر من ثلاثة قرون ، وكذلك دون أن يقرأ هؤلاء كتابا من كتب التحرير الصحفى .. فقد كان الرواد يعرفون بحواسهم الصحفية ، أى قدر من النجاح ذلك الذى يمكن أن يتوافر تلك القصص الغرامية التى تكون بطلتها الملكة نفسها .. وبالتالي ، يتوافر للصحيفة - مع الاحتراز - التى تقدمها على صفحاتها .. ان جميع أركان وعناصر الاثارة والأهمية تتوافر لأخبار الملكة الشخصية ، أو على حد تعبير الصحفى الضحية « ستيفاس » .. تتوافر لهذه « النزوات الملوكية » أو الملكية ..

كان ا . ستيفاس مخبرا لامعا خلال عهد هذه الملكة ، مما دفع بالكثيرين من الذين كانوا يصدرن الرسائل والكتب الاخبارية الى محاولة جذب ، والتعاقد معه ليعمل لهم وحدهم ، ولكنه كان يفضل أن يعمل مخبرا حرا ، يجوس خلال مواقع الأخبار الهامة ، يجمع منها بعض ما يستطيع جمعه ، ثم يقدمه لمن يدفع أكثر ، لتخرج الرسالة الاخبارية ، أو الكتاب بعد ذلك وهى تحمل - كالأغلب - خبرا واحدا فقط ، يكون عنوانه هو عنوانها أيضا .

على أنه أبدي فى بعض الأوقات معرفة كاملة بأدق ما كان يحدث داخل عدد من يسيوت الأمراء ورجال الحاشية .. ثم داخل جدران القصر الملكى نفسه ..

البعض يقول أن السبب فى ذلك هو موهبته الصحفية الفذة ، البعض الآخر يقول أن عددا من رجال الحاشية كانوا فى حربهم من أجل المزيد من النفوذ والتقرب من الملكة أو بعض الأميرات كان يقوم « بتسريب » هذه الأخبار اليه حتى يضع منافسيه فى مركز محرج ، أو يساهم فى افساد العلاقة بينه وبين الملكة .. البعض الثالث يقول أن صداقته وعلاقته القوية بهؤلاء كانت هى السبب ، كما لم يعد الصحفى القديم من يشير الى وجود علاقة حب متينة بينه وبين إحدى أميرات القصر الملكى ممن

كن يخالطن الملكة ويصحبها في جولاتها ، ويجلسن معها ، بل وتتحدث الملكة اليهن بأدق أسرار حياتها ليحتفظن بها في قرار مكن .. فقد كان لابد لها من أن تتحدث الى واحدة منهن .. لأنها امرأة أولا .. وقبل أن تكون ملكة ..

المهم أنه ذات صباح ، خرج على الناس في لندن العاصمة ، كتاب اخبارى يحمل الى القراء ويؤكد أن المرأة الملكة .. أن سيدة العرش الانجليزى .. سلية المجد والكرم من أسرة تيودور .. قد بدأت قصة غرام جديدة .. وأن بطل القصة هذه المرة ليس انجليزيا ولا هو من رجال البلاط ، ولا من الأسرة الحاكمة كلها ..  
وجن جنون الملكة ..

وفكرت كثيرا في الطريقة التي تواجه بها مثل هذه العين التي ترقبها ، وكيف لها بهذه القصة الوليدة ؟ ولم تمض غير أيام فقط على هذا الحب الجديد .. هل تصدر مرسوما ملكيا يمنع تداول هذه النشرات مرة واحدة ؟ .. هل تأمر مثلما أمر غيرها بعدم الكتابة عن أية موضوعات تتصل بالقصر أو الحاشية ؟ .. أم هي تفعل مثلما فعل والدها نفسه ، عندما أمر بأن تجمع جميع هذه الأوراق ، ويصب فوقها الزيت وتضرم فيها النيران فورا ؟

وصحيح أنها لم تكن المشكلة العاطفية الأولى التي تواجهها ، ولكنها جاءت في وقت غير ملائم بالمرّة ، كما أن السرعة التي انتشر بها الخبر جعلها تقرر أن تطلب آراء عدد من الأمراء أنفسهم .. وكان هؤلاء قد بلغ الضيق بهم مبلغه ، وأحس كل منهم أن ما كان ينيه من أحلام ، قد ذهب أدراج الرياح ، لا سيما والكتاب الاخبارى يؤكد أن البطل هذه المرة ليس هو أحدهم ..

وبينما الملكة والأمراء في شغلهم الشاغل ، وبينما عدد منهم يقرر البحث بنفسه عن جامع الأخبار الذى تجرأ بالتطفل حتى على هوى الملكة ، بينما وضع جميع الأمراء في موقف لا يحسدون عليه .. مما دفع

التي أن يتحد هؤلاء في مواجهة هذا الغريم الذي يتهدهم جميعا ..  
 بينما يحدث ذلك كله .. اذ بشرة أخرى « ملحق » تخرج لتعلن علي  
 الناس ، أن هذا الغريم الجديد للأمراء الانجليز هو أمير فرنسي شاب  
 وأن الملكة قد التقت به أكثر من مرة .. وأنها خلال اللقاء الأخير به  
 عرضت عليه ضراخة وبدون موازنة رغبتها في الزواج منه .  
 لم يكن هذا المنشور الجديد كافيا لاثارة جميع الأمراء فقط ،  
 ولنسيانهم خصوماتهم السياسية والعاطفية ، بل أنه أثار الشعب الانجليزي  
 نفسه فكثرت المنشورات التي خرجت تعارض هذه النزوة الملكية  
 الجديدة ، وتحدث الجميع بمعارضتها في كل مكان ، وأصبحت  
 المعارضة لها هي حديث الساعة .. وكل ساعة .. وخشى الجميع من أن  
 يؤدي هذا الزواج إلى كارثة سياسية تحل بالبلاد .. وخلال أيام قليلة  
 من صدور هذا المنشور ، ونتيجة لكل جهود البحث عن كاتبه ، فقد عرف  
 من هو ، وتجددت هويته تماما .. وأسرع بعض الأمراء الفرنسيين  
 بالقبض عليه .. وانتظر الجميع أن تأمر الملكة بقتله جزاء ما اقترف من  
 جريمة نكراء في حق هواها ، وقلبها ، وفي حق أمراء البيت المالكة ،  
 وكل من كان يمتنى نفسه بالزواج منها .. بل وفي حق الشعب  
 الانجليزي نفسه ..

ولكن الملكة - وكعادتها في الأوقات العصيبة - تعود فتتذرع  
 ببعض الحكمة .. وتقرر أن يكون الحكم هو قطع يد هذا المخبر  
 الصحفي فقط .. حتى لا يعود هو أو يعود غيره الى فعلتها  
 مرة أخرى ..

تري .. هل كان السبب خشيتها من ثورة شعبية ، بعد أن أصبحت  
 حكايتها مقتضحة وبعد أن وجدت الضحية بعض العطف عليها ، من جانب  
 عدد من أفراد الشعب الانجليزي ، وبعض النشرات الأخرى !! أم أن  
 الأميرة العاشقة صديقة ونديمة وسميرة الملكة .. هي السبب ؟

شارل الأول :

---

اليومية الكاملة

تروى أبرز أحداث

القرن السابع عشر

---

## شارل الأول :

### اليومية الكاملة تروى

### أبرز أحداث القرن ١٧

.. كم كان الصراع عنيفا حقا .. وكم كان متشابكا ومعقدا .. ويضرب في أكثر من ميدان ، ويتخذ له أكثر من صورة .. ذلك الذى نشب بين ملك إنجلترا شارل الأول ، وبين الشعب البريطانى ممثلا في برلمانه ، وقادته ، وخطبائه .. وصحافته أيضا .

وصحيح أن الصراع يعود الى أكثر من جيل ، قبل ذلك الذى كان شاهدا عليه .. ولكن لم يحدث أن احتدم الصراع في عهد من العهود .. حتى عهود أسرة « ستوارت » نفسها بملوكها الذين وصفهم الشعب بالاستبداد وأطلق عليهم في أحوال كثيرة عدة أقوال من مثل الطغاة ، القساة ، وحتى وصفهم بأعدائه أيضا .. لم يحدث أن احتدم الصراع كما احتدم في عهد هذا الرجل ..

ويبدو أن الكيل كان قد طفق .. وأن الغليان الشعبى كان قد بلغ أشده ومن سوء حظه أن يحدث ذلك في عهده هو .. وليس في عهد ملك آخر غيره ، وأن يبلغ الضيق والتبرم بالأسرة كلها مبلغه على أيامه أيضا . ولكننا نكون بعيدين عن الحقيقة اذا أرجعنا ما حدث الى سوء طالع الرجل وحده ، والى أن أيامه كانت أيام نجس على إنجلترا كلها .. فمن المؤكد أن هذا السوء قد لازمه أيضا قصر — بكسر القاف — في النظر ، وسوء في التقدير والتدبير والتصرف ، لازمه في أوقات كثيرة .. ومن هنا،

فانه اذا كان من حقه أن يلعن الظروف « العائلية » ، لبعض الوقت ، وأن يردد مرة قول الشاعر « هذا جناه أبي على » .. فان عليه — أقصد كان عليه — أن يلعن أيضا سوء تديره وتقديره لكل الوقت ، وألا يحاول أن يكمل الشطر الثاني من بيت الشاعر « وما جنيت على أحد » .. فلقد جنى على الكثيرين وكان هو أول من جنى على نفسه ..

ويقولون أن الأسرة كلها — أسرة ستيوارت — كان قد أورثها أصلها الاسكتلندي حدة وشراهة ، كانت درجتها تزيد ارتفاعا من ملك الى ملك كما أنهم كانوا من المتعصبين لمذهبهم البروتستنتى حتى أنهم كانوا يقدمون أتباعه على غيرهم ويقلدونهم الوظائف الكبرى في الدولة .. تماما كما كانت تفعل بعد ذلك بحوالى قرنين من الزمان أسرة « محمد على » في مصر .. من تقديمهم للشراكة على غيرهم خاصة في وظائف الحرية أو الجندية .. وما اليهما ..

وزاد من حدة الصراع ، وحساسية المواقف المتأزمة أصلا أن الرجل بالغ في تقديم هؤلاء كما زاد من مخصصات الأسرة المالكة المالية ، ويقال أنه انتزع عددا من القصور الريفية ، وأعطاهم هؤلاء .. ثم أوقع نفسه في سلسلة من المنازعات مع البرلمان نفسه حول عدد من المسائل المالية والسياسية .. حتى زاد الطين بلة عندما أقدم على ما عبر عنه أحد أعضاء البرلمان الانجليزى نفسه قائلا : « لقد طعن الانجليزيات في الصميم عندما أدار لهن ظهره .. واتجه الى الفرنسيات » يقصد بذلك عندما أقدم على الزواج من « هنريتا » أخت لويس الثالث عشر ملك فرنسا ولو ان هذا الزواج كان في جانب منه « زواجا سياسيا » .. ولم يكن ذلك بمستغرب في هذه الأوقات .. الا أنه أعطى لملك فرنسا بعض الحق في التدخل في شئون دولته ..

وهكذا احتدم الصراع كما لم يحتدم من قبل ، بعد أن دخل البرلمان نفسه حلبته ، وتبعته الصحافة .. تلك التي كانت أشد منه قسوة ، وأقوى

هينجوما على الملك .. حتى أنها راحت تفجر القضايا الملكية قضية في اثر أخرى .. بل الحق يقال ، أن الصحافة قد شجعت البرلمان نفسه على مناقشة عدد من الأمور التي طرحتها على صفحاتها في مواجهة الملك ، وأسبغته وتاريخها ، أو على حد قول الصحفي « نيدهام » .. في مواجهة ذلك الشعب الضال الذي لا يريد من الشعب أن يحاسبه ..

بل إن هذه القضية نفسها - محاسبة الملك على أفعاله - تفجرت كما لم تنفجر من قبل .. وطرحت على الملأ تلك الفكرة التي كانت تدين بها أسرة ستوارت كلها والتي تتمثل - في رأيها - أن صاحب العرش يستمد حقه وسلطانه من قوة الهية .. أو من قداسة سماوية لا ينبغي أن تعترض أو تقاوم .. وأن حق الملك من حق الله ، وأنه يمثل على الأرض .. وأنه لا حق للامة ، أو لأفراد الشعب العاديين في محاسبته ، أو حتى مراجعته ..

ثارت هذه الأمور كلها على صفحات الجرائد الانجليزية ، وتناولتها أقلام عدد كبير من الكتاب .. وصحيح أن شارل تمكن من كبح جماح بعضها ، ولكن الأمر كان قد سبقه الى البرلمان نفسه ، حيث بدأ عدد من أعضائه يعزفون نفس الأنغام الثائرة .. لتضاعف الاصوات المعارضة ، وليعلنو الضجيج هنا وهناك .. فلا يجد الملك أمامه بدا من تعطيل البرلمان .. الذي كان أعضاؤه يجمعون صفوفهم لإعلان الحرب على الملك .. مما سيتناوله مقال آخر باذن الله ..

عطل شارل البرلمان ، فما الذي يفعله مع الصحافة ؟ ..

لقد قام بإحصاء عدد الصحف التي تهاجمه ، فوجد أنها تزيد على أربعين صحيفة .. بينما لا تقف في صفه صحيفة واحدة ..

جرب أولا فكرة شراء بعض الصحف لحسابه الخاص .. فرفض أصحابها ..



وجرب ثانية فكرة شراء بعض الصحفيين فرفض مجموعهم ..

وأخيرا.... وبعد مجهود عنيف من الملكيين عامة ، ومنه خاصة ، نجح في العثور على صحفي واحد بذل له مالا كبيرا حتى يقوم باصدار صحيفة تدافع عن الملك والملكية والقصر والحاشية والأمراء .. وتاريخ الأسرة كلها .. وفعلا صدرت صحيفة « ميركوريوس أوليكوس »<sup>(١)</sup> .. التى كانت تمثل منشورا اخباريا ملكيا جاء فى افتتاحية العدد الأول منه قول محرره :

« لقد امتلأت الدنيا بالكاذب ، وفى كل أسبوع تصدر أكذوبة جديدة لخداع الناس الذين يدفعون من مالهم ثمن هذا الخداع .. ولكن القصر لا ينقصه الذكاء أو الفطنة ولا تعوزه العبقريّة ، كما أن الحالة لبست على هذه الدرجة من السوء الذى تتحدث عنه هذه الصحف المخادعة .. لذلك فقد وجدنا أنه من الضرورى اطلاع الناس على حقيقة الأمور حتى لا تخدعهم الأباطيل .. وسوف نبدأ بنشر الحقائق فى هذا الكتاب الاخبارى »<sup>(٢)</sup> .

ولكن .. على الرغم من الأموال الكثيرة التى جعلها الملك فى خدمة هذه النشرة ، وعلى الرغم من أنه اختار لها عددا من كبار كتاب ومحررى هذه الفترة على رأسهم الصحفي الانجليزى الشهير « جون بيركنهيد »<sup>(٣)</sup> الا أن حجة الشعب والبرلمانيين كانت أقوى .. وصحفهم كانت أكثر سيطرة ومن هنا فقد فكر شارل الأول فى اجراء آخر .. أو على حد تعبير محمود سمهان : « أحس شارل خطورة ما فعل - تعطيل البرلمان - فرأى أن الأفواه يجب أن تكتم .. ولكن هناك قوما يحترفون التطفل على كل شىء ويضعون أنوفهم فى كل شىء .. أولئك هم الصحفيون الذين استعاضوا عن الألسنة فى الأفواه بالاقلام فى الايدى ، اذن فمادامت الافواه يجب أن تكتم .. كذلك الاقلام يجب أن تحطم »<sup>(٤)</sup> .

.. وجلس شارل يتحين الفرص للانقضاض على غريمته .. خاصة بعد أن تحول عدد من أعضاء البرلمان نفسه الى صحفيين وكتاب ، يكتبون على الورق ، ما تسبب تعطيل البرلمان في إيقاف التحدث به من على منبره .. وفي قاعاته .. وبينما كان البرلمانيون يدربون جيوشهم لحرب الملك وأعوانه .. اذ جاء سفير أسبانيا يشكو اليه أحد الصحفيين الذين تعرضوا لبلده وله شخصيا بما ينال من كرامتهما .. أحس شارل أن الفرصة قد جاءت حتى قدميه ، أو هي قد هبطت عليه من السماء .. فأسرع هو بالقبض عليها .. وأصدر قرارا ملكيا بتحريم صدور شيء اسمه الصحف .. وهكذا ظن شارل ، أنه استراح من شر غريمته اللدود .

وبعد مناقشات عديدة بين الملكيين والبرلمانيين أحرز فيها الأخيرون بعض الانتصارات الصغيرة بدأ شارل يغير من أسلوبه ، فأعاد البرلمان وسمح لعدد من الصحفيين بالعودة الى نشاطهم بعد تنفيذ عدة شروط كان في مقدمتها عدم نشر شيء من أنباء البلاد الداخلية ، أو أنباء الأسرة المالكة أو الأمراء أو الاميرات .. كما اشترط على الصحف التي تريد أن تصدر دفع ضريبة سنوية قدرها عشرة جنيهات انجليزية ..

ولكن على الرغم من ذلك كله فإن أكثرية الصحفيين الانجليز رفضت العودة الى اصدار صحفها أو كتبها الاخبارية ، ونشراتها الأسبوعية ، حيث أحسوا أن في تلك الشروط اجحافا بهم ، والحاقا للضرر بالمهنة ذاتها .. وذلك باستثناء صحفيين هما « نيقولا بورن وناثانيل بيتر » حيث شجعهما الملك نفسه على إعادة اصدار صحيفتيهما ..

وحتى البرلمان نفسه ، عادت المناوشات بينه وبين الملك ، وسرعان ما بدأ الهجوم يشتد عندما أدرك هؤلاء أن الملك يريد فقط أن يحنى رأسه للعاصفة ، وأنه يتحين الفرص لضرب جميع معارضيه ، ضربة لا قيام لهم بعدها .. فالتف هؤلاء حول « كرومويل » مرة أخرى .. حيث عاد الفريقان

الى الاحتكام الى السيف ، ونشبت الحرب الأهلية تلك التى انتهزت الصحف فرصتها فعادت الى الصدور مرة أخرى .. وهى أصلب عودا ، وأشد ضجيجا ، وأكثر جرأة .

.. وبينما كانت ربحى الحرب تدور ، وتلقى بأثقالها على رؤوس الملكيين .. وبينما كان البرلمانيون ينتقلون من نصر الى نصر .. كانت الصحف تصف معارك هؤلاء ، وتشد أزرها ، حتى اذا انتهت الحرب وألحق « كرومويل » بالملكين هزيمة نهائية .. وقبض على الملك نفسه - رأس الأفعى - .. ورأى المعارضون أن يحاكموه .. وحكموا بإدائته واعدامه .. فى ٣٠ يناير عام ١٦٤٩ .. خرجت على الناس صحيفة « اليومية الكاملة » لتروى قصة اعدام الملك .. تلك التى كانت من أبرز أحداث القرن .. ان لم تكن أبرزها على الاطلاق تقول الصحيفة :

« فى هذا اليوم أعدم الملك شنقا فى مكان مواجهه لقصر الاحتفالات عند هوايتهول .. وفيما يلى وصف لتنفيذ الاعدام وما سبق التنفيذ :

أحضر الملك من سنت جيمس حوالى العاشرة صباحا ، فجاء سائرا على قدميه خلال حديقة القصر ، تحف به فرقة من الحرس المشاة ، وقد شهرت أعلامها وأخذت تدق طبولها أما الحرس الخاص للملك فقد كان يسير أمامه بينما خلفه جمع من أصدقائه حاسرى الرؤوس وكان فى معيه الملك أيضا الدكتور جاكسون أسقف لندن والكونولويل توملنسن حارسه وهكذا مضى الموكب حتى وصل الى القاعة الكبرى فى هوايتهول ومنها الى حجرة الملك الخاصة التى كان يتعبد فيها .. وهناك أدى فريضة الصلاة ورفض تناول أى طعام .. خاصة وأنه قد أخذ المناولة المقدسة .

ومضى الموكب بعيد ذلك الى المكان القبيح الذي نصبت فيه  
المشتقة ، وكانت متشعبة بالسواد وتتوسطها بلطة وصخرة ، وهنا تجمع  
رجال المشاة والفرسان حول المشتقة ومن حولهم جمع غفير من المشاهدين  
الذين أتوا لرؤية تنفيذ الاعدام ..

واتجه الملك الى المشتقة .. وسأل الكولونيل هاكر عما اذا كانت  
هناك صخرة أكثر ارتفاعا .. ثم تحدث الى رجال المشتقة وخلع معطفه  
ورداؤه ، وانحنى ليضع رقبته فوق الصخرة ، وبعد برهة مد كفيه  
وأهوى الجلاذ بالبلطة فوق رقبته ففصلها عن جسده ..

ثم وضع جثمان الملك في صندوق مغلف بالقطيفة السوداء .. ونقل  
الى حجرته في هوايتهول « (٥) » .

تري هل كانت الصحافة هي السبب ؟

أم كان من حوله

أم كان هو نفسه الذي جنى على نفسه ..

بتصرفاته وتسرعه وقلة حكمته ..

فقضى على نفسه .. بسلاح الصحافة ؟!

---

(١) Mercurius Aulicus

(٢) ابراهيم امام : « تطور الصحافة الانجليزية » ص : ٣٩ .

(٣) Sir John Birkenhead

(٤) محمود سمهان : « الصحافة » ص : ٤٣ .

(٥) ابراهيم امام : « تطور الصحافة الانجليزية » ص : ٣٧ .

**جون أدامز :**

---

**هل يعود الرئيس  
الى قصره عاريا .. ؟**

---

جون آدامز :

هل يعود الرئيس

الى قصره عاريا ؟

لا أعتقد أن أحدا من الرؤساء الأمريكيين قد قاسى من صحف بلاده ، ومن صحفيها ، قدر ما قاساه ذلك الرجل الذى كان الرئيس الثانى للولايات المتحدة بعد جورج واشنطن .

ولو كان الرجل ديكتاتورا..أو حاكما قويا متسلطا..أو حتى رئيس قبيلة بدائية وفعل به الصحفيون ما فعلوه .. لأمر بالقائمهم جميعا فى معتقلاته .. أو أمر بجلدهم عن بكرة أبيهم أو - على الأقل - حكم بنفيهم وابعادهم عن ديار القبيلة ومنازلها الى تيه الصحراء ، أو وحوش الغابة ..

واكن الرجل - الرئيس الأمريكى جون آدامز - لم يفعل شيئا من ذلك كله .. وانما كان يكتفى باستخدام القدر الذى يتاح له من السلطات المعقولة ، بل كان يحاول التخفيف منها دائما .. وذلك باستثناء « قانون الخيانة » الذى صدر فى عهده ، كرد رسمى على شطط الصحافة والصحفيين وهو القانون الذى يقضى بسجن أى صحفى أمريكى يعرض كذبا بالحكومة الاتحادية أو أحد أعضائها أو بالكونجرس .. يقضى بسجن هذا الصحفى مدة لا تزيد على سنتين ، وبغرامة لا تزيد على ألفى دولار ..

وعلى الرغم من أن هذا القانون كان أقل بكثير من عدد من تلك القوانين الجائرة التي صدرت بعد ذلك في عدد من دول العالم .. وعلى الرغم من أن « قانون الخيانة » لم يطبق - بحذافيره - ولم يحدث أن طبق الا على عدد قليل من الصحفيين ، وحتى الصحفيين الذين قبض عليهم على أثر صدوره - ٢٥ صحفيا - سرعان ما أفرج عن أكثرهم ، وبموافقته هو شخصيا .. على الرغم من ذلك كله ، فإن « لعنة » هذا القانون ظلت تطارده منذ أيام حكمه ١٧٩٧ - ١٨٠١ وبعد وفاته .. وحتى اليوم .. بل ان عددا كبيرا من المؤرخين يربط بين سقوط هذا الرئيس الأمريكي نفسه وسقوط حكم الاتحاديين كله .. وبين هذا القانون أيضا .. بينما يقول المعتدلون أن هذا القانون كان بمثابة قبول من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية للتحدى الصحفى فالصحفيون كانوا دائما يلقون بالقزاز في وجهه ، بينما هو يدير لهم ظهره ، ويبدو وكأنه لا يرى ، ولا يقرأ ، ولا يسمع ما يدور من همماتهم ، وصراخهم فوق الصفحات حتى كاد الرجل أن يضع أصابعه في الشق ، وكما نقول نحن ، من كثرة الاتهامات والحملات الهجومية .. حتى قيل أنه لا يوجد صحفى أمريكى لم يهاجم الرئيس جون آدمز ، وقيل أيضا ، ان الهجوم عليه كان يمثل زيا موسميا ارتداه جميع الصحفيين بدون استثناء .. وحتى القلة التي كانت تبدو مؤيدة له ، كانت تعود الى ارتدائه بمجرد أن تحين الفرصة ..

والواقع أن قانون الخيانة ، وفي هذه الظروف كلها ، لم يكن من المنتظر أن يخفف من غلواء الحملة على الرجل ، أو يحد من شطط الصحافة والصحفيين ، بل ان العكس هو الصحيح ، لقد فهم الصحفيون أن الرجل قد قبل التحدى ، وأنه بدوره سيرد الصاع صاعين .

والحق - كذلك - أن الصحفيين كانوا من الذكاء بحيث تمكنوا من السيطرة على ميدان المعركة ، وأكثر من ذلك ، فقد تمكنوا من فتح

عدة جبهات جديدة ما لبثت هي الأخرى أن فتحت النار الكلامية الهجومية على الرئيس ، وكان من أبرزها جبهة المعارضة في الكونجرس ، والتي نجحت الصحافة في استمالتها الى جانبها ، حتى لم تعد تعرف أيها الصحافة ، وأيها المعارضة ، بل تحول عدد من أعضاء الكونجرس الى كتاب منتظمين يتعقبون تصرفات الرئيس وحكومته ، بالإضافة الى عدد من الصحفيين الذين كانوا من أعضاء الكونجرس نفسه وفي مقدمتهم « ماثوليون » الذي حمل حملة شعواء على الحكومة في شكل خطابات مفتوحة تنقد أعمالها وتفضح الأساليب التي تتبعها ، حتى لم تجد الحكومة نفسها مناصا من طلب اسقاط حماية الكونجرس عنه ومحاكمته ، وسجنه .. ولكن حتى السجن لم يوقف الرجل عن الكتابة .. فاستمر يكتب خطابه التي كانت تتسلل من خلف الجدران بطريقة أو بأخرى لتصل الى أكثر من صحيفة أمريكية .. وبلغت دراما الصراع ذروتها عندما نشر « د ، توماس كوبر » مقالة ينتقد فيه قانون الخيانة .. وخلص في نهايتها الى أن الرجل الذي أصدر هذا القانون - الرئيس - قد أكد باضماره له أنه غير كفء لتولي منصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ..

وبسرعة ، تحركت السلطات ، وقبض على الرجل وقدم الى المحاكمة .. حيث طلب وهو يدافع عن نفسه أن تأمر المحكمة باحضار الرئيس أمامها ، لكي يثبت لهم بالأدلة القاطعة .. عجزه كرئيس ، وعدم جدارته بأن يكون رئيسا لهذه الدولة الفتية .. مما يؤكد - من وجهة نظره - كل كلمة جاءت في مقالته التي قبض عليه بسببها ويحاكم الآن من أجلها ..

وصحيح أن المحكمة رفضت استدعاء الرئيس ليمثل أمامها ، وحكمت بالسجن على كاتب المقالة .. الا أن المعركة لم تتوقف بين الصحافة والرئيس .



على أن هذه الحرب التي دامت بين الصحافة من جانب ، والرئيس جون آدامز من جانب آخر لا ينبغي أن تنسينا أنه كانت له عدة لفتات انسانية تتصل بالصحافة والصحفيين ، فقد كان يرسل أحيانا طبيبه الخاص لعلاج صحفي مريض ، كما كان يدعو الصحفيين أحيانا الى جولانه بأحاء البلاد ، ولم يعارض في دخولهم الكونجرس ، كما لم يعرف عنه أنه عارض في اصدار صحف جديدة إلا مرات تعد على أصابع اليد الواحدة وهي أمور - جميعها - تحسب له لا عليه ..

كذلك فقد حفل عهده بعدد من الطرائف التي كانت تحدث بينه وبين الصحفيين والصحفيات أيضا ، خاصة عندما كانت حالات الشدة والإرخاء ، والانتظار والترقب والكر والفر تعمل عملها ..

ولكن أكثر هذه الأحداث طرافة على الإطلاق ما حدث بينه وبين إحدى الصحفيات الرائدات ، وكئي قليلات جدا في حقل الصحافة .. بل كانت تواجههن مشكلات عديدة لا يقنيدرون على حلها .. وكانت المشكلات تتضاعف اذا لم تكن الصحفية تملك المال اللازم الذي يعينها على مداومة الاصدار ، والاستمرار في حلبة السباق بينها وبين غيرها ، أو بين صحيفتها ومجلتها وبين غيرها من الصحف والمجلات .. ناهيك عن متطلبات التجديد ، والمصروفات الأخرى المتصلة بعمليات البقاء ذاتها ..

المهم .. أنه ذات صباح من عام ١٨٠١ - وقبل انتهاء فترة رئاسته بأسابيع قليلة - فوجيء « الديانة » بأن الصحفية « آن رويال » تطرق أبوابهم .. وتسدد لهم جميعا ديونها .. لصاحبة الشقة الصغيرة المتواضعة التي كانت تستأجرها ، ولصاحب مصنع الحبر الذي لم تدفع له منذ ما يزيد عن نصف عام ولقابريقة الورق التي يملكها أحد الأثرياء ..

بل وأكثر من ذلك ، فوجيء الرجل بالصحفية نفسها ، صاحبة ورئيسة تحرير والمحررة الوحيدة لمجلة « بول براى » المتواضعة

المستوى ، الرديئة الورق والطباعة والتحرير أيضا .. فوجيء الرجل بها وهي تسأله أن يؤجر لها الشقة الكبيرة التي تعلق متجره ، أو أية شقة كبيرة أخرى يملكها في أنحاء المدينة ، كما طالبتة بأن يتوسط لها في الحصول على مطبعة أخرى ..

ولم يصدق الرجل في البداية كلام الصحفية التي كانت منذ لحظات مدينة له بمبلغ كبير من المال ، بل واعتقد أنها تسخر منه ، على عادة بعض مسددي الديون .. ولكنه أراد أن يمضي معها في الشوط حتى النهاية .. بدافع من فضول التاجر الثرى ، وبتأثر بكلام زبونة قديمة ..

والواقع أن الصحفية « آن رويال » لم تكن تسخر من أى من دائئها .. بل كانت قد قررت في حذق ومهارة أن تستغل الفرصة التي أتاحها لها ذكاؤها ، ليس للخروج من ورطتها المالية فقط ، وإنما لتغيير أسلوب حياتها وعملها تغييرا كاملا .. وكان عندها حق في ذلك ، فالفرص قلما تتاح ، وقد لا تتكرر أيضا ..

كانت « آن رويال » تصدر مجلة « بول براى » في واشنطن عام ١٨٤١ في نهاية عهد رئاسة « جون آدمز » .. ولأنها كانت فقيرة فقد كانت تصدر المجلة من شقتها المتواضعة التي حولت مطبخها الى مطبعة تتمثل في آلة قديمة من طراز عفا عليه الدهر ، ويذكر بمطبعة جوتنبرج الأولى نفسها .. بينما لم تكن ظروفها المادية تسمح لها بتشغيل أكثر من عامل طباعة واحد .. كان يقوم بجميع أعمال المطبعة بدءا بنظافة المكان والآلة وتزيت المسامير والتروس وحتى عمليات القص والتدريس ، وعندما بدأ الاجهاد يتسلل الى هذا العامل الوحيد بحث آن عن مساعد له ولكنها فشلت في العثور على مساعد مطبعجي يوافق على العمل نظير اليومية - الأجر - المتواضعة التي كانت تعرضها .. حتى جاءتها فجدة من السماء في صورة اقتراح من صديقة بأن تبني لقيطا أو أكثر من أحد الملاجئ .. وهي كثيرة - ويقوم بالعمل بعد أن يشرف

عاملها على تدريبيه .. وهكذا حصلت آن على لقيطين لا لقيط واحد .. واستمر العمل بتقطيع الأنفاس وتراكت الديون عليها .. وأصبحت هي ومجلتها فى حاجة الى معجزة ..

نعم .. كان لابد من معجزة .. كان لابد من عمل كبير ومثير .. من خبرة معلم تنقذها وتنقذ مجلتها من التوقف .. من السقوط ..

وفكرت آن .. وفكرت كثيرا فى نوع هذا العمل الذى ينبغى أن تقوم به ، وكأساس ألفت وراء ظهرها فكرة الاعلان عن بيع الصحيفة ، أو اشهار افلاسها ، أو بيع رخصة اصدارها ، بل لم تسمح لنفسها - مطلقا - بمجرد التفكير فى مثل هذه الحلول السلية .. وهى تبحث عن الحل ، راودتها فكرة طلب معونة بعض أعضاء الكونجرس ، ثم خطرت لها فكرة طلب المعونة من الرئيس الأمريكى نفسه .. ولماذا لا ؟ .. وبينما هى تفكر فى طريقة ذلك ، بدأت أفكار أخرى تراودها .. صحيفة هذه المرة .. أو تتصل بأعمال وخطبات صحفية .. فلماذا لا تبدأ بالرئيس نفسه .. بأجراء حديث هام معه يكسر حالة العقم والجمود الصحفى الذى تعيشه مجلتها ..

وعندما يتحدث الرئيس .. فمن الطبيعى أن الصحف والمجلات الأخرى سوف تنقل عنها حديثه .. وهذا وحده يعتبر كافيا للخروج بالمجلة ومحررتها الوحيدة وبعامل طباعتها وبلقيطها الى دائرة الضوء .. بالإضافة الى أنها فى حالة نجاحها فى مقابلة الرئيس والحصول على حديث صحفى خاص منه .. فما أسهل مقابلة أى شخص آخر .. ما أسهل تكوين المصادر الكبرى التى ستمثل عندئذ رصيذا صحفيا ضخما لها ومجلتها ..

خلال ساعات قليلة كانت فكرة مقابلة الرئيس والحصول على حديث منه قد استولت عليها تماما .. وأخذت الفكرة تلح على ذهنها وتسيطر على حركاتها وسكناتها .. حتى وجدت نفسها أسيرة لها ..

وبدأت آن تتحرك تحركا ايجابيا وفعالا من أجل الاقتراب خطوة أو خطوتين من الرئيس الأمريكى .. أصبح شغلها الشاغل أن تتابع أخباره في الصحف الزميلة .. بل لقد ذهبت الى قرب منزله أكثر من مرة ، ودرست الطرق المؤدية اليه ، وجلست ذات مرة بالقرب من حديقته ، حتى أبعدھا الحراس الذين درست مواعيد حضورهم وانصرافهم بدقة بل لقد شاهدته مرة وهو يتجه نحو الحديقة ، ويغيب فترة ثم يعود وحيدا .. بينما علمت من مصادرها الخاصة ، ومن إحدى الصديقات وهي زوجة لأحد الحراس أن الرئيس كثيرا ما يتكرر تجواله بحديقة الفصّر وحده .. بل انه يذهب أيضا الى إحدى البحيرات الصغيرة بدون حرس على الإطلاق .. وهناك يقضى أكثر أوقاته متعة في ممارسة السباحة التي يفضلها ..

وذات صباح قررت آن أن تضرب ضربتها .. تركت شقتها ومطبختها واسرعت الى منزل الرئيس ، انتظرت طويلا خلف جذع شجرة كبيرة ، تابعت الرئيس وهو يخرج وينطلق الى ممارسة هوايته ..

ما كاد الرئيس الأمريكى « جون آدامز » يخلع ملابسه ويلقى بنفسه في مياه البحيرة الزرقاء .. وتبدأ ضرباته تشق صفحاتها الهادئة .. حتى سمع صوتا يدعوه « ياسيادة الرئيس » .. لم يصدق الرجل لأول مرة ، ولكن النداء يتكرر « ياسيادة الرئيس » .. نظر الرئيس خلفه .. فإذا بسيدة تجلس فوق ملابسه كمن يحتجزها عنه .. وتدعوه .. أذهلته المفاجأة حتى أنه فكر في الخروج من المياه .. وهم فعلا بالخروج منها .. ولكنه تذكر أنه عارى الجسد الا من لباسه الذى يستره فعاد .. وتذرع بالحكمة وقرر الاستماع الى شكواها .. انها حتما تريد معونة مالية أو تخفيف الضريبة المقررة عليها ، أو تخفيف حكم السجن على زوجها أو قريب لها .. ولكن المفاجأة الكبرى كانت عندما علم الرئيس أنها تريد حديثا صحفيا !!

حاول الرجل أن يناور .. أن يضرب لها موعدا بقصره أو مكتبه .. وعرض أن يذهب بنفسه حتى صحتها .. ولكن مع اصرار آن على الحصول على الحديث منه وهو على هذه الحالة .. ومع تهديدها بحمل الملابس والمضى بها .. ومع تفكيره في صورته وهو يعود الى المنزل أمام حرسه وموظفيه وأفراد عائلته .. مع تفكير الرئيس في كل ذلك .. اضطر أن مرغماً أن يجيب على جميع أسئلة آن .. حتى الأسئلة الخاصة جداً ..

أسرعت آن الى شقتها ومطبخها وجلست بنفسها تجمع حروف الحديث ، حتى يعثر عاملها ، وبعد أقل من يوم كانت المجلة تحمل تفاصيل المقابلة الى القراء .. بكل دقائقها حيث أثارت ضجة كبرى ، خاصة عندما أيد الرئيس ما جاء بها .. فاضطرت الى إعادة طبع العدد أكثر من مرة .. حتى فاق ما وزع منه ، ما وزع من جميع الأعداد السابقة .. كما حققت آن ربحاً ضخماً وفورياً من عشرات من الصحف الأخرى التي نقلت الحديث عنها .. وكان أعرب ما فيه قصة المقابلة نفسها ..

ترى .. هل منكم من يستطيع .. أو تستطيع أن تكررهما .. في أى مكان . أم أن التاريخ لا يعيد نفسه ، ولا يمكن أن يعيد نفسه هذه المرة ؟!

نعود — مرة أخرى — الى قصة الرئيس الأمريكى جون آدمز مع صحافة بلاده .

ان الحال لم يدم كذلك للصحافة الأمريكية طويلاً في عهد ذلك الرجل فقد استمرت الثورة عليه .. ولم تعد يهمها في شيء قوانينه الجائرة .. وعلى وجه الخصوص قانون الخيانة ، لا سيما مادته التي تطالب بحذف

ما يتعرض بالمدح أو القدح لقوانين الولايات المختلفة ، أو للمحاكم  
الفيدرالية .. ولقوانين الصحافة نفسها كما لم يعد يهم الصحفي في شيء ،  
تلك المحاكمات العديدة التي سجن بسببها العشرات من زملاء المهنة ..  
وما يزال الآخرون ينتظرون السجن .. أو المحاكمة ..

على أن ذلك لم يدم أيضا الى وقت طويل .. فقد كانت  
هناك فترة سياسية أخرى أكثر انتعاشا .. وطمأنينة وأمنا  
للصحافة والصحفيين .. تتحدث عنها السطور القادمة •

**توماس جيفرسون :**

---

**حكومة بدون صحف**

**أم صحف بدون حكومة ؟**

---

كوماس جيفرسون :

حكومة بدون صحف

أم صحف بدون حكومة ؟

كالجياذ الجامحة .. انطلقت الصحف في أواخر عهد الرئيس جون آدامز ..

وكان من الواضح أنه لا قانون الخيانة ، ولا المحاكمات العديدة .. يستطيعان إيقاف انطلاق هذه الجياذ الصحفية .. التي كانت في حاجة الى سائس قوى .. خبير ، أو الى أحد هؤلاء الذين يحسنون ترويضها .. تماما كما يحدث في أفلام رعاة البقر ، أو هؤلاء الذين ينطلقون خلف الجياذ البرية .. فاذا أطبقوا عليها قاموا بتوجيهها صوب مزارعهم الشاسعة .. حيث تبدأ عملية السيطرة عليها .. ويالها من عملية شاقة خاصة عندما يحس الجواد البري .. أنه الأقوى .. وأنه المنتصر ، على الأقل ، طالما أن ترويضه لم يبدأ بعد .

ويبدو أن حاكم فرجينيا القوى ، المتعدد المواهب ، المكون من عدة رجال ، الخبير أيضا بترويض الجياذ البرية ، والسيطرة على الجياذ الجامحة .. يبدو أنه كان على موعد مع هذه الجياذ الصحفية .. لي تجرب معها ما دل على ذكاء قدير ، وحكمة خبير .

نقد رأى الرجل - توماس جيفرسون - بحصافته أن يتحسس في البداية أسباب هذا الجموح ، غير العادى ، وما يلزمه من ضراوة



ووحشية ، تمثلت في مهاجمة الصحافة الأمريكية لكل شيء ، حتى هو نفسه ، بل ان هذه الضراوة بلغت أشدها أثناء المعركة الانتخابية ، حيث اتهمته هذه الصحف بكل ما يعيب ، حتى تهمة الالحاد نفسها ، أقذع الاتهامات وأقواها .. حيث كتب صحفي يقول : « اذا انتخب الكافر جيفرسون للرئاسة فان حكم الاعداء سيكون من نصيب ديننا المقدس وستنهب كنائسنا » (١) .

أقول .. غفر الرجل للصحافة ذلك كله .. بل غفر أيضا لصحيفة « المسجل » دأبها على نشر القصص التي تتناول حياته الخاصة ، والتي كان أغلبها مختلقا ، ولا يقصد به سوى التشهير .. وبدأ وهو المهندس وعالم الزراعة والكاتب والمحامي والرياضي والمخترع والموسيقي والغزوي .. بدأ يبحث عن أسباب هذا الجموح ، وعن العوامل التي تختفي وراء هذه القسوة الصحفية ..

ذلك أنه كان يؤمن في قرارة نفسه بما يمكن أن يقدمه هذا الجواد ، اذا أحسن ترويضه ، وأحسن سياسته .. عندما يصبح أفضل ما يملكه الأمريكي عامة والفرجينى خاصة .. ويكون اعتماده كله عليه ..

ولم يكن مؤلف وثيقة اعلان الاستقلال الأمريكى فى حاجة الى استخدام نصف أو ربع ذكائه لكى يعلم أن سلفه ( جون آدامز ) لم يحسن التعامل مع الصحافة والصحفيين ، وبذلك نال المزيد من أحقادهم .. وحملت عليه وعلى ادارته حتى بعد وفاته .. وأن الأسباب كلها تكمن فى شيئين أولهما الغناء « قانون الخيانة » بمواده كلها .. وثانيهما ، التحول الى صفحة جديدة ، بيضاء ، نقية ، قوامها اعطاء الصحافة كامل حريتها ..

وسبحان مغير الأحوال !

رجل تبدأ الصحافة تهاجمه ، حتى قبل انتخابه لأول مرة ، ثم تمضى فى الهجوم عليه حتى دفعته الى أن يقول ذات مرة ، وبالحرف الواحد

وكما جاء في أوراقه : « لم يعد أحد يستطيع أن يصدق شيئا يراه في أية صحيفة .. ان الحقيقة ذاتها تصبح مهددة ومحل ارتياب عندما توضع في تلك الأداة الفاسدة لنقل الأفكار » .. وبعد ذلك بعدة شهور فقط ، يقف الرجل ، وقد عرف الداء ، ليطلب من الكونجرس تقديم الدواء فورا .. ألا وهو الموافقة الكاملة على ابطال العمل بقانون الخيانة .. بل انه لم ينتظر اتمام المناقشات التي احتدمت حول هذا الموضوع ، لا سيما وأن بعض الأعضاء كانوا ممن أصابته الصحافة بسهامها أو من مورتورى الصحف طويلة اللسان .. وانما أصدر بما تتيحه له سلطاته قرارا رئاسيا يتضمن العفو الشامل عن كل من صدرت ضده تهمة يتضمنها « قانون الخيانة » .

وأما عن حرية الصحافة ، فقد أدرك الرجل أنها والحقيقة التي يبحث الجميع عنها وجهان لعملة واحدة .. وأنه من الخير له ، وللدولة الناشئة أن تكون صحافتها حرة تماما .. ومن هنا ، فقد راح يعمل على تدعيم كل ما يتصل بهذه الحرية ، بل راح يتناولها في مناقشاته وجلساته ويحاول قدر جهده أن يجعلها سيدة الموقف ، كما أدرك بحصافته أن هذه الحرية سيكون لها فعل السحر في مجتمع جديد ، ينمو ، ويتكون ومن السهولة بسان أن تتسلل اليها المشكلات وأن يندس بين صفوفه العاملة الكاذبون والأفاقون والمرتشون ، وأن يعرقل ذلك البناء الكبير الذي يعلو في كل مكان ..

وكما كانت الأيام تتقدم بالرجل ، وتمضى بالولايات المتحدة الأمريكية ، كان ايمانه بهذه الحرية يزداد .. حتى أنه أرجع اليها جميع الانتصارات السياسية التي تحققت في عهده ، وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك كله على موقفه من الصحافة ، وموقفها منه ، تلك التي رأى أن يقدمها حتى على حكومته أو ادارته نفسها .. بل تعددت أقواله

التي تتناول أو تشير الى هذه العلامات المضيئة على طريق الصحافة ،  
وكان من بينها على سبيل المثال لا الحصر .. جميع هذه الأقوال :

\* « الوسيلة لمنع الأوضاع المتضاربة غير المنتظمة للشعب هي أن  
تنده بالاعلام الكامل عن شئونه بواسطة الصحف الشعبية » (٣) .

\* « لما كان أساس حكومتنا هو رأى الشعب فان أول هدف يجب  
أن يكون هو جعل هذا الرأى صحيحا .. ولن يكون ذلك بغير  
صحافة حرة » (٣) .

\* « ان الضمان الوحيد لنا جميعا .. انما يكمن في وجود  
صحافة حرة » (٤) .

\* « حيثما كانت الصحافة حرة .. وكل انسان قادرا على القراءة ،  
فكل شئ في أمان » (٥) .

\* « الصحافة خير أداة لتنوير عقل الانسان ولتقدمه ككائن عاقل  
أخلاقي واجتماعي » (٦) .

وأخيرا .. فان من أشهر أقواله تلك التي قالها وهم يطلبون منه  
ترشيح نفسه لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية للمرة الثالثة ، ورفض  
ذلك وفضل اعطاء الفرصة لغيره « اذا خيرت بين أن تكون لنا حكومة  
بدون صحف أو صحف بدون حكومة فاني لا أتردد لحظة في تفضيل  
الحالة الأخيرة » (٧) .

ألا يستحق الرجل تمثالا صغيرا .. في قلب كل صحفى ؟

ألا .. ما أبعد المسافة بين عهدينا .

عهد جون آدمز بقانون خيائته ومحاكماته وسجونه .

وعبدت . جيفرسون بكل ما أحاط به من احترام وتقدير للسلطة  
الرابعة يفسران هما جميع تصرفاته الصحفية ..

بل أكثر من ذلك .. يؤكد عهد هذا الرجل ، أو تؤكد الفترات التي  
تولى خلالها رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية .. أن الحاكم القوي  
المسكن الوائق من نفسه ومن قدرته ومن حكمته .. المتأكد من سلامة  
قراراته .. أن هذا الحاكم لا يمكن — بحال من الأحوال — أن يقف  
في مواجهة الصحافة ، أو أن يدير ظهره لها .. أو أن يحاول كسر الأقلام  
وتكسيم الأفواه .. بل انه يتجه اليها لتمارس مهامها في دعم ديموقراطيته ..  
وأصالة حكمه وحتى عندما تنتقد ، فان ذلك يعنى عنده ذلك الخلاف  
الذى لا بد منه من أجل الوصول الى الحقيقة ..

والحقيقة دائما هي الهدف  
وهي أيضا •• سيادة الموقف •  
أليس كذلك ؟!

---

(١) ابراهيم عبده : « الصحافة في الولايات المتحدة الامريكية » ص : ٧٦ .  
(٢) - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ ) حسين عبد القادر : « الصحافة كمنهج للتاريخ »  
ص : ١٩ .

بونابرت :

أيهما الأقوى ..

الجيش .. أم

الصحافة .. ؟

---

بونابرت :

## أيهما الأقوى الجيش أم الصحافة ؟

لم يكن من المعقول ، ولا من المقبول ، أن يدير رجل مثله ظهره  
للصحافة .. أو أن يتجاهلها أو يتجاهل قوتها ، وأثرها ، بحال  
من الأحوال .

ولم يكن من المعقول أيضا ، ولا من المقبول كذلك أن تدير الصحافة  
لرجل مثله ظهرها ، وأن تتجاهله ، أو تتجاهل قوته وأثره .. وبحال  
من الأحوال .

كان كلاهما يعرف للآخر قدره ، ويقدره ، ويعترف له به أيضا .  
وكان كلاهما يعرف أن التفاهم واللقاء والتعاون بينهما سيكون  
مفيدا للغاية ..

والا ، فمن غير الصحافة يستطيع أن يتحدث قوته ، وأن يحمل  
فكره ، ودعايته ، وينقل للناس أخبار معاركه ، وأنباء انتصاراته ..  
وحتى هزائمه أيضا ؟

ومن كذلك غيره يستطيع أن يمدّها بالكثير من المواد التي تملأ  
صفحاتها ، وجميعها من النوع الهام .. أو الأخبار صانعة المانشيتات ،  
والمقالات النارية التي تقيم الشعوب وتقعدها .. وتبقى هي للتاريخ  
تتحدث عن الرجل نفسه ؟

بل لمن تكتب الأقلام ، وتدور المطابع ، وماذا يقرأ الناس .. اذا لم يكن عن القائد العسكرى الفذ ، والرجل الخارق ، الذى صارت شجاعته وطموحه مضرب الأمثال ، وانتقلت قصص انتصاراته وغزواته .. حتى لقلوب النساء ، من جيل الى جيل ..

ذلك هو النسر الفرنسى ، الامبراطور نابليون بونابرت والذى قيل بشأنه الكثير ، والكثير جدا .. وكان مما قيل عنه ، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

« لقد كان نابليون بلا ريب رجلا خارقا فى حدة ذكائه وقوة شخصيته ، ولن يتعذر على من كان مثله أن يشق طريقه الى أسمى المناصب تحت أى ظروف وفى أى بلد ، فقد كان يتميز بجلده على العمل ، وقدرته الهائلة فى التنظيم ، وبصيرته الحاضرة ، وشجاعته الفائقة واستعداده الكامل لتحمل المسؤولية ، ومضائه فى تنفيذ أية خطة يأخذ على عاتقه تنفيذها ، أى أن جميع صفات الجندى قد اكتملت فى أعلى صورها ، وكان يملك الى هذا كله موهبة العبقرية التى تستعصى على التحليل » (١) ..

أقول .. هذا قليل جدا مما قيل عن الرجل وفيه .. منذ أخذ نجمه فى الصعود ، بعد أن نجح فى قيادة جنوده فى حصار طولون عام ١٧٩٣ ، على الرغم من مساعدة الأسطول البريطانى لأهلها ونجاحه كذلك فى القضاء على ثورة أهالى باريس ضد حكومة الادارة - الديركتوار - مما أدى الى اسناد قيادة جيش العاصمة الفرنسية له .. ثم ليبدى نجاحا أكبر يلفت الأنظار الى عبقريته العسكرية عندما بعثت حكومة الادارة بجيشين لحرب النمسا أحدهما ثانوى بقيادته ، ولكنه جعل هجومه يكون الرئيسى والفعال ، فعزل بين السردنيين والنمساويين وأنزل بالأولين هزيمة فى موقعه موندوفى ، ثم بالنمساويين عند لودى فى ١٠ مايو ١٧٩٦ ودخل ميلانو ، وحاصر الحصن النمساوى ، وأنزل بالنمساويين هزيمة ساحقة فى موقعة ريفولى - ١٤ يناير ١٧٩٧ - ثم استسلم الحصن .. وتوالت انتصاراته

الأوربية ، حتى عاد الى فرنسا ليعهد اليه مجلس الشيوخ مرة أخرى بقيادة قوات باريس .. وتتابع الحوادث حتى تصل الى الحملة الفرنسية على مصر تلك التي كان الهدف منها انجلترا ، ومستعمراتها وخطوطها البحرية أو على حد تعبير بعض الكتاب « لقد خيل لأعضاء حكومة الإدارة أنهم قد يجدون في مصر كعب أخيل الذي يمكن أن تهزم منه بريطانيا المنيعه . ولم يكن لدى فرنسا فعلا أى سبب وجيه لمحاربة مصر — كانت أول نقطة في التعليقات التي أعطيت لنابليون عند ارساله الى مصر هي : طرد الانجليز من جميع ممتلكاتهم التي يستطيع بلوغها » (٢) .

وتوالى الحوادث مسيرتها ويدمر ولسون الأسطول الفرنسى في خليج أبى قير ويفشل حصار عكا ثم يعود نابليون الى فرنسا ، حيث يسطع نحيه بشدة عندما يصوت أعضاء مجلس الشيوخ لصالح تعديل الدستور ويقوم هؤلاء باختيار ثلاثة قناصل ، أحدهم نابليون الذى يفوز بالسلطة أخيرا ، ليصير بعد ذلك امبراطورا في ١٨ مايو ١٨٠٤ ، وبعد حياة تذكر بقصص ألف ليلة يطلق زوجته « جوزفين » لأنها لم تنجب له ولدا يكون وليا لعهده ، ويتزوج من « ماري لويز » ابنة امبراطور النمسا .. ولكن الأحداث تسرع في اتجاه مغاير له ، فبعد عدة انتصارات على الأرض الأوربية تحالف الدول ضده ، وتهزمه جيوشها وتجبره على التنازل عن عرشه في ١١ أبريل ١٨١٤ ، ولكنه يهرب من أسره في جزيرة البا ويواصل الحرب حتى يهزمه « بلوخر » و « ولنجتون » في « ووترلو » — ١٨ يونيو ١٨١٥ — وتبعث به الى منفاه في « سنت هيلانة » حتى يموت بها وحيدا مقهورا مهموما في ٥ مايو ١٨٢١ .

ويا لها من حياة حافلة للنسر الفرنسى ، وميتة غير لائقة به ، ولكنها سنة الحياة ..

فاذا كانت هذه هي حياته .. فماذا عن موقف الرجل من الصحافة ،



أو مواقفه منها ؟ ، وكيف كانت علاقته بها ، وبرجالها ، ودولتها كلها ؟ ..  
ذلك ما تجيب عليه السطور القادمة ...

ان أول ما يدهش له القارئ ، عندما يعرف أن نابليون ومنذ كان ضابطا صغيرا ، كان يبدو عليه طابع القارئ الممتاز ، والنهم أيضا ، ويؤكد أكثر من مؤرخ أن فترة عمله الأولى بالجيش - ٧ سنوات - قد أتاحت له أكثر من فرصة ممتازة للقراءة والمتابعة ، خاصة في كتب التاريخ والجغرافيا ولا شك أن ذلك قد أفاده كثيرا، وعندما بدأ نجمه في الارتفاع، كان حريصا على تدوين أفكاره ومذكراته الخاصة ، كما كان يبعث من آن لآخر ، بتعليقات وشذرات وخواطر الى عدد من الصحف الفرنسية ..  
وفد تناول ذات مرة في إحدى هذه الكتابات موضوع الصحافة والسلطة، معلنا بذلك على هجوم الصحف الفرنسية على أعضاء مجلس الشيوخ ، وكان مما أثاره في هذه الكتابات بعض الموضوعات التي تتعلق بتبعية الصحافة في فرنسا ، وهل هي الأقوى أم مجلس الشيوخ ؟ .. وهل الصحفي في مثل هذه الظروف التي تجتازها البلاد يعتبر حرا في كتاباته ؟ وما هي حدود هذه الحرية ؟ ... الى غير ذلك كله من أسئلة عديدة ، وموضوعات مختلفة كانت تنجبه اليها أفكاره بما يؤكد أن موضوع الصحافة كان يشغل باله ، وهو يخطو خطواته الأولى .. على طريق المجد الكبير الذي حققه ..

بل ان عددا من المؤرخين ، والذين اهتموا بشخصيته وأفكاره وآرائه وحياته عامة لاحظوا أن الرجل كان يريد وهو في منتصف طريق المجد ألا يبدو وكأنه القائد العسكري الشاب الذي يمتلئ رأسه بفنون العسكرية والحرب وحدها ، والذي يعتمد على سيفه وخططه الحربية التي بهرت الناس فقط ، لا سيما خططه في تخفيف حركة القوات ، والمخاطرة واجتياز الصعب والتقدم من القلب والالتفاف وغيرها ، مما شغل الناس زما ، وما يزال يشغل العسكريين حتى اليوم ، ولكن بونابرت وبالإضافة الى ذلك كله كان يريد أن يلفت الأنظار اليه كقائد عسكري ،

ومثقف وذو ذوق للفن والأدب ، وأديب وناقذ أيضا « بل هو كذلك الرجل الضليع في فنون الحياة السلمية المتعطش للعلم المجل لطبقة المفكرين » (٢) .. بل يقال أيضا أنه في هذه الفترة من حياته ، وبعد ذلك أيضا ، وحتى عندما ارتفع نجمه كما لم يرتفع من قبل ، كان دائم الحرص على ارتياد الصالونات الأدبية التي كانت منتشرة في فرنسا في ذلك الوقت ، وكان يساهم فيها ليس كمستمع عادي ، وإنما كناقد وذو ذوق ، كما كان حرصه بالغا على زيارة المجمع العلمي الفرنسي واللقاء برجاله ، وكذا حضور المعارض الفنية العديدة ، والاتصال بنجوم الفن والأدب في العاصمة الفرنسية ، ويقولون أنه كان يحرص على ارتداء الزى الموسمي السائد ، وكان هذا الزى هو الظهور بمظهر المهتم بمثل هذه الأمور كلها .. كما يقولون أيضا أنه كان في أغلب أوقات حياته يعيش « متمشلا بالمثل الثلاثيني القائل ... القلم أفضل من السيف » (٤) .

وقد يفسر ذلك كله الاهتمام الكبير الذي أبداه الرجل للصحافة ، والذي أسفر عن اعتبارها سلاحا من بين أسلحته الماضية والفتاكة أيضا وذلك قبل أن يتولى الحكم ويصرح لأحد أصدقائه قائلا في نفس يوم توليته امبراطورا - ١٨ مايو ١٨٠٤ « ينبغي على الحاكم القوى أن يجعل الصحافة في خدمته » .. فبالإضافة الى كتاباته التي ظهرت على صفحات الجرائد الباريسية في بداية حياته العسكرية ، فإن من الثابت أنه أثناء حملته الايطالية الشهيرة والتي سبق التنويه بها ، عنى عناية بالغة بالاعلام الصحفي أسفرت عن اصدار صحيفتي « وجهة النظر الفرنسية » (٥) « بريد الجيش » (٦) .. كما كان يأمر بطباعة أخبار الحملة ، وأوامره العسكرية الى جنوده ، وكذا بعض المواد الدعائية ، في منشورات يوزع بعضها على الجنود ، وبعضها على الايطاليين ، كما يقول أحد مؤرخي صحافته (٧) أن الرجل كان يبعث أحيانا ببعض المقالات التي يكتبها من مقر قيادته في إيطاليا لتنتشرها الصحف الباريسية ، وكانت أكثرها مقالات

سياسية ، تتناول أحداث العصر نفسه عامة ، وأحداث فرنسا الداخلية خاصة ..

على أن هذه الاتجاهات الصحفية نفسها ، ورغبة الرجل في أن توازر الصحافة جنوده ، كانت أقوى ظهورا ، بشأن الحملة الفرنسية على مصر ، تلك التي وضع منذ بدء الاعداد لها ، ثم خلال اتجاهها نحو الشواطئ المصرية ، وفي تعامله مع المصريين ، ومع جنوده أيضا ، هذه الرابطة القوية بينه وبين الصحافة ، وذلك الدور الكبير الذي كان يرى أن على الاعلام الصحفي أن يلعبه .

ذلك لأن من الثابت أن « بونابرت » كان شديد الاهتمام بتزويد حملته بمطبعة أشرف بنفسه على استكمال معداتها وجهازها البشرى ، ويروى د . أحمد حسين الصاوي عدة صور من جهوده في هذا السبيل ، ومن ذلك اتخاذ حكومة الادارة في ١٦ مارس ١٧٩٨ قرارا بتعبئة كل المعدات الطباعة التي يحتاج اليها الرجل ، وكذلك حروف الطباعة العربية واليونانية التي توجد بمطبعة الدولة ، ومن الطبيعي ألا يتخذ هذا القرار الا بعد مطالبة من الرجل نفسه .. العضو القوي في هذه الحكومة « ولكن لما انقضت عشرة أيام على هذا القرار دون تنفيذ ضجر بونابرت فكتب: يشكو في لهجة حادة الى وزير الداخلية ببطء الاجراءات ، ويقول له أن مدير المطبعة والمواطن لا تجلس أظهرأ أسوأ النوايا ، ويرجوه أن يصدر أمره بشحن جميع الحروف العربية دون قوالبها - أمهاتها - التي توجه بتلك المطبعة ، ثم يطلب من الوزير كذلك اصدار أمره بشحن الحروف اليونانية التي كانت مطبعة الدولة وقتئذ تستخدمها في طبع أعمال زينوفون - ويقول ساخرا أنه ليس هناك ضير في أن ينتظر زينوفون ثلاثة أشهر حتى يتم سبك حروف جديدة مادامت الأمهات ستبقى بالمطبعة ، وأخيرا يطلب منه شحن حروف فرنسية من الأحجام المعتادة تكفي لاستخدامها على ثلاث طابعات «(٨) .

كما واصل نابليون كتاباته الى أعوانه يستعجل اعداد وتجميع هذه الحروف ، وكذا القوة البشرية التى ستعمل عليها ، كما أصدر قبل قيام الحملة عددا من القرارات التى تنظم العمل بهذا الجهاز الطباعى الذى جعل على رأسه المستشرق المعروف « جان جوزيف مارسيل » ..

والواقع أن هذه الاجراءات الطباعية البونابرتية لا تعكس فقط هذا الاهتمام الكبير بأن يدعم جيشه جيش آخر من هذا الجهاز الطباعى والاعلامى والعلمى الكبير.. وانما تعكس أيضا ذلك الفهم الكبير والكمال لدور المطبعة، وأهمية تجميع وصب حروفها، وشحنها دون أمهاتها، بالإضافة الى عنايته بعامل الخبرة .. وهى ما تزال أساسا فى العمل الفنى الطباعى ، والى فهمه لعنصر الوقت ليس على المجال العسكرى وحده ، وانما بالنسبة للمجال الاعلامى أيضا .. كما يضاف الى ذلك شديد عنايته بأن يصحب الحملة طابع مستقل هو « مارك أوريل » ، ثم أمره بنقلها الى الباخرة لوريان - الشرق - تلك التى عقد لها لواء القيادة على جيش مكون من أربعائة سفينة ينقلون « نحو خمسين ألف جندى وبحار » (٩) .

حتى اذا اقتربت الحملة من الشواطىء المصرية أمر بونابرت بطباعة منشور الى جنوده فى ٢٨ يونيو ١٧٩٨ ، يشجعهم فيه على بذل الجهد ، ويشير حماسهم بما ينتظرهم من مجد ونصر ، ويطلب اليهم احترام عقائد المصريين .. ثم مالبث أن قام بطباعة أول منشور باللغة العربية ، وترك أمر توزيعه الى عدد من الأسرى المسلمين الذين كانوا فى سجون مالطة المسيحية ، ليؤكد بذلك سياسته الاسلامية القائمة على تلك الدعاية التى يحاول عن طريق التصرفات الشخصية والمنشورات والصحف ، أنه أكثر ايمانا بالله من الممالك ، وأن الأمة الفرنسية هى أيضا أمة مسلمة ..

وعندما تم احتلال الاسكندرية ، كان حريصا على التأكد من سلامة انزال المطبعة الى البر ، فخصص ضابطا للإشراف على ذلك العمل ، ثم أمر بوضعها فى منزل قنصل البندقية ، بحيث تستطيع أن تطبع على وجه السرعة كل ما يراد لها طباعته .. وقد قام فعلا عن طريقها - خاصة بعد وصولها

الى القاهرة عن طريق النيل - بطباعة عشرات من المنشورات الدعائية والتي لعبت دورا أساسيا في الدعاية للحملة ودورها ، واعلام المصريين بهذا الدور بالاضافة الى ما أدته المنشورات الفرنسية من دور للجنود أيضا ، بسا في ذلك طباعة تقارير قادة الحملة ، وبيان أهم الأحداث الأوربية ..

حتى اذا كان يوم ٢٩ أغسطس ١٧٩٨ ، حيث صدرت دورية « بريد مصر » (١٠) .. تلك التي أراد بونابرت بها أن تكون همزة وصل بين الحملة والوطن الأم » والتي كانت تقوم بعملية طمأنة الحملة على الحالة الفرنسية الأوربية « كما عنيت أيضا بأخبار بونابرت الخاصة ، وكبار قادته ، ومن ذلك ما يقوله الدكتور ابراهيم عبده « تفاصيل زيارات بونابرت لعلماء المصريين ورجال دينهم كزيارته للسيد السادات في مولد السيدة زينب بناء على موعد سابق ، وتناوله العشاء هو وقواده في المنطرة وألوان الطعام التي قدمت اليهم وأنواع الحلوى التي تشبه ما يقدم في شهر رمضان والماء المسكر المعطر ، ثم راحت تصف الجدل الذي دار بينه وبين السادات عن القرآن ، وقد استغرق وصف هذه الزيارة صفحتين كاملتين » (١١) .. الى غير ذلك كله من مواد اخبارية دعائية كان الرجل حريصا على نشرها ..

كما صدرت كذلك صحيفة « العشرة المصرية » (١٢) - لصدورها كل عشرة أيام ، تلك التي أراد لها الرجل أن يكون اهتمامها بالغا بالأخبار والتقارير والدراسات المتخصصة والمجالات العديدة التي تتجه اليها مجهودات علماء الحملة ، في دراساتهم للمدن والقرى والعادات والتقاليد والنيل والواحات والصحارى .. وحتى الدراسة التي لم يحالفها التوفيق لعمل قناة تصل البحرين الأحمر والمتوسط ..

وبذلك كله ، وكأثر لاهتمامات هذا الرجل ، عرفت مصر الطباعة لأول مرة ، حتى قال البعض - د . اجلال خليفة - « لو لم يستقدم نابليون معه مطبعته لتأخر ظهور الصحافة في مصر الى أن تأتى هذه الآلة العجيبة الى بلادنا » (١٣) .. كما عرفت مصر الصحافة لأول مرة أيضا ..

في شكل تلك المنشورات العربية التي أمر نابليون ومن بعده « كليبر »  
« منو » بطباعتها وتوزيعها ، أو في شكل الصحيفتين المذكورتين .

على أن طيب المقام لبونا برت لم يدم في مصر ، اذ أجهده عكا في  
حصاره عليها وتفشى الوباء بين جنوده وعانت مراكب الانجليز أهلها حتى  
تحققت له الهزيمة ، كما كانت أنباء أوروبا عامة وفرنسا خاصة مزعجة كل  
الازعاج .. ومن ثم رأى أن يعود فوراً ، حيث وصل الى بلاده في ٩ أكتوبر  
١٧٩٩ بعد أن تعرض لخطر الأسر في الطريق .. ليقوم مقامه في مصر كليبر  
ثم منو ، وليستسلم أخيراً للانجليز والأتراك عشرون ألف فرنسي بالقاهرة  
والاسكندرية ، في أغسطس ١٨٠١ .. وانطوت صفحة هذه الفترة الهامة  
جداً من تاريخ الشرق عامة ، ومصر خاصة .

أما في أوروبا فقد واجه تألب الدول على النفوذ الفرنسي والقوة  
الفرنسية المتعاطمة ، وثورة عدد من البلاد عليها .. كإيطاليا وسويسرة  
وما تبعهما من جمهوريات وممالك وامارات صغيرة وتعاون قيصر روسيا  
بولس مع بريطانيا على إعادة بلاده الى حدودها الأصلية ، ثم دخول  
النمسا دائرة هذا التعاون .. وتحقيق هؤلاء لأكثر من نصر على الجيوش  
الفرنسية .. ثم نهضة هذه في النهاية دون أن تستطيع تحقيق نصر حاسم  
قبل وصول بونا برت من مصر .. حتى اذا وصل الرجل وواجه ثورة  
مجلس الشيوخ ضد خطاب له باستدعاء قواته لدخول المجلس وفرار  
أكثرية الأعضاء ، وتصويت البقية الباقية لصالحه في ١٠ نوفمبر ١٧٩٩ ..  
ليصبح القنصل الأول .. وليبدأ في صراعه العسكري الكبير الذي انتهى  
باتتصاره في أميان - مارس ١٨٠٢ - ثم بتعيينه امبراطوراً في  
١٨ مايو ١٨٠٤ ..

واذا كنا قد عدنا خلال هذه السطور القليلة السابقة الى قصة الرجل  
نفسه ، فإنا نعود خلال السطور القادمة الى صحافته ..

ذلك أن الرجل ما كاد يتولى حكم فرنسا بوصفه قنصلا أول ، حتى بدأ يسير دفقة الحكم على هواه .. « ولم يلبث أن ضرب عرض الحائط بنظم الحكم التي أنشئت على أثر ثورة برومير - نوفمبر - فلئن كان لتلك النظم نفع بادئ الأمر كستار يخفى وراءه حكمه الفردى ، فانه لم يلبث أن ألقى نفسه فى غنى عنها بعد أن ازداد ثقة بنفسه واطمأننا الى تأييد رأى العام ، فأخذ يعصف بها ، وراح يحكم دون حتى مجرد التظاهر بأشراك الشعب معه .. وهو لم يتجه بحكمه أكثر فأكثر نحو الأوتوقراطية الصريحة فحسب ، بل طفق يتخلى كذلك رويدا رويدا عن كل أثر لمنشئه الثورى » (١٤) فاذا أضفنا لذلك كله ، أن المعارضة ضده كانت تعود فتقوى ، مع اتحاد الدول فى مواجهته ، وحيث يبدو أنه يجتاز بعض المواقف العسكرية الصعبة ، ثم بتجمع الملكيين حيناً واليعاقبة فى حين آخر ، وتوافق ذلك مع الحق الخارجى المكتوم : أو الذى يصرح عن نفسه ، ومع ما يحسه بعض الضباط الذين كان يتقدم الصفوف فوق أكتافهم .. من حسد وغيره ، تلاقت هذه جميعها مع رغبات الرجل الكامنة أو الظاهرة فى الانفراد بالسلطة والحكم ، ودون منازع ، ثم اتجأه الى تثبيت دعائم حكمه الفردى لتظهر بعد ذلك فى صورة خوف من هؤلاء جميعا .. يظل يستبد بالرجل ، وتتضاعف جرعته ، مع ارتفاع عدد من هذه الأصوات المعارضة فى الصالونات والجمعيات والمجالس ثم تمتد هذه الى الصحف أيضا .

.. كان بوناپرت يعرف تماما كيف يمكنه أن يسكت هذه الألسن جميعها .. باستثناء الصحافة .. أما أحاديث الصالونات والجمعيات ، فانه كان يعتبر أصحابها من هؤلاء الذين ليس لهم عمل الا تناول غيرهم بالنقد ، كما أنهم كانوا قلة فى المجتمع الفرنسى العريض ، خاصة وهو يتمتع بتأييد الجهات المحافظة ، والكنيسة ، وجماهير الشعب والفلاحين ، وهو ما عبر عنه بعد زمن طويل لأحد أصدقائه قائلا : « أنا لا أفعل

شيئا الا أنني أحرك خيال الأمة » .. واذن فما دامت الأصوات المهاجمة داخل الجمعيات والصالونات ، هي قطرات ماء قليلة وسط محيط الشعب الفرنسى ، الذى عرف الرجل كيف يحرك خياله ، ويلهب ملموحه الى فرنسا قوية ، سيدة على أوروبا ، حتى أن هذا الشعب طالب بتجديد مدة قنصليته لفترة أخرى تبلغ عشر سنوات - وهو ما يزال فى بداية فترته الأولى - ثم بتعديل ذلك الى أن يصبح قنصلا مدى الحياة .. ما دامت هذه الأصوات لا تتعدى هذه الأماكن الضيقة ولا تقفز فوق حدود أسوارها .. فهي ضعيفة ، ولن تكون محرقة أو مؤثرة ..

وأما اتحاد الدول الخارجية ضده ، فان السيف والمدفع ، وميادين المعارك وحدها هي التى تقرر الفصل فيها ..

وأما المجالس التشريعية والأجهزة الدستورية الأخرى ، فقد سبق له التعامل معها ، وانه ليعرف تماما كيف يستطيع أن يلجم أفواه أصحابها ، بدعوى تهديد الأخطار الخارجية تارة ، وبدعوى منحه حرية الحركة والتصرف تارة ثانية ، وبدعوى تعديل الدستور والى حد تجسيده تارة ثالثة ، كما أنه يعرف كيف يتحايل على هذه الأجهزة أيضا ، وفعلا قام بإدخال بعض التعديلات التى حولت مجلس الدولة الى مجلس خاص يمين هو أعضائه وله وحده حق التقدم بجميع الاقتراحات .. وحتى فى حالة فشل جميع هذه الطرق ، فان هناك طريقة أخرى سبق له أن قام بتجربتها ، وكان لها الفضل الأول فى هذه المكافحة التى يحتلها .. عندما اقتنح جنوده مجلس الشيوخ ، وفر من الأعضاء من فر ، ووافقت البقية الباقية على الرجل ، وأفكاره ، وطموحه .. واستغلاله أيضا .

واذن فقد بقى طرف واحد .. هو الذى يستطيع أن يواجهه ، وأن يساعد على أن تقفز الأفكار الثورية من فوق أسوار الجمعيات والصالونات ، وأن تتسلل أيضا أفكار الأعداء الذين يحيطون بالبلاد ، ويتمنون للنسر فرصة اغفاء واحدة ، كما أنهم يستطيعون الإشارة الى



ذلك النوم الطويل الذى يغط فيه الدستور ، والأجهزة الدستورية ،  
والى مجلس الدولة البونابرتى الخاص الذى يحركه الرجل كما يشاء  
ووفق هواه ..

كان ذلك الطرف المقلق ، هو ما تمثله الصحافة الفرنسية ، تلك التى  
ساهمت الى حد كبير فى نشر أفكار الثورة فى الاخاء والحرية والمساواة ،  
وكانت سلاحا قويا فى يد كبار الثوار ، ساهم الى حد ما فى تكوين الرأى  
العام الفرنسى ، كما كان لنشرها لأفكار الجيرونند واليعاقبة معا ، أثره  
الكبير فى انتشار الفكر الثورى .. ذلك الذى قضى على العديد من  
الصحف والصحفيين الفرنسيين ، ولم يبق منها خلال عهد الارهاب  
السايق على حكومة الادارة ، الا ما يناصر لجنة الأمن العام .

تتابعت هذه الأفكار كلها فى رأس الرجل ، وعاد بذهنه الى الورا  
ليتخس دور الذى قامت به الصحافة ، والذى يمكن أن تقوم به ،  
ثم لوى عنقه بشدة الى ما يمكن أن تحققه لأعدائه فى الداخل والخارج ..  
ومن هذه النظرات والتحليلات كلها ، وبالمواءمة بينها وبين دراسته  
السابقة لمواقف الحكام من الصحافة ، وتعطشه المتزايد الى الحكم  
الفردى ، أيقن الرجل أنه لن يستطيع أن يحقق أحلامه ، أو يمارسه  
ديكتاتوريته ، أو ينتصر على أعدائه فى الداخل والخارج ما لم يقيم بعملية  
تنظيم جادة وحاسمة لها ..

باختصار شديد لقد أراد لها أن تكون فى جانبه ، وفى جانبه وحده ،  
تؤيد ، وتصفق ، وتهتف شأنه فى ذلك ، شأن الديكتاتوريات العسكرية  
التي كان يقرأ تاريخها ، ويستخلص منه ما يقدم له الفائدة .. ومن هنا  
فانه أرسل بعض أعوانه يجمعون له نماذج من هذه الصحف ، ويقدمون  
التقارير عن العاملين بها ، ونوعياتهم ، وأفكارهم السياسية ، ومواقفهم  
السابقة والحالية ، كما قام بسحب جميع رخص الصحف الباريسية ،  
انتظارا لما تسفر عنه هذه التقارير ، وبعد أن أتم دراستها بنفسه أصدر

قراره الحاسم بأن « القنصل الأول » يأذن لثلاثة عشرة جريدة فقط بالصدور من مجموع ٧٢ صحيفة كانت تصدر في باريس في ذلك الوقت .. ولكنه أعطى أصحاب هذه الصحف حرية العودة في الصدور اذا رغبوا ، وبعد أن يثبتوا عكس ما جاء في هذه التقارير العلنية والسرية وقد حدث بعض أصدقائه من المقربين عن ذلك الاجراء قائلا : « لا أريد أن تصدر الصحف وحسب بل وأن تكون مؤيدة لى » .. كما كتب يقول بالحرف الواحد : « لو أرخيت العنوان للصحافة لما بقيت ثلاثة أشهر في الحكم » (١٥) ..

وإذا كان عدد من المؤرخين قد أشاروا الى هذا الاجراء والى ما تلاه من اجراءات أخرى بعبارات من مثل تلك التى يقولها فيل (١٦) - مؤرخ الصحافة الفرنسية - « كان نابليون يؤمن بقوة الصحافة وكان هذا الايمان يشغله دائما » (١٧) أو قول شارل رو عنه أنه « أحب الصحافة دائما بشرط أن تكون رسمية » (١٨) .. فان مثل هذه الأقوال الكثيرة تفسر هذه الاجراءات نفسها ..

وأما عن هذه الصحف التى سمح لها بالصدور فقد اتبع معها نظام رقابة صارم ، على جميع موادها تمكن بواسطته من أن يوجهها التوجيه الذى يخدم أهدافه وغاياته ، كما أن هذه الاجراءات والقرارات نفسها والتي تضمنها ما يعرف بمرسوم ١٧ يناير ١٨٠٠ ، استثنى من بينها صحيفة واحدة هى صحيفة « لومونيتور » (١٩) بل جعل منها لسان حكومته ، وصحيفة الدولة الرسمية ، والتي تنقل أفكاره وآراءه وتعليماته وقراراته الى القراء داخل فرنسا وخارجها .. كما تجمع مراجع الصحافة على أن الرجل كان يمارس بنفسه الاشراف على كل كبيرة وصغيرة فى هذه الصحيفة الناطقة بلسانه بدءا بتحرير المقالات ، ومرورا بتوجيه المواد الأخرى ، وحتى أعمال الادارة والتوزيع .. بالاضافة الى العمل الأساسى .. عمل الرقيب نفسه مما دفع بهذه الصحيفة عدة خطوات

الى الامام ، وأجبر الصحف الأخرى على أن تنقل عنها أخبارها ومادتها عامة .. ولكن أكثر هذه الأعمال ، كان يقوم بها من وراء ستار ، أو بصفة شه سرية .. فى البداية .. ثم مارسها - جميعها - علنا .

ولكن ، مع ازدياد المعارضة لأعمال الرجل ، ومع قيام أكثر من محاولة لاغتياله بدأت فى ديسمبر عام ١٨٠٠ بالقاء قنبلة عليه وهو فى طريقه الى دار الأوبرا ، ثم بتكرار الاعتداء عليه من جانب اليعاقبة من المتطرفين ، بدأ الرجل يتجه الى المزيد من الاجراءات التى تعجمد الدستور ، وتعطل عمل الأجهزة والمؤسسات الدستورية .. وكان من الطبيعى أن تنال الصحافة جانبا كبيرا من هذه الاجراءات العديدة التى استمرت قائمة خلال أكثر فترات حكمه ، وحتى نفيه ووفاته فى سنت هيلانه ، على النحو الذى سبقت الإشارة اليه .. وذلك باستثناء الصحف الأدبية ، تلك التى كانت تتمتع بكثير من الحرية فى عهده ، ولتقدم احدى واجهات الدعاية المشرقة للرجل نفسه ، الذى يعمل على رفعة الأدب ورقى العلوم والمعارف .. أما غيرها ، فقد واجهت العديد من صور الديكتاتورية البونابرتية والتى صنعتها قبضته الفولاذية .. وكان من بين هذه الصور نفسها ، بالاضافة الى صور الصراع الناشب بين الصحفيين وبينه والى الأقوال التى تناولها .. هذه كلها :

✽ فقد ذكر عنه أنه قال وكتب فى مذكراته أيضا يقول : « اننى أوجس خيفة من ثلاث جرائد أكثر مما أخاف من مائة ألف مقاتل » .. ربما يكون ذلك هو سبب ما رواه عنه مترنيخ بعد ذلك بقوله : « ان الصحف كانت تساوى بالنسبة لنابليون جيشا مؤلفا من ثلاثمائة ألف مقاتل » ..

✽ وعندما كتبت الأدبية الكاتبة الصحفية « مدام دى ستيل » كتابها « فى ألمانيا » والذى صورت فيه حالة الحرية والتقدم والحفاظ على الدستور السائدة هناك ، متمكنة بذلك من توجيه ضربة انتقادية

الى عهد نابليون على طريقه « ما هنالك » التى تؤدى الى الحديث عن : « ما هنا » .. أمر الرجل بوضعها تحت المراقبة الدقيقة ، وسلط عليها عيونهم ، وكادت أن تتعرض للسجن ولكنها تمكنت من الهرب من هذه العيون الى انجلترا بعد أن أقض كتابها مضاجع الرجل .

✽ ويقول محمود سمهان : « وعناية نابليون بالصحافة وخطرها ، كان له أثره فى عصره فأمن بهذا الخطر رجال الدولة ، بعد أن كانوا ينظرون الى الصحافة نظرة استهانة ، وبلغ هذا الايمان حدا قال معه غوش أحد رجال نابليون : كلمة واحدة يهاجم بها وزير على لسان جريدة كافية لأن ترغمه على الدفاع عن نفسه فى عشر صفحات » (٢٠) .

✽ وقبل أن يصادر الرجل جريدة « البابليسييتى » (٢١) كان يوجه اليها مزيدا من الانتقادات بشأن مادتها ، كما يروى أيضا أنها عندما نشرت بعددها الصادر فى ٢٠ يناير ١٨١٠ مقالا تناولت فيه بعض الشئون الإسبانية بشكل وأسلوب لم يعجبه ، فانه أنذرهما بالمصادرة اذا لم نكتب مقالا آخر ، تصوب فيه ما وقع من أخطاء ، فما كان من الصحيفة الا أن كتبت مقالا يحمل ما يريده الرجل ، وكان المقال الثانى مغايرا تماما للمقال الأول ، من زاوية المضمون والتفاصيل العديدة التى وردت فيه .. ولكن عندما تكرر وقوع الصحيفة فى هذه الأخطاء فانه أمر بتوقفها عن الصدور تماما كما كان قد سبق وأن أوقف صدور «غازيت» ، والتى كانت من كبريات الصحف فى عهده ، لأنها نشرت خبرا واحدا غير مرغوب فى نشره .. فعوقبت بالمصادرة لعدة أيام .

✽ ويحكى - محسن محمد - كيف ضاق الصحفيون بعسف الامبراطور ، واضطهاده لهم ومصادرته لحريةهم وفرضه رقابة منعت نشر أى نقد للامبراطور .. ولكن الصحفي - راؤول ريجولت - استطاع أن يتغلب على الرقابة بالحيلة والدهاء .. ولنقرأ معا ما فعله :

« اختار أحد المتسولين ومنحه عشرين فرنكا مقابل توقيع على اقرار يقدم لوزارة الداخلية ، بطلب الترخيص باصدار مجلة اسمها الطبيعة وأنزل المتسول في أحد الفنادق الكبيرة بعد أن اشترى له ملابس جديدة تناسب المقام ..

ووجدت الوزارة أن الاجراءات مستوفاة ، فوافقت على اصدار المجلة باعتبار أن عنوانها لا يشير أية اشارة الى أنها ستعالج الأمور السياسية ..

وفي العدد الأول كتب ريجولت : قرائى الأعزاء سنقدم لكم ابتداء من هذا العدد دراسات فى التاريخ الطبيعى نستهلها بالحديث عن الصقر الفرنسى الذى يسمى خطأ ملك الطيور ..

ثم يستطرد قائلاً بلا مقدمات :

الصقر طائر مفترس ، خطاف ، جبان ، متوحش ، يعيش على لحوم الحيوانات والطيور الأخرى الضعيفة ، ويذهب الى أعشاشها لسرقة بيضها ، فقد رأوه كثيراً وهو ينقض على الحملان الوديدة لينزع صوفها ليفرش به وكره .. انه لا يرجع أبداً عن أى عمل قاس ليثبع فمه الذى لا ينتهى ! وبعد كل ذلك ، قد نعتبر المشتغلين بالعلوم الطبيعية على حق فى تسمية الصقر ملكا ، لأن أغلب الملوك الذين هم على شاكلة الصقر - يتغذون عادة من دماء رعاياهم .. » (٣٣)

ولكن المسئولين فى وزارة الداخلية كانوا قد أدركوا أن المقال يقصد الامبراطور .. فتحركت الشرطة لمصادرة المجلة ، الا أن تحركها جاء متأخراً .. بعد أن أصبحت نسخها فى أيدي القراء ..

أما الصحفى نفسه ، فقد حصل على ترخيص جديد باصدار مجلة باسم « الجغرافيا » ثم « العلم للجميع » .. وهما تتناولان نابليون

وتشبهه الأولى بالجبل والثانية بالأوزة ، ويكال النقد للجبل الذى لا يتحرك ، ولا يعرف العواطف أو الاحساسات ، بل هو جامد دائما .. صلد أبدا .. أو للأوزة المتخيلة ، المعجبة بنفسها ، وهى تقود صغارها .. « وعندما ترى النيابة تقديم رئيس التحرير الى المحاكمة ، بتهمة « اساءة استعمال التاريخ الطبيعى ، لا تعثر عليه أبدا .. لأنه يكون قد غادر الفندق ليعود الى التسول ، غير شاعر بأنه قد ساهم فى الحملة ضد نابليون » (٣) .

- (١) ج.ج. جرانت - هارولد تمبرلى - ترجمة بهاء فهمى « أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرون » ص : ١٣٩ .
- (٢) المصدر السابق ، ص : ١٥٥ .
- (٣-٤) هيربرت فيشر - ترجمته محمد مصطفى زيادة : « نابليون » ص : ٨٢ .
- La France vue de L'armee d'Italie (٥)
- Le Courier de L'armee (٦)
- الدكتور أحمد حسين الصاوى . (٧)
- أحمد حسين الصاوى : « فجر الصحافة فى مصر » ص : ١٩ . (٨)
- المصدر السابق ، ص ١٨ . (٩)
- Le Courier de L'Egypte (١٠)
- أبراهيم عبده : « تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية » ص : ٦٣ . (١١)
- La decade Egyptienne (١٢)
- أجلال خليفة : « الصحافة » ص : ٣٢ . (١٣)
- ج.ج. جرانت - هارولد تمبرلى - ترجمة بهاء فهمى « أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرون » ص : ١٨٠ . (١٤)
- فرنان ترو - ترجمته محمود الفندور : « الاعلام » ص : ٢٣ . (١٥)
- Weill (١٦)
- أحمد حسين الصاوى : « فجر الصحافة فى مصر » ص : ٢٨ . (١٧-١٨)
- صحيفة Le Moniteur universel التى كان محررها الرسمى تاليران Talleyrand الذى تولى فى وقت من الاوقات وزارة الخارجية الفرنسية قبل ان يغضب عليه بونابرت ويعزله . (١٩)
- محمود سمهان : « الصحافة » ص : ٨٤ ، ٨٥ . (٢٠)
- Publicite (٢١)
- محسن محمد : « حكايات صحفية » ص : ٣٣ ، ٣٤ . (٢٢-٢٣)

وارين هاردينج .

---

هل مات الرئيس  
الأمريكي مفتولا ؟

---

## وارين هاردنج :

### هل مات الرئيس

### الأمريكي مقتولا ٠٠ ؟

خبر واحد فقط ، مكون من ٢٠ كلمة ، تناولته وكالات الأنباء والاذاعات والصحف العالمية منذ ما يقرب من ستين عاما ، ولكنه ما يزال حتى الآن ، يضرب به المثل في الغموض والابهام .. ويلف أسباب وقوعه عدد كبير من الستائر السوداء التي نجحت - على الأقل حتى الآن - في أن يظل السر في بير ، بل وفي سابع بير أيضا .. بينما لم تنجح هذه الستائر نفسها في أن تلغى الخبر تماما من الأذهان ، أو أن تتحول هي الى ستائر النسيان ..

فما يزال الخبر نفسه ، منذ حمله البرق على أجنحة أجزاسه الثرارة ، على حد تعبير « فيل أولت » .. ما يزال عالقاً بالرؤوس ، يثير الريب والشكوك ، وتقفز على ذكره الى الوجوه عشرات من علامات الاستفهام .. تلك التي ما تزال بدورها تبحث عن اجابة شافية هي : من قتل الرئيس ؟.. ولماذا قتله ؟

وصحيح أن الخبر المثير نفسه والذي يعد من أبرز الأخبار العالمية اثارة في فترة ما بين الحربين العالميتين .. ان لم يكن أبرزها على الاطلاق .. هذا الخبر قد حمل الى المواطن الأمريكي والقارئ والمستمع العالمى ، سببا وجيها جدا ، ولكن حتى والخبر نفسه تنقله عشرات من الوكالات العالمية والمحلية ، كان الناس في الولايات المتحدة يشكون



كثيرا فى صحة هذا السبب ومن ثم راحوا يتحولون بسرعة ، الى الأحداث القريبية ، والأخبار الشخصية ، والتكهنات والتخمينات .. ذلك لأن قلة قليلة جدا .. كانت هى التى تقف على حافة التصديق ، ولا تصدق تماما .. ما جاء فى هذا الخبر الذى تم بثه وتمت اذاعته مساء ١٤ أكتوبر عام ١٩٣٣ والذى يقول :

« توفى فى الثامنة وخمس دقائق من مساء اليوم الرئيس وارن هاردينج بسبب جلطة فى المخ لم تمهله سوى دقيقة واحدة » .

ولأن « الرجل » ليس شخصا عاديا ، ولأنه لم تنشر أخبار كثيرة عن سوء حالته الصحية ولأن الشعب الأمريكى كان يتابع أخباره ومعاركه مع الصحافة ، وحتى مع زوجته أيضا ، بعد أن كشف عن هذه المعارك العائلية بعض الصحفيين ، ولأن هناك بعض الخلافات العديدة التى كانت تطفو على سطح الحياة السياسية ، وتمتد حتى داخل البيت الأبيض نفسه .. لهذه الأسباب العديدة ، فقد كانت وفاة الرئيس والكشف عن سببها الحقيقى - وهو ما لم يعرف بعد - من أبرز القصص التى تنافس أكثر الروايات البوليسية اثارة ..

فهل كانت الصحافة هى السبب ؟ أم أنها زوجته ؟ أم أنه رئيس مختاراته ؟ أم طبيبه الخاص ؟ ..

واختلفت الآراء ، وتعددت ، واختلفت التكهنات أيضا ، وأصبحت المسألة شبه أسطورة .. بل أصبحت شغل المجتمع الأمريكى الشاغل ، بل تطوع عدد كبير من المخبرين السريين ومن هؤلاء الذين يقومون بالمهام الخاصة ، وحتى من يدعون العلم بما وراء العالم المعروف ولكن أحدا منهم لم يصل فى بحثه الى اجابة شافية ومعقولة على السؤال الكبير نفسه .

على أن أغلب أفراد الشعب الأمريكى ، ومن بينهم عدد كبير من المثقفين ، ومن العارفين بالرئيس نفسه راحوا يقولون : فتشوا عن الصحافة .. انها السبب بشكل مباشر أو غير مباشر .. ان لها قصب السبق ، النصيب الأكبر فى مقتل الرئيس !!

وكان فى أيدي هؤلاء ، بعض الأسباب التى كانوا يرون من خلالها ، أن العلاقة غير العادية ، وأن الكراهية المتطرفة ، وأن الحب المفقود دائما بين الرئيس وبين الصحافة الأمريكية هى التى دفعتة أخيرا الى هذا المصير ..

ولكن كيف ؟

يا لها من مسألة غامضة أخرى .. بل ان من الغريب - حقا - أن يحدث ذلك للرئيس الذى كان صحفيا أصلا ، بل والذى مارس عددا كبيرا من الأعمال والمهام الصحفية بدءا بأعمال التحرير والكتابة العادية ، ومرورا بأعمال الإدارة ، وحتى عندما انتخب رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية فانه كان يمتلك ثلاث صحف هامة ، وناجحة وهى صحف « ماريون - أهيو - ستار » وأكثر من ذلك ، فقد كان حرصه بالغاً على عقد المؤتمرات الصحفية بالبيت الأبيض ، وكان يقدم للمندوبين بيانه بكتابة : « زملائى » .. وكثيرا ما كان يقول لهم : « نحن أبناء مهنة واحدة » .. بل يقولون عنه أنه كثيرا ما كان يفشل فى حجب عدد من الأنباء الهامة عن مندوبى البيت الأبيض ، ومن أجل ذلك فقد كان يورط نفسه ويورط حكومته أحيانا بسبب بعض الاجابات التى لم يكن يعمل بالنسبة لها بالحكمة التى كان يسير عليها الرؤساء قبله والقائلة : « ليس كل ما يعرف يقال » .. بل يقولون أيضا أن بعض اجاباته كادت أن تفسد عليه سياسة الدولة .. وقد ظل كذلك وقتا طويلا ، حتى أشار عليه وزير خارجيته ألا يجيب على أى سؤال لصحفى أو مراسل لا يقدم اليه غير مكتوب ، ونصحه بعض أعوانه عندما شاهدوا ضعفه أمام عمله

السابق أن يطلب تقديم قوائم الأسئلة قبل انعقاد المؤتمر بعدة ساعات .. ولكنه كان يرفض ذلك باصرار .. ترى ، هل كانت تلك سياسته ، أم أنه كان يحن ، وبشكل ما ، الى مهنته القديمة ؟

كذلك فقد كان الرجل يتمتع بشخصية شعبية لا بأس بها ، ويكفى أنه انتخب بأغلبية سبعة ملايين صوت كاملة .. وهى أغلبية كبيرة جدا ، ولم تحدث فى التاريخ الأمريكى وهذا وحده يكفى لأن تصبح هذه الشخصية الأنموذج والقدوة ، وذات البريق والاثارة لعشرات السنين .. وقد ازدادت هذه الشخصية نفسها بريقا ، وشهرة ، وبالتالي شعبية عندما أحرز فى بداية حكمه نجاحا كبيرا فى مسألتين هامتين .. وهما : تخفيض نفقات تسليم جيش الولايات المتحدة الأمريكية ، وكذا تخفيض الضرائب ، ولم يلق بالآلى المعارضة الشديدة من جانب العسكريين أو رجال الاقتصاد والادارة .

ولكن ، لا زمالته القديمة ، ولا بعض التقاليد التى أرساها لمؤتمرات الرئيس الأمريكى الصحفية ، ولا شعبيته الكبيرة .. هذه كلها لم تفلح فى حمايته من الأقلام الصحفية التى تنبش دائما عن الأخطاء وتفتش عنها بعينى صقر ، وتتبع رائحتها كما الكلاب البوليسية ، وتحاول دائما أن تتحين فرصة ضعف واحدة تبدو .. لكى تهاجم ، وتكشف المستور ، وربما تضيف اليه أيضا كثيرا من بنات أفكارها فما ان ظهرت على السطح بعض قضايا الرشوة واستغلال النفوذ لعدد من رجال البيت الأبيض من غير المقربين من الرئيس .. حتى أمسكت الصحف عامة ، و « سترداى ايفرننج بوست » (١) خاصة بتلك الخيوط الاخبارية .. وراحت تجمعها وتتبعها فى حديقة البيت الأبيض ، وبعض أحياء واشنطن العاصمة ، ومدارسها أيضا .. حتى اشتدت الحملة عليه تماما .

على أنه خلال هذه الأوقات كلها ، كان هناك الصحفى المخبر المحقق « سامويل د . كليفت » الذى كان يتابع خيوط قصة الرئيس وارن

هاردنچ ، والذي كشفت متابعته الغريبة عن عدد من الخبايا والأسرار ..  
التي يقولون أن كشفها كان هو السبب في إصابة الرجل بالذبحة  
الصدرية .. وأخيرا في وفاته ..

بل ويقولون أيضا ، أنه حتى اذا لم تكن الوفاة قد تمت بهذا  
السبب ، أو بغير السبب الذي أعلن عنه في خبر وفاته — جلطة في المخ  
لم تمهله دقيقة واحدة — فان السبب أيضا لن يخرج عن ذلك الدور  
المقزز ، لذلك الصحفي الذي نبش حياة الرجل وأخرج منها كل مستور  
قضى — في النهاية — عليه .

ومن الغريب أن هذا الرجل نفسه — الصحفي سامويل — رفض  
أن يترك فريسته حتى بعد الوفاة ، بل دخل في السباق المحموم من أجل  
الاجابة على السؤال الكبير نفسه .. من قتل الرئيس ، وفاز أيضا على  
جميع المتسابقين ، وحقا ، لقد كان هذا الرجل يمثل دور « الضبع »  
ذلك الحيوان الرديء السمعة جدا ، الذي يتبع الانسان في نهم منقطع  
النظير .. ويظل يتبعه فترة طويلة من الوقت دون أن يستطيع أن يهاجمه  
طالما يقف الانسان على قدميه ، أو يعطى له وجهه ، وطالما يحس قوته ..  
فاذا غفل الانسان عنه .. ولو للحظة واحدة ، وأدار له ظهره ، أو اذا  
جلس على الأرض أو نام ، أو حتى مال بجذعه ليلتقط شيئا ، أو استدار  
ليتناول جرعة ماء ، أو بدا عليه الارهاق ، فانه يهاجمه فورا .. فاذا لم  
يجد طعامه باستخدام هذه السبل .. فهناك القبور التي لا يجيد  
نشرها مثله .

ولكن هذا « الضبع البشري » كان يبدى خلال الايام الأخيرة لحياة  
رئيسه بعض العطف عليه ، حتى قيل أنه سئم من متابعته تماما .. وأكد  
سامويل نفسه ذلك بمقال افتتاحي ، يبدو فيه أنه يراجع نفسه ، وأنه يندم  
على ما اقترفه من ذنوب كثيرة ، في حق الرجل .. بل ان عنوان المقال نفسه  
كان هو « مراجعة هادئة لرجل هادى » .. حتى أن زوجته — على

ما قيل — سألته أن يقرأ هذا المقال قبل وفاته بثوان معدودات وهو يرقد في جناحه الخاص بفندق في سان فرانسيسكو.. حيث دار بينهما الحوار التالي :

الزوجة : هل قرأت صحف اليوم ؟

الرئيس : ولماذا ؟ ولماذا .. وهل هناك ما يهم ؟

الزوجة : نعم ..

الرئيس : لا أعتقد .. فالدنيا على ما هي عليه ، والناس فيما هم فيه من شئون ، كما أنني ضقت تماما بهجومهم على .. انهم يهاجموني دائما ، بسبب وبغير سبب .

الزوجة : ولكن هذه افتتاحية لا تهاجمك .

الرئيس : لا أصدق .

الزوجة : بل انه الواقع حقا .

الرئيس : ومن هو كاتبها ؟

الزوجة : انه سامويل نفسه .

انطلق الرئيس يقبض على الصحيفة وهو يردد .. سامويل .. سامويل .. غير معقول ، غير معقول .. نظر الرجل الى عنوان المقال ثم ناول زوجته الصحيفة لتقرأ له .. ولكن هذه ما تكاد تبدأ قراءتها حتى كان الرجل قد مال بجسده على الوسادة .. وفارق الحياة ! ..

كل ذلك صحيح ، بل وتردد أكثر منه ، من تلك الصور التي تشير الى سأم المطارد — بكسر الراء — ولكن سامويل نفسه ، بدأ العمل من جديد .. ومع اختلاف في الهدف هذه المرة .. نعم ، انه ما كاد يستمع الى خبر الوفاة ، الا وقد أحس أن قصصه الاخبارية ، وأن تحقيقاته كانت هي

السبب ، بشكل أو بآخر .. ومن ثم ليبدأ بحته يأخذ طريقا آخر ، ولتبدأ تحرياته تمسك بخيوط الحادثة ، وتقبض عليها جيدا .. وكانت بدايته الى ذلك ، بعد هذا الاحساس الجديد .. أو هذه المراجعة الانسانية الهدف النهائي الذى حدده فى سؤال يقول :

هل مات الرئيس وارين هاردينج ميتة طبيعية .. أم أن فى الأمر جريمة ؟

بعد كثير من الملف والدوران ، والانتقال الى أكثر من مكان ، ومخاطبة عشرات الأشخاص ، ومن جميع المستويات الفكرية ، والطبقات الاجتماعية ، وبعد سهر كثير وجمع لعدد لا يحصى من المعلومات، ومقارنتها ببعضها وبأقوال الأطباء والقادة والمعارف والأصدقاء والمرضى والمرضات والخدم والخدمات أيضا ، بعد كل ذلك ، كانت قد طفت على السطح عدة مشاهد غريبة ، أمكن ربطها ببعضها ، وبالعامل على اتصالها ببعض الأحداث الماضية وكذا بعض المثالب والفضائح ، والقصص والشائعات .. أمكن للصحفى أن يثير عدة تساؤلات هامة أخرى .. صحيح أنه سبق بها غيره ، بل سبق ببعضها لجان التحقيق نفسها ، ولكن هذه التساؤلات بدورها قد زادت من غموض الحادث عدة درجات ، بل راحت - هى الأخرى - تلفه بعدد من الستائر الجديدة ، حيث دارت بالجميع فى متاهات عديدة .. كانت هذه صورتها :

- لقد حدث فى البداية خلاف كبير بين الأطباء أنفسهم .. يستوى فى ذلك كبارهم وصغارهم .. البعض يقول أن الرجل مات كما يموت كل انسان .. ميتة ربه ، تلك التى لا يفرق عزرائيل حيالها بين رئيس الولايات المتحدة وبين سائقه .. والبعض الآخر ينفى ذلك ، وباصرار ، ويبدى على الملأ شكه الكبير فى طبيعة الوفاة .

- وعندما حضر طبيب البيت الأبيض الخاص ، وأخذ بعض العينات وقام بتحليلها سريعا ، عاد برأى غريب .. أو بمتاهة أخرى من هذه

المتاهات نفسها .. عاد يقول أن السبب في الوفاة أكلة السمك التي تناولها على الغذاء .. لقد أصابته بحالة فريدة من حالات التلبك المعوى ساعدت على نساعد حدة الجلطة .. مما عجل بوفاته .. وعلى الفور بادر رئيس الطبائين الى الاعلان فورا عن أن طعام الرئيس لم يكن به خلال ذلك اليوم أى نوع من الأسماك التي لا يجب أكلها الا نادرا .. أما زوجته فقد راحت تؤكد أنه تناول السمك فعلا مع الغذاء .. وأنها لا تعرف شيئا عن بيان رئيس الطبائين .. فمن أين اذن جاءت الأسماك ؟

— وارتفع صوت عديد من الأطباء ينادى بضرورة تشريح الجثة .. وصرخوا بذلك علانية الى الصحفي ، الذى كان يفتش عن أسباب الجريمة .. تماما كأحد الكلاب البوليسية .. ولكن الزوجة نفسها رفضت السماح بتشريح جثة زوجها .. وأصرت على رفضها تماما ، وعلا صوتها وهى تردد لا .. لا .. لن أسمح بالتشريح ، بل وأكثر من ذلك . وعلى مسمع من جميع الحاضرين وأعضاء لجنة التحقيق ، وكذا .. على غير رغبة من الأطباء الذين يواصلون بحثهم .. تساءلت الزوجة بصوت مرتفع .. لماذا لا بشارك معكم فى تجرياتكم الدكتور «آدمز» الجراح الخاص بالرئيس . وأضافت قائلة .. اننى أعلم أنه كان قد نصحه بعدم القيام بهذه الرحلة الى « سان فرانسيسكو » .

كانت ملاحظة لزوجة الرئيس .. قبولت بشيء من الامتنعاض من جانب الحاضرين وحيث كان لسان حال كل منهم يقول .. هل آدمز فقط هو الذى يستطيع أن يكشف عن « المستخبي » .. وهل هو أفضل من الجميع فى نظرها ؟ .. تماما كما تساءلت عيونهم عن سبب رفضها تشريح جثة زوجها .. فى نظرات زائغة .. قلقة ..

ولكن هذه الملاحظة لم تكن لتفوت على مخبر صحفى قدير .. كان تابع التحقيقات بعينين مفتوحتين تماما ، وأذنين تشبهان سارية محطة رادار ، تقومان بالتصنّت الدائم .. على كل صغيرة وكبيرة ..

وبأنف صحفية يحسده عليها كثيرون .. وتستطيع أن تتشمم مواقع الأنباء الهامة .. فلماذا ترفض تشريح الجثة ؟ .. ولماذا هذا الرجل بالذات ؟

كان سامويل من هذا النوع من الصحفيين الذى يفكر فى كل شاردة وواردة ، ويمسك بتلابيبها .. فقد تقوده الى خبر يكون له وقع القنبلة .. وعندما جاءت ملاحظة زوجة الرئيس التى ترفض فيها تشريح الجثة وتطلب أن ينضم دكتور آدمز الى فريق الباحثين .. لفتت هذه الملاحظة نظره تماما .. وأيقظت حاسته الصحفية .. بل حواسه جميعها .. عندما تحولت الى عدد من الأسئلة التى قفزت الى ذهنه الصحفى .. والتى تنبع جميعها من سؤال واحد كبير .. سؤال يقول : هل للدكتور آدمز دخل فى هذه الحادثة ؟ ..

ولم يضع سامويل وقتا ، بل انطلق يبحث فى أرشيف صحيفته ، ثم فى أرشيفه الخاص ، عن كل ما يتصل بهذا الرجل ، بل عاد الى بعض من عرف من أصدقائه .. ثم أخذ يربط بين حديث الأصدقاء .. وبين المعلومات الجاهزة ، وكذا بين تلك القصة القديمة التى كان هو نفسه قد أعلن عنها منذ سنوات ، والتى تربط بين الرئيس هاردنج ، وبين صديقة له منها طفلة غير شرعية .. وهى علاقة تعرفها تماما جدران البيت الأبيض كما أن زميلات الدراسة لهذه الطفلة يعرفن تماما أنها ابنة الرئيس الأمريكى .. فلماذا نصحه الجراح الخاص اذن بعدم الذهاب الى سان فرانسيسكو ؟ .. ولماذا أصر هو على الذهاب اليها ؟ .. ثم .. هل لرفض مسز هاردنج تشريح جثة زوجها ارتباط بالحادثة نفسها ؟

وبدأ سامويل يكتب عن مخاوفه .. ويعرض الخطوط الأولى التى توصل اليها على القراء ، وتحت أنظار رجال التحقيق ، ولكن أحدا لم يلق الى هذه الكتابات بالا فى البداية ولم تزد تأثيراتها على أنها بدأت تضيف مزيدا من الغموض الى قضية وفاة الرئيس ولكن ذلك لم يفت فى عضد الصحفى .. وانما تحولت المسألة عنده الى قضية خاصة رأى هو أن



يستمر في بحثها .. وأن يحاول أن يقنع الآخرين بذلك .. بل انه رأى أن واجبه يحتم عليه ذلك ، نظير ذلك الهجوم العنيف الذى أصاب به الرجل في حياته .. ومن ثم ، وفي لحظة من لحظات الشهامة ، ويقظة الضمير الصحفى ، بعد طول رقاد ، قرر أن يترك تماما دور الضبع البشرى ، وأن يعمل في خدمة المهنة والعدالة ، وأن يحاول جهده أن يصل الى شىء ذى بال .. فأخذ يعيد ترتيب أوراقه ، ويدرس القضية مرة أخرى ، ويتوقف عند كل كلمة ، وكل حرف .. وكانت أكثر الكلمات التى توقفت عندها هى كلمة : السم فهل مات الرئيس مسموما ؟ .. ومن الذى دس له السم في الطعام ؟ ..

من خلال قراءاته لتقارير الأطباء ، وعلى وجه الخصوص تقرير اختصاصية السموم بالبيت الأبيض عرف أن هذا السبب بعيد ، ولكنه محتمل أيضا .. أما أنه بعيد فلأن الرئيس كان طوال حياته يخاف السموم ، ولا يسمح بوجود أى نوع منها حتى في صيدلية البيت الأبيض .. ولكنه ، وبتفكير محقق يرى أن دس السم للرئيس في طعامه لا يتطلب بالضرورة أن يأتى من داخل البيت الأبيض ، أو من فوق رفوف صيدليته ، كذلك ، فمن منا لا يخاف السموم ؟ .. وهل هناك أحد يجها ؟ .

وباحساس الصحفى أيضا ، رأى أن استبعاد اختصاصية السموم لهذه الفكرة يقوم على أساس أن أنواع السموم المعروفة - وكما جاء في تقريرها - هى على وجه التحديد : حامض الكربونيك ، والزرنيخ أو سلفيد البوتاسيوم .. ولكن لماذا لا يكون هناك بعض أنواع أخرى من السموم ، لا تعرفها هذه الاختصاصية ؟ ..

وبسرعة ، تناول دليل التليفون ، وحدد أكثر من رقم ومكان لعدد من الاختصاصيين ومعامل التحاليل التى يتوقع أن يجد بينهم من يفيد في هذا الموضوع .. حيث قضى بين هؤلاء نهار اليوم التالى ، حتى كاد هو أيضا أن يصبح خبيرا بالسموم .. وقد عرف ضمن ما عرفه من حكايتها

وأنواعها واستخداماتها .. أن هناك بعض الأنواع الأخرى ولكنها لا تتوفر في الولايات المتحدة الأمريكية..وان توافرت ، فبشكل نادر للغاية .. وفي بعض الصحارى البعيدة عن العاصمة ، وأما موطنها الأساسى فجنوب آسيا الشرقى ، وبعض بلدان غرب أفريقيا ومرة أخرى .. وكمحقق صحفي تساءل : أليست هذه حكاية جميع الأدوية والعقاقير ؟ .. انها — فى حدود علمه — عبارة عن نباتات وأعشاب برية لا يتوقع أن تنمو فى حدائق واشنطن ، أو فى حديقة البيت الأبيض ، أو فى شرفاته بين أحواض الزهور .. ولكن المعامل العلمية ، والصيدلة ، والكليات الجامعية تحصل عليها من أماكن بعيدة جدا .. فلماذا لا يكون قد دس للرئيس فى طعامه بعض هذه الأنواع الجديدة من السموم ؟..

ومن هنا ، فإذا كان تقرير الأخصائية يستبعد حكاية السم ، فإن ما تجمع لديه من معلومات تجعل الأمر واردا ومحتملا ..

وعاد الرجل بهذه المعلومات الى الأخصائية ، التى لم تنف إمكانية وجود بعض أنواع السموم التى لا تعرفها ، ولكنها أضافت فى نفس الوقت أن وفاة أى شخص متأثرا بتناول السم هى مسألة لا تفوت على أى طبيب ، بمجرد النظرة الأولى الى جثته ، وإلى وجهه .. كما أن تناول أى نوع من السموم يسبب للضحية آلاما رهيبية تبدو آثارها واضحة على تقاطيع وجهها حتى بعد الوفاة لوقت غير قصير.. والمعلومات التى عندها والمتوافرة فى تقارير زملائها من الأطباء ، وكما أعلن على العالم كله ، أن الرئيس مات فورا وأن الأزمة لم تمهله سوى دقيقة واحدة ..

— ألا يكون من بين هذه السموم الجديدة ، ما يمكنه القضاء على الضحية خلال مثل هذا الوقت القياسى ؟

— ان أسرعها هو الزرنيخ .. ولكن الذى حملته الى الفندق ؟ وكيف ؟

— وهل يمكن ألا يظهر الزرنيخ فى طعام الرجل ؟

— يمكن طبعا .. بشرط أن يضعه خبير .. وأن يحدد الكمية ، ونوع الطعام أو الشراب الذى يضعه فيه ، والذى يذوب معه ، ويتفاعل بشكل لا تحسه أو تستشعر الضحية وجوده ، كما يمكن وضع أنواع منه فى الفاكهة أيضا .

— ... وهل يمكن ألا تظهر آثار الوفاة بتأثير منه على جسد الضحية ؟

— فى أحوال نادرة للغاية .. وبالنسبة لتفاعل الزرنيخ نفسه مع بعض المواد الأخرى .. انه فى هذه الحالة قد يقتل فوراً دون أن تظهر آثاره على الضحية ، كما أنه فى بعض الأحوال الأكثر ندرة ، كانت الضحية قد تناولت نوعاً من الطعام الذى قضى بتركيباته المعينة على الكمية القليلة من الزرنيخ التى وضعت فى طعام آخر .. أو فى سائل ..

وبينما الصحفى يفكر فى حكاية السم .. ويعمد الى دراسة أدق تفصيلاتها ويربط الأحداث ببعضها .. كانت قد برزت فى ذهنه فكرة ، سرعان ما أصبحت خاطراً ملحاً .. يقول بضرورة تعقب « دكتور آدمز » . فيبدو أنه حول شخصيته تدور الحلقة المفقودة ..

ونجح الرجل فى تعقبه له ، ونجح أيضاً فى الجلوس اليه ، وقال الجراح الخاص للرئيس أنه نصحه فعلاً بعدم الذهاب الى سان فرانسيسكو لأنه كان يخشى من تجدد إصابته بالذبحة الصدرية ، ولكنه سافر إليها مستخدماً السفينة بدلاً من القطار .

— لماذا ؟

— لسبب خاص جداً .

— هل هو يتصل بعودة العلاقة بينه وبين صديقه ؟

— اذن فأنت تعرف حكايتها ؟

— لقد كنت أنا من كشف عن سرها ، وعن سر ابنته اليزابث فان

منها ..

— ولكن قل لى .. هل تعلم زوجته بذلك ؟

— لست أدرى .

— يقولون أنك تعرف كل شيء ؟

— دعهم يقولون .

... وخلال يوم واحد بعد هذا اللقاء ، كانت قد تجمعت للصحفي بعض الحوادث المثيرة التي تلقى بأكثر من ضوء على القضية .. وكان من أهم هذه الجوانب ما جاء على لسان زوجته نفسها في حديث صحفي — وليس في تحقيق رسمى — من أن زوجها كان يتناول كوبا من الحليب ، في نفس اللحظة التي كانت هي تقرأ له السطور القليلة من مقالة سامويل .. التي يبدو فيها وكأنه يصالحه أو يريد أن يبدأ معه صفحة جديدة ...

فهل يكون هذا الكوب هو السبب ؟

ومن الذى دس له فيه السم ؟

هل هى الزوجة فقط ؟ أم بمصاحبة أحد الأعوان .. من هؤلاء الذين يعرفون شيئا عن خواص السموم ؟ ومن يكون هذا الرجل ؟

عشرات من علامات الاستفهام العديدة ، بدأت تترى على رأسه ، تلح عليه بعنف ، لقد شعر أنه يقترب من نهاية القصة ، ان جميع خيوطها تتجمع الآن عنده .. ولكنها على الرغم من ذلك ، تعود فتبتعد ، أو يلفها التيه مرة أخرى .. وها هو يدور فى دوامة الأحداث اللعينة ..

— فأين ذلك الكوب ؟ ..

— ومن يكون الرجل ؟ ..

— وما الذى دفعه الى ذلك ؟

.. وهم تم بمساعدة أحد ؟

.. وأخيرا ، هداه تفكيره الى أن يعيد قراءة بعض الأسماء التي تمثل

بطانة زوجة الرئيس ، والذين تعتبرهم هي من أصدقائها ، كما ربط بين تفضيل الزوجة للجراح ، في عدد من رحلاتها ورحلات زوجها ، حتى هذه الرحلة الأخيرة ، وبين قصة قديمة ألح إليها من طرف خفي بعض الأصدقاء .. أصدقاء الزوجة وأصدقاء الطبيب - معا - وكذا بين ملاحظتها القديمة التي أوردتها خلال التحقيق نفسه ، والتي أثارت بعض الأطباء .. وبمتابعة تحركات الطبيب الجراح ، وتصرفاته عرف سامويل من بعض العاملين في الفندق الذي حدثت به الوفاة ، ومن بعض المقربين من الرئيس أن الطبيب لم يكن يترك الزوجة الا نادرا ، وأنه تناول الشراب معها قبل وقوع الحادث بوقت قصير ..

وبسرعة كانت قد قفزت الى ذهن الصحفي معادلة ليست صعبة ..  
معادلة تقول :

رجل متزوج يعيد خيانة بيت زوجية مرة أخرى ويسافر مع صديقه دون علم زوجته + ابنة غير شرعية + خلافات زوجية دائمة + طبيب صديق للزوجة ويعلم من أمرهما كل شيء ..

لماذا اذن لا يقوم بتبليغ الزوجة ؟ ولما لا تقنعه هي بمساعدتها على التخلص منه ؟ وربما يكون خطأ سامويل الوحيد أنه كان دائما يعلن عن ربه وشكوكه .. على الورق دون أن تكتمل له المعالم والأسس التي تجعلها وقائع مؤكدة .. والواقع أن هذا الخطأ قد أضربه كثيرا .. فما كاد يعلن عن احتمال وجود علاقة ما بين الزوجة وأحد موظفي البيت الأبيض .. حتى كان خبر اعلان وفاة الطبيب منتحرا هو موضوع الساعة ..

ومرة أخرى أحس سامويل ، أن الأمر يكاد يفلت من بين يديه .. وأنه يدور وحده في حلقة مفرغة ، وأن أحدا لا يريد مساعدته في مداومة العمل بهذه القضية بل يقال أنه تلقى أكثر من تهديد بالقتل ، اذ هو أضرب على الاستمرار في بحثها .. بل ان عددا من المحققين أنفسهم كان الملل قد تسرب الى نفوسهم ، ومن ثم فقد كان يشيرون حقا أن يستمر هو في العمل،

وأن يسبقهم الى النتائج ، بل وجد هؤلاء في ذلك تدخلا في اختصاصاتهم، ينبغي أن يوقف عند حده ، ومن ثم أو صدوا جميع الأبواب في وجهه ولم يعد أحد يمدده بما يريد من أوراق التحقيق أو تقاريره أو نتائج ..

أكثر من ذلك ، عندما علم سامويل عن طريق تحرياتة الخاصة أن انتحار الطبيب قد تم بعد ساعة واحدة من زيارة السيدة هاردنج الى منزله متخفية .. وطلب فتح التحقيق في ذلك الأمر و اضافته الى الحثيات.. لم يجد أذنا صاغية ..

وأخيرا .. عندما فشل في أن يحرك دوائر الشرطة .. اتجه الى مدير مخبرات واشنطن .. وكانت له صلة قديمة به .. قال له « انى ألود بك » تحرك .. ان دم الرئيس يكاد يذهب هذرا .. ان زوجته كانت بمنزل الطبيب المنتحر ..

هز رئيس المخبرات رأسه .. ومال بظهره مستندا على كرسيه ثم قال له ..

— وأى عجب في تلك الزيارة ؟ ..

... ساعتها عرف الرجل أنه قد فت في عضده تماما .. وأن هناك من لا يريد أن يعرف الناس .. من الذى قتل الرئيس وارين هاردنج .. ولماذا؟ بينما أغلقت أوراق التحقيق تماما .. ووضع ملف القضية كلها على الرف.. رغم التحقيقات العديدة التى كتبها الرجل بعد ذلك .. وبه فيها ، بل وأثبت كذلك الصلة الوثيقة بين السيدة هاردنج .. زوجة الرئيس الأمريكى .. وبين الطبيب المنتحر .

هل عرفتم أتمم — رغم اغلاق ملف القضية — من الذى قتل الرئيس.. ولماذا ؟

لويس فيليب

---

عندما ولدت

حرية الصحافة

---

لويس فيليب :

عندما ولدت

حرية الصحافة

كانت أيام هذا الرجل ، وعلى وجه التحديد « أواخر أيامه » .. من أهم الأيام التي شهدت تطورات صحفية عديدة .. بل ان هذه الأيام نفسها - ولا أقول عهده كله أو حكمه كله - تعتبر قنطرة بين فترتين ، بين صحافتين ، ليس بالنسبة للصحافة الفرنسية وحدها ، وانما بالنسبة للصحافتين الأوروبية والعالمية في آن واحد .

على أننا نبادر الى القول ، أن الرجل - على الرغم من ذلك - لم يكن من هؤلاء الذين قاموا بنشر الورود أمام الصحافة والصحفيين ، أو مهدوا طريق العمل أمامهم ، أو مددوا لهم يد المساعدة ، على أية صورة من صورها .. بل لقد كان موقفه منها يغاير تلك المواقف مغايرة تامة ، ويفصل بينه وبينها مسافات بعيدة !

ذلكم هو « لويس فيليب » .. ثالث ملوك ما يعرف في التاريخ الفرنسي باسم « عهد الإصلاح ١٨١٥ - ١٨٤٥ » والذي أعقب سقوط نابليون ..

أما هذه التطورات الصحفية التي بدأت رباحها تهب على الصحافة في آخر أيامه فقد جاءت كلها على أثر ظهور « حرية الصحافة » .. حيث ساهم المناخ الجديد في دفع الصحافة عدة دفعات الى الأمام .. كما تفاعلت هذه



الحرية نفسها عدة تفاعلات إيجابية .. مع التطورات الحضارية الحادثة .. تلك التي أثرت في « الموقف الصحفي » أبلغ تأثير ..

على أن أهم من ذلك كله ، ما يقول به عدد من المؤرخين ورجال الصحافة ، من أن هذه الحرية الجديدة ، قد ولدت في عهد الرجل أيضا - لويس فيليب - حتى وإن كان ميلادها قد تم على الرغم منه .. ولكن كيف ؟

ذلك لأن الرجل ، وهو ثالث ملوك عهد الإصلاح بعد « لويس الثامن عشر » و « شارل العاشر » رأى بمشورة عدد من أعوانه ، أن يستفيد من تجارب هذين الميررة ، والدموية أحيانا ، مع الشعب الفرنسي ، ممثلا في صحافته وأحزابه ، تلى التي كانت تؤيد الثورة ، وتعمل على الدفاع عن نتائجها ، والانتصار لها في مواجهة أحزاب عديدة أخرى قام بعضها على أساس من الهجوم عليها - الثورة - والقاء التهم فوق رأسها ، والنظرة اليها من زاوية نتائجها الدموية وحدها ومن ثم التنديد بها وبرجالها .. وربما كانت هذه هي أبرز مظاهر السياسة الفرنسية خلال هذا العصر المسمى بعصر الإصلاح ..

أقول .. رأى الرجل أن يفيد من تجارب سابقه وألا يناطح الشعب والصحافة والصحفيين رأسا برأس ، وإنما يظهر بمظهر الحريص على الحياة الحزبية ، والصحفية الحقيقية بل والحريص أيضا على أن تتبوأ الصحافة مكائنها اللائقة بها ، وأن تكون في مكان الصدارة من عهده .. بينما هو في الواقع يحنى رأسه لعواصف الأيام الأولى ، حتى تمر على خير ، ويتجنب مواجهة الصحافة المنتصرة على سلفه ، المتحمسة تماما لكي تقتلع من طريقها كل من يعترضها .. بل وينشر بين أصدقائه وجلسائه أنه صديق للقلم ، صديق للحرية أيضا ويبلغ في أدائه لدور الصديق مبلغا يحسده عليه كبار المشلين ، حيث راح يقرب بعضهم منه ويقدم لهم الهدايا والمنح ، بل والمساعدات المالية أيضا .. كل ذلك بينما هو يضمن لهم غير ما يظهر ،

ويريد بهم شرا لا يقل مقداره عما أراده بهم أسلافه .. ويجلس بين أخلص  
خلصائه يتحين الفرص ، ويرسم الخطط للايقاع بهم ، وبضاعتهم  
« الرديئة » ، وللتكيل بكل من يحمل القلم .. أو يدعو الى حرية  
الصحافة ..

ومن هنا فقد راح الرجل يوسع صدره للنقد الصحفي ، ويتقبل  
الهجوم عليه ، ثم على أصدقائه بصدر رحب ، بل ويصبر على الصحفيين  
كثيرا ، ويعطى لهم الفرصة تلو الفرصة ، بل ولا يمانع في أن يقوم أى  
فرنسى بإصدار صحيفة أو مجلة يريد إصدارها .. وأكثر من ذلك ، فانه  
راح يوقف العمل بعدد من التشريعات الصحفية الصادرة في عهد سلفيه ،  
ونأى وجه الخصوص ما استهدف منها رفع أجور البريد للحد من انتشار  
توزيعها في المدن والريف الفرنسى ، وما استهدف كذلك فرض قانون  
التمغة لعرقلة ذلك الانتشار للصحف القديمة ، وللحيلولة دون صدور  
صحف جديدة .

وعجيب أمر الصحافة ، وعجيب كذلك أمر رجالها .. فان الرجل  
ما كاد يفعل ذلك ، حتى فتحت الصحف نيرانها عليه ، وأطلقت عليه دفعات  
اثر دفعات ، وزادت في حدة الهجوم عليه ، بل وبدأت الصور الهزلية  
والكاريكاتورية التى تتناوله تتسلل الى أعمدها ، وانتشر بينها نوع من  
الكارتون لا هم له ولرساميه الا تصيد أخطاء الرجل الذى كان الضجر  
من الصحافة والصحفيين قد بلغ به مبلغه .. ولم يعد في صدره متسع لتقبل  
نقد جديد ، أو للاستمرار في القيام بأداء دور الصديق ، بينما هو في  
الواقع يريد أن ينقض ، وأن يضرب ضربته ..

نعم ، انه يعلم تماما أن الصحافة هى التى أسقطت سلفه شارل  
العاشر ، بعد أن أحرزت عليه أكثر من انتصار .. ومن ثم فهو يعلم  
أيضا أنه انما جاء الى كرسى العرش الفرنسى الا بعد ذاك الانتصار  
الصحفى الكبير والذى شهد به حتى أخلص رجاله له .. ومن ثم فهو

يعلم كذلك أن الصحافة هي صاحبة الفضل الأول في ارتقائه لهذا العرش حتى ولو تم ذلك بطريقة غير مباشرة .. ولكنه ، ومن زاوية أخرى ، وكما صرح لأحد هؤلاء الرجال ، لن يسمح بتكرار المشاهد السابقة ، ولا بأن يعيد التاريخ نفسه .

والأدهى من ذلك كله ، أن تعود الصحف — بعد كل ما قدم لها — الى التحالف مع المعارضة أو بأسلوب آخر ، ليتخذ المعارضون منها منبرا يوجهون منه الطعنات الى الرجل .. وأن تكون نتيجة ذلك كله ، هو سلسلة من الاغتيالات السياسية لعدد من رجاله ، انتهت بتلك المحاولة الشهيرة التي قام بها « فيشى » لاغتيال الملك لويس فيليب نفسه .

.. وبينما كانت الصحف تنقل أخبار هذه المحاولة ، كان الملك يوقع باسمه وبريشته الملكية ، وبمداده الأحمر على قانون ٩ يوليو ١٨٣٥ .. ذلك الذى كان شوقه قد طال الى توقيعه .. وكان ينتظر تلك الفرصة ، وهو على أحر من الجمر .

وبينما كان الشعب الفرنسى يقرأ نصوص القانون الجديد ، وتدور تعليقاته فى المقاهى والأندية والحدائق وعلى الأرصفة أيضا ، حول الصحافة التى غرر بها ، والملك الذى أجاد تمثيل دوره ، بل واخراج المسرحية نفسها .. بينما كان ذلك يحدث ، كان عدد من الكتاب والصحفيين يعلنون قبولهم للتحدى ، ويواصلون كتاباتهم التى تعبر عن صمودهم ، وشاركهم فى ذلك عدد من الأدباء الكبار الذين كانت تجمع بينهم وبين الصحافة ، زمالة القلم ، كما أن القانون الجديد ، لم يفرق بين مادة أدبية ، ومادة صحفية ، بل رأى أن يعترض جميع المواد التى تنشرها الصحف ، والكتب مساويا فى ذلك بين المقالة النقدية السياسية ، والمقالة الأدبية ، وبين الكاريكاتير والكرتون .. والصورة القلمية ، حتى جاء ليهاجمه الصحفى الكبير « اميل دى جيراردان » والأديب « فيكتور هيجو » بينما برز فى هذا الهجوم على وجه خاص « لامارتين »

الذى كان يرى أنه قانون « اغتيال الصحافة » .. بينما كتب « برودون » جملته الشهيرة والتي ترددت بعد ذلك كثيرا : « أحيانا أشتعل شوقا الى الكتابة حتى لو كلفنى السطر الواحد ستة أشهر فى السجن » (١) .

.. وعلى غير ما كان الملك يهوى ، ورغم أنه أيضا ، بدأت بعض المشاهد السابقة تتكرر بشكل أو بآخر .. بل يمكننا القول ، بأن السحب الثائرة ، وأن الغيوم بدأت مرة أخرى تظهر فى الأفق البعيد ، ثم تعود فتتقرب ، وتتجمع لكى تثبت خطأ نظرية لويس .. وأن التاريخ لابد وأن يعيد نفسه ، ما دامت المقدمات جميعها متشابهة ، ومع اختلاف غير مؤثر فى التفاصيل ، أو الأسماء ..

لقد بدأ التحايل على القانون ، وانتشرت محاولات القفز فوق حدوده ، أو التسلل من بين ثغراته ، وكان هو ككل قانون يريد أن يخنق الحرية ، به ثغرات عديدة ، يعرف المفكرون والأذكاء ، كيف ينفذون منها الى الشعب ، عن طريق الصحف السرية ، واختراع الشخصيات والأسماء الرمزية ، وكثرت محاولات تهريب الصحف الى داخل باريس وخارجها .. ونذكر من ذلك - مثلا - أنه فى محاولة ناجحة للتهرب من الضرائب المرتفعة التى جاء بها القانون الجديد على الصحف ، وتلك التى فرضت على الورق فإن صاحب جريدة « المنديل السياسى - لى موشوار بوليتيك » (٢) قفز فوق هذه الحواجز عن طريق وسيلة طريفة .. حيث قام بتجارب عديدة لاصدار صحيفته على هيئة منديل .. وطباعتها على قطعة من القماش .. ونجحت التجارب ، وصدرت الصحيفة ، وفى أكثر من لون ، وانتشرت بين القراء انتشارا هائلا ،

(١) قرنان تزور ترجمة محمود الفندور « الاعلام » ص : ٣٤ .

(٢) محسن محمد : ( حكايات صحفية ) ص : ١٧٢ .

حيث كانت مادتها شعبية الطابع ، كما كان حرص صاحبها بالنفا على نشر الأخبار التي تتحدث عن المثالب العديدة ، ونشاط المعارضة كما كان الناس يستخدمونها بعد قراءتها استخدامات عديدة ..

وصحيح أن الوقت كان قد طال ، حتى تكتمل الدائرة الملتهبة .. وصحيح أيضا أن لويس فيليب كان قد أحكم قبضه تماما .. ولكن الرجل كان يغلى .. ويغلى ، وينتظر لحظة الانفجار حتى ضاق الشعب تماما بالرجل الذي أعاد القيسود والسدود ، وأراد أن يلجم المعارضة ، وأن يفتال الصحافة ، فقامت ثورة ١٨٤٨ ضده ، تلك التي يجمع رجال التاريخ والصحافة - معا - على أنها شهدت الميلاد الحقيقي لحرية الصحافة .. كآثر من آثار محاولات الكبت والاعاقة والمصادرة ، التي قام بها الرجل ، بعد أن كشفت محاولة اغتياله عن وجهه الحقيقي ، أو عن الدور الحقيقي الذي كان يمارسه .

وخلال مناخ الحرية .. ظهر عدد من الصحفيين الموهوبين ، ومن « صناع » الصحافة أيضا ، فشهدت الصحافة الفرنسية تطورات عديدة. من حيث الطباعة والتحرير ، كما شهدت ميلاد الأخبار البرقية ، والصورة الصحفية .. وحيث تبرز أسماء « شارل لوى هافاس » رائد الأخبار البرقية أو - وكالات الأنباء - وكذا « أراجو » رائد التصوير .. وغيرهما من الرواد الذين بدأت نتائج أعمالهم في الظهور الحقيقي ، والفعال ، خلال هذا المناخ نفسه كما بدأت تأثيراتهم تظهر على صفحات الجرائد العالمية والأوربية الأخرى ..

ألا يكون الرجل بذلك ، قد ساهم في جميع هذه التطورات .. حتى. وان كان ذلك دون قصد منه ؟

لقد كتب أحد الصحفيين يوما يقول عن ذلك كله :

« ان عهد الرجل لم يكن كله شرا دائما .. بل كان فيه الخير الكثير  
وأكثر من ذلك .. فان هذا الخير المتولد نفسه كان ينبت من بذور الشر  
التي كان الرجل يفرسها للصحافة والصحفيين .. هنا وهناك .. وليس  
ذلك بجديد .. فكثيرا ما يولد الشر خيرا .. وقد عرفنا نحن ذلك على يد  
كثير من ملوك فرنسا السابقين » ..

وكأني به يردد ذلك المثل العربي القديم \* \* « رب شر أنتج  
خيرا » \*

أو الحديث : « رب ضارة نافعة » \* \* \*

حتى على المجال الصحفي أيضا \*

سعيد :

---

لا ♦♦ أن الجورنالجية  
غير سواسية

---

سعيد :

لا ..

## ان الجورنالجية

### غير سواسية

أراد أبوه أن يكون صاحب « البيت الصحفى » .. تماما كما هو المالك الوحيد والزارع والصانع والتاجر .. وأن تمر فائدة الشعب من خلال مصلحته ومصلحته أسرته .. ومن هنا فقد راح - محمد على - يشرف بنفسه على الصحيفة الأم « وقائع مصرية » حتى قيل أنه « كان يكلف موظفيه بكتابة المقالات ويوعز بنشر الأخبار ويراجع مسودات الجريدة قبل طبعها ويعاقب المسئولين اذا أساءوا اختيار الخبر أو المقال ، وكانت أوامره ورقابته لها لونا من ألوان التنظيمات التى سبقت تشريع المطبوعات فى عهد خلفائه » (١) .

وعندما كان ابن أخيه - عباس الأول - يحكم مصر قبله .. كان عهده عن حق وصدق : « عهد الرجعية والنكسة لأن فيه وقفت حركة التقدم وفترت النهضة التى ظهرت فى عهد محمد على » (٢) .. ويذكر له ضمن ما يذكر من صور التأخر اغلاق أكثر المدارس أبوابها وابعاد رجال الإصلاح الى السودان واستدعاء معظم أعضاء البعثات الدبلوماسية .. وأما عن الصحافة ، فقد اعتبر قراءة الناس - العامة - لها وعلى حد تعبيره « سبة لا تليق .. وذلا لا يطيق » .

كان ذلك عن الوالدين السابقين لـ « سعيد » بن محمد على الكبير . والمولود عام ١٨٢٢ ، والذي اختار له أبوه السلك البحرى ، فانتظم بعد



أن أتم دراسته في خدمة الأسطول قومندانا لاحدى البوارج التى كانت ترفع علم مصر فوق ظهر البحار .. وقد ارتقى الرجل فى هذا السلك حتى وصل الى منصب « سر عسكر الدونمة » أى القائد العام للأسطول المصرى .

ويقول عبد الرحمن الرافعى : « أهم الصفات البارزة فى أخلاق سعيد طيبة قلبه ، وسلامة قصده وكرمه وشجاعته وصراحته وميله للخير ، وتسامحه ، وحبه للعدل ونفوره من الظلم والارهاق » (١) .. فهل وجدت الصحافة فى عهده ، انعكاسا لهذه الصفات التى قل أن نجتمع فى رجل واحد ؟

لنا قبل أن نتحدث عن المواقف السعيدية ، من الصحافة والصحفيين ، نقوم بالقاء نظرة الطائر على أعمال الرجل نفسه ، أو أهم ما قام به من أعمال .. ولعل فى مقدمتها جهوده الموفقة لاصلاح حالة الفلاح المصرى ، حيث سن لذلك ما يعرف باسم « اللائحة السعيدية » الصادرة فى ٥ أغسطس ١٨٥٨ والتى خولت الفلاحين حق الملكية الزراعية ، وبذلك ألغى ما لجأ اليه أبوه من اعتبار نفسه المالك الوحيد للأرض .. كما قام بإلغاء نظام احتكار الحاصلات الزراعية ، فصار للفلاح حرية اختيار أنواع المحاصيل التى يريد زراعتها ، وحق التصرف فى انتاج الأرض وغلتها .. كما أتبع ذلك كله بتخفيض الضرائب الى حد معقول ، ووافق على رغبة الأهالى بتسديدها نقدا لا عينا ، وأضاف الى ذلك إلغاء ضريبة « الدخولية » التى كانت تحصل على الانتاج الداخلى من بلد الى بلد - التجارة الداخلية - كما قام الرجل بعمل أول لائحة للمعاشات تعرفها مصر ..

ولو قام الرجل بهذه الأعمال وحدها ، لكفاه ذلك مفخرة ، ولكنه تابع أعماله الاصلاحية العديدة مثل تطهير ترعة المحمودية ، ولم تكن

قد ظهرت منذ عهد محمد على ، كما أتم إنشاء الخط الحديدي بين القاهرة والاسكندرية عام ١٨٥٦ والذي توفي سلفه قبل اتمامه ، كما مد خطا آخر من القاهرة الى السويس فعاد على مينائها بالفوائد الكثيرة ، وأنشأ خطوط التلغراف الحديثة ، وأشرف على عمليات البحث عن الآثار وحفظها ، ورصد كسوف الشمس ووضع خريطة مفصلة للقطن المصري ، كما أدخل التجنيد الاجباري وأمر بترقية حالة الجنود ، بل ان له في ذلك مواقف تاريخية مشهودة أبدى فيها روحا وطنية وقومية أشاد بها الزعيم « أحمد عرابي » في مذكراته وقال عن خطبة لسعيد اعتبر نفسه فيها مصريا : « وعلى هذا يكون المرحوم سعيد باشا هو واضح أساس هذه النهضة الوطنية الشريفة في قلوب الأمة المصرية » (٤) .. وذلك كله بالاضافة الى اصلاحاته البحرية العديدة ، ورحلاته وجولاته الموفقة داخل البلاد وخارجها .

وإذا كانوا يقولون أنه لو مد الله في عمر الرجل ، لكان قد فعل الكثير ، وحيث أنه توفي في ١٨ يناير ١٨٦٣ وعمره ٤٢ سنة فقط .. فاننا نتنقل الآن الى الوجه الآخر لصورته ، وحيث يبدو فيه سعيدا ذلك الرجل الضعيف أحيانا ، المتردد ، القلق ، المسرف ، المستدين ، والذي انعكس تردده على ألوان كثيرة من جوانب الحياة المصرية ، لعل أهمها جانب التعليم ، وحيث لم يوجه اليه عناية تذكر ، فاستمر على حالته من الجمود والتوقف ، والتي كان عليها في عهد سلفه - عباس الأول - كما أعاد بعض البعثات المصرية من الخارج ، وفتح باب الاستدانة ، وبالنسبة في صداقته مع عدد من ملوك أوروبا مثل نابليون الثالث امبراطور فرنسا ، وحيث لبى الرجل دعوته وأرسل الجنود المصريين للحرب ضد الثائرين في المكسيك .. كما أنه كان سريع التأثر بآراء من حوله ، سريع الغضب أيضا ، وأهم من ذلك كله أنه كاد حسن الظن بالأوروبيين شديد الثقة بهم .. يغالى في تكريمهم ولو على حساب أبناء مصر أنفسهم ..

ذلك هو الرجل ، وتلك هي أبرز أعماله وصفاته ، ولكن من الجيب  
آن الوجه الأول لصورة سعيد .. الوطنى ، المصلح ، الفيور قد اختفى  
تدأما فى علاقته بالصحافة المصرية ، لىبقى بعد ذلك ، وجهه الثانى ،  
بكل ملامح قسوته ، وتردده ، وجموده ، بل وبتفضيله للعنصر الأجنبى  
أىضا .. كيف ؟ وما هى شواهد ذلك ؟

ذلك أن الرجل أبقى على نظام الحكم المطلق الذى يجمع فى يده  
الواحدة بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، ومن ثم فهو  
المرجح بالنسبة لجميع الأمور .. كبيرة وصغيرة ، داخلية وخارجية ،  
سياسية وقانونية وثقافية .. خاصة وأنه أهمل مجلس الشورى الذى كان  
قد أنشأه والده .. ومن هنا ، فانه رأى أن تكون قبضته محكمة كذلك  
على الصحافة ، فأوعز الى عدد من رجال وزارة الخارجية - احدى  
الوزارات الأربع العاملة فى مصر فى ذلك الوقت - من بينهم الأمير  
أحمد رفعت أن يتعاونوا مع عدد من أعضاء مجلس الأحكام ، والمجلس  
الخصوصى ، فى وضع نظام للصحافة ، يتيح الاشراف عليها وجعلها  
تحت عينه ، وفى طائل يده ..

وبعد دراسة لعدد من القوانين العثمانية الصادرة بهذا الشأن ، خاصة  
« الخط الشريف » أو اللائحة التى أصدرها السلطان « عبد المجيد »  
عام ١٨٥٨ ، والتى تتعلق بالصحافة والمطابع ، وتنظيم ما يتصل بهما من  
اجراءات اصدار وعقوبات وما الى ذلك كله .. توصلت اللجنة المؤلفة  
من هؤلاء الأشخاص الى وضع لائحة للمطبوعات المصرية كان من أهم  
موادها تلك التى تقول : « لا يطبع ولا ينشر جرائيل وغازيتات واعلانات  
من دون استحصال الرخصة من ديوان الداخلية وان فعل ذلك بدون  
استئذان تغلق وتسد مطبعته » .. ولو كان الأمر قد توقف عند حد  
الحصول على الترخيص فقط لهان ، الا أن الرجل أصر اصرارا بالغاً على  
أن تعرض عليه جميع المواد التى تقدم الى المطابع ، وجميع الكتابات

الأخرى ، قبل طباعتها ونشرها ، وكان لذلك - بالإضافة الى حالة الجمود والتأخر - أثره في عدم تشجيع أحد على الاقدام أو المغامرة بإصدار صحيفة يعرف مقدما أن جميع موادها لا بد وأن تمر تحت سمع الرجل وبصره ، بما في ذلك مواد الصحيفة الرسمية « الوقائع المصرية » نفسها .. ومن هنا فقد قيل أن هذه اللائحة التي صدرت بقرار من المجلس الخصوصي ، وبتوقيع عدد من أعضائه وأعضاء مجلس الأحكام ، كانت « أوسع نطاقا مما ذهب اليه محمد علي في نشر الكتب أو رقابة الوقائع المصرية » (٥) .

وقد يكون من المعقول أن يفعل الرجل ذلك كله ، ولكن الوجه « الكالح » للرجل نفسه يظهر بالمقارنة بين هذه الاجراءات التي تناولت الصحافة المصرية وحدها .. بينما وجدت من المواد الأقل ضغطا وتضييقا على الصحافة الأجنبية ، وعلى الصحفيين الأجانب .. وهكذا وجدنا أن تلك التشريعات نفسها تبدو في صورتين متناقضتين تماما خاصة في مجال التطبيق ، فهي قاسية عنيفة ، معقدة بالنسبة للصحف والكتابات والمطبوعات الوطنية مرنة ، متراخية ، ضعيفة ، بالنسبة للصحف أصدقائه من الأجانب ، هؤلاء الذين كان الرجل يتخذ منهم أكثر « بطاته » ، ويتخذ منهم جلساء وخطاء وندامى ، ويشتد ركونه اليهم وبالتالي تأثيرهم عليه ، حتى أن الأجانب في عهده كانوا يبسطون أيديهم على مرافق البلاد ، كما صار للقناصل نفوذا لم يكن لهم من قبل .. وكان من الطبيعي أن تؤثر تلك الاتجاهات كلها ، على موقف الرجل من الصحف الأجنبية .. والمغاير تماما لموقفه من الصحف المصرية أو العربية .. وقبل أن نقدم شواهد ذلك أيضا نشير الى أن موقفه من الصحافة

الوطنية ، والصحافة الأجنبية ، كان هو نفس موقعه من التعليم المصرى ،  
والتعليم الأجنبى .. وترك هنا عبد الرحمن الرافعى ليروى طرفا من  
ذلك .. يقول المؤرخ المصرى الكبير بعد أن يستعرض تأخر حالة التعليم  
فى عصر سعيد :

« ومع جمود حركة التعليم الى هذا الحد فانه لم يبخل على البعثات  
الأجنبية الدينية بمساعداته كى تفتح مدارسها ، فمنح اعانات سنوية  
لراهبات البون باستور الراعى الصالح ولراهبات الصدقة بالاسكندرية  
ووهب للبعثة الأمريكية بناء بمصر لتتخذ مدرسة لها ، وأعطى أول  
مدرسة ايطالية أنشأتها الحكومة الايطالية بالاسكندرية اعانة قدرها  
٢٤٠٠٠ جنيه ووهب لها قطعة أرض فى أجود جهات الاسكندرية لتنشئ  
بها المدرسة ، فكانت عنايته بنشر التعليم الأجنبى أكبر من عنايته بنشر  
التعليم الأهلى ، وهذا من متناقضاته » (٦) .

ان ذلك هو ما رأيناه يتكرر فى مجال قريب من مجال التعليم ،  
وهو هنا مجال الصحافة .. ذلك أن الرجل وافق على انشاء خمس صحف  
فرنسية وايطالية ، بالاضافة الى صحيفة « السلطنة العربية التركية » ،  
وكان يقرب محرريها منه ، ويقدم لهم بعض الاعانات فى مناسبات  
مختلفة ، ويسمح لمحرريها بمصاحبتة فى رحلاته الى بلاد الصعيد ، وفى  
رحلاته الشهيرتين الى السودان ، والحجاز ، كما كان يستقبل عددا منهم  
فى سرايه ، ويبادلهم أطراف الحديث ، خاصة عندما يتوسط قنصل  
السودان الصحفى الأجنبى له عند سعيد ..

وقد شجع ذلك عددا من محررى هذه الصحف ، ومن المراسلين

الأجانب ، خاصة من الانجليز الذين كانوا يرون النفوذ الفرنسى وهو يتأكد بمصر على عهده ، وهم يسيطون نفوذهم على كثير من مرافق البلاد ، شجع ذلك هؤلاء على الهجوم عليه أحيانا ، وتناوله بما اعتبره اهانة له ، ونيلا من سلطة حكومته وسيادتها ..

وصحيح أنه كان يتدخل من حين لآخر للاعتراض على ذلك ، وكلما أحس أن صحيفة أجنبية قد تجاوزت الحد المعقول ، وصحيح كذلك أنه كان يسرع بأمر معاونيه ورجال سلطته بتبليغ قناصل الدول بنص المواد التى وردت فى لائحة السلطان عبد المجيد - ١٨٥٧ - والخاصة بتنظيم عمل الصحافة الأجنبية فى الولايات العثمانية - ومصر احداها شرعا - وخاصة المادة التى تقول : « تأمر الشرطة رجالها بمصادرة كل النسخ المطبوعة فى الامبراطورية وفى البلاد العربية التى قد تتضمن نشر أخبار ضارة بالبلد أو فى الدولة » كما أمر بأن يطبع نص هذا القانون ويوزع على القناصل فى كتاب موقع من ناظر الخارجية « اسطفان بك » .. وطلب أن يقوم القناصل بتوزيع هذا المنشور بالقانون على رعايا دولهم ..

كل ذلك صحيح ، ولكن الصحيح أيضا أن هذه القوانين كانت تطبق فى أحوال نادرة للغاية ، وبمزيد من المرونة بالنسبة للصحفيين من رعايا الدول الأجنبية عامة ، وفرنسا خاصة ، كما كان القناصل دائما يتدخلون فى الوقت المناسب لحماية الصحفيين والمراسلين من أبناء ورعايا دولهم .. كما كانوا يحيطونهم بحصاتهم الدبلوماسية .. ومن ثم فقد كاذ هو ، ومن خلفه بتوقعون عن تنفيذ القانون ، على سبيل الخوف ، أى عدم الاكتراث ، أو ترك العواصف لتمر .. بينما لا يعرف أن صورة

من هذه الصور قد أخذت مكانها بالنسبة للصحفيين المصريين  
أو العرب ..

بل ان سعيدا كان يبرر ذلك بقوله « من قال أن الجرنالجية وأصحاب  
الغازيات سواسية أمام الفرمانات الشاهانية ؟. ان أصحاب الغازيات  
الأجانب لهم امتياز الصلة بالقناصل وأمراء الدول الأوربية وحكامها » .  
هل نقول أن الرجل كان يعيش بوجهين ؟ أم نقول أن زامر الحى  
لا يطرب ؟ وأنه لا كرامة لصحفى .. فى وطنه ؟

حتمًا كانت الاجابة عند والى مصر .. سعيد باشا .

ذلك الرجل الذى مضى يضيق الخناق على الصحافة المصرية والى  
حد القتل خنقا أو الشنق ، مما أثر فى مادتها أبلغ تأثير .. كما أثر كذلك  
فى مواعيد صدورها ولكن أهم تأثيرات هذا التضيق الذى قام به الرجل  
كان هو ما حدث فى صدور الصحفيين أنفسهم ، من كتاب ومحررى  
هذه الأيام ..

لقد خاف البعض من أحكام الوالى الجائرة ، ومن رقابته وشرطته  
السرية التى كانت تدهم المطابع عامة ، وليست مطابع الصحف فقط ،  
ومن هنا فقد انصرف عدد كبير من هؤلاء عن العمل التحريرى ، وطلقوا  
— برغم أنوفهم — مهنة الكتابة وانصرفوا الى الأعمال الأخرى .. حتى  
أن بعضهم رأى أن يفتتح له دكان « ماينفاتورة » .. أسماها — من غلبه  
ولتمسكه بالعمل الذى يحبه — ماينفاتورة الصحافة .. كما أن بعضهم

الآخر عاد الى موطنه الأصلي بالصعيد ، وبدأ يمارس الزراعة .. الى حين  
تنجلي الغمة السعيدية ..

كل ذلك .. بينما يصول محررو الصحف الأجنبية ويجولون  
في طول البلاد وعرضها ، وليس فوق الصفحات فقط ..

---

(١) إبراهيم عبده : « محنة الصحافة وولى النعم » ص : ١١ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : « عصر اسماعيل » ج ١ ، ص : ٤٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص : ٢٤ .

(٤) احمد عرابي : « مذكرات عرابي - كشف الستار عن الاسرار » ص : ١٦ .

(٥) إبراهيم عبده : « محنة الصحافة وولى النعم » ص : ١٢ .

(٦) عبد الرحمن الرافعي : « عصر اسماعيل » ج ١ ، ص : ٤٥ .



اسماعيل :

---

رجل فعل الكثير ..

ولكن !!

---

اسماعيل :

رجل فعل الكثير ..

ولكن !!

لا أعتقد أن النهاية المريعة لهذا الرجل تنسينا أنه فعل الكثير من أجل مصر ، ولا ينبغي كذلك أن تنسينا ، والا كنا من الجاحدين ، من الذين ينكرون الأفعال والأفضال ، ويلقون عليها ستار النسيان ، لأن الأمور قد تقلبت على صاحبها ، وعلى غير هواه .. والدهر قلب .. كما يقولون .

انقد ساهم الرجل - اسماعيل - مساهمة ايجابية وفعالة في الدفع بعجلة التقدم المصرى ، عدة دفعات الى الامام ، وفي أكثر من ميدان من ميادين النهضة .. في ميادين العسكرية ، والمواصلات والثقافة والتعليم ويكفى أنه تأسست في عهده المدارس العديدة التي تحول بعضها الى كليات من مثل : المهندسخانة ١٨٦٦ - الحقوق ١٨٦٨ - دار العلوم ١٨٧٢ - الطب والولادة - البنات ١٨٧٣ - السيوفية - القرية ١٨٧٤ - المدارس الصناعية ( الفنون والصنائع ) .. حتى قال عن هذه الفترة تيودور رتشين « ليصير التعليم في مصر مجانا وليحصل الطلاب على ما يحتاجونه مجانا .. في ذلك العصر أسست مدارس للبنات كانت الأولى من نوعها لا في مصر وحدها ، بل في الدولة العثمانية كلها وأنشئ متحف بولاق الشهير وزيد في مكتبة القاهرة ما جعلها من أعجب مكتبات الدنيا .

وكانت المدارس الأولية بمصر كلها في عام ١٨٦٣ تبلغ ١٨٥ مدرسة فأصبحت عام ١٨٧٥ نحو ٤٦٨ مدرسة يتعلم بها ١١١ر٨٠٣ طفلا ، وينبغي

أن يضاف الى هذه المدارس أيضا عدد كبير من مدارس أرقى منها كانت تابعة للحكومة والبلديات ، وكان ثمة أيضا مدارس حرية لكل فرقة من فرق الجيش مدرسة خاصة ، قالت لجنة التعليم الحربى فى عام ١٨٧٢ انه لم يكن فى الجيش المصرى كله غير ٤٢ أميا فقط « (١) .

كما يقول جرجى زيدان عن هذا الرجل نفسه « كان شديد الشغف بتنظيم المدن حتى قيل انه يريد أن يجعل القاهرة تضاهى باريس بالنظام والترتيب - وحسن اسماعيل مطبعة بولاق وزاد فيها وأمر بترجمة الكتب المفيدة وطبعها ونشرها وأسس معملا للورق « (٢) ..

ذلك هو خديوى مصر ، اسماعيل بن ابراهيم بن محمد على ، والمولود بقصر المسافرخانه بالجمالية فى ٣١ ديسمبر ١٨٣٠ .. والرجل الذى صنع الكثير من أجل مصر ، حتى أن القاهرة سرقت الأضواء فى عهده من اسطنبول .. كما سرق هو الأضواء أكثر من مرة ، من الخليفة التركى الذى كان يحقد عليه كل الحققد .. ويرى حتى فى مده لخطوط السكك الحديدية والتلغراف اسرافا لا مبرر له .. لأن دولة الخلافة لم تكن قد عرفتها بعد ..

فما هو موقف الرجل من الصحافة ؟ وما هى صورته الصحافية فى عهده ؟.. العهد الاسماعيلى الذى كبا جواده المنطلق كبوة كبيرة جدا .. لم تجعله غير قادر على اكمال الشوط فقط .. وانما على النهوض والاستمرار .. على أى شكل من أشكالهما ..

الحق أن الحديث عن الصحافة فى عهد هذا الرجل يستحق أن يملأ أكثر من مجلد ، بل ان اسماعيل والصحافة .. هو فصل هام من فصول قصة الصحافة المصرية والعربية يستحق أن يدرس وحده فى معاهدها .. وكرلياتها ومدارسها .. فحسبنا منه هذه النقاط التى تمثل نظرة الطائر على صحافة عهده ..

✳ فالرجل قد صدر في عهده أكبر عدد من الصحف يصدر في عهد  
والى على مصر خلال القرن التاسع عشر حتى أنها تجاوزت في عهده  
السبعين جريدة بين عربية وفرنجية وجريدة ومجلة كما يقول المؤرخ  
« عبد الرحمن الرافعى » .

✳ والرجل يرجع اليه فضل التوصية بتطوير الصحيفة الأم « الوقائع  
المصرية » وذلك من حيث الموضوع أو المضمون التحريرى حيث سمح  
لها بأن تنشر مضابط مجلس شورى النواب ، وكلمات الأعضاء ،  
وأخبارهم وكذا أخبار الخطط المصرية والمدارس والنظارات المختلفة  
بشكل لم يحدث من قبل الى جانب نشر أخبار الحفلات العامة وسباق  
الخيول .. وأما من حيث لغة هذه الموضوعات كلها فقد كان كتابها  
يسرعون الابتعاد بها عن الأساليب الأدبية التقليدية التى كانت معروفة  
حتى ذلك العهد .. بل حدث اهتمام بالغ بصحة هذه اللغة وبمراعاة  
قواعدها الى جانب التطور الحادث فى الأسلوب نفسه .

✳ على أن أهم ما تحقق فى عهد الرجل — دون جدال — ظهور  
الصحافة الشعبية .. تلك التى مهدت لها الصحيفة نصف الشعبية ، نصف  
الرسمية المسماة « وادى النيل » والتى ساعد الخديوى « عبد الله أفندى  
أبو السعود » أستاذ التاريخ بمدرسة دار العلوم على اصدارها فجاءت  
رسمية العقل .. شعبية القلب والقالب .. ليتأكد ميلاد هذه الصحافة  
بعد ذلك فى صدور « نزهة الأفكار » التى أصدرها « ابراهيم المويلحى  
وعثمان جلال » عام ١٨٦٩ .. ولكنها توقفت عن الصدور بعد عشرين  
فقط .. وعلى أثر نقدها للحكومة نقدا قاسيا .. أو هكذا رأت السلطات  
فى نقدها .. على أن ذلك لم يوقف صدور مثل هذه الصحف الشعبية  
فى عهده ، وبتشجيع منه أحيانا .. بعد أن أصبح المناخ المصرى العام  
منستعدا لتقبل مثل هذه الصحف ومادتها الهادفة التى كانت تلعب دورا  
مصريا واسلاميا كبيرا .. بل ساهمت مساهمة فعالة فى خلق رأى العام

المصري والدفاع عن الشعب ومصلحه ، وعن التضامن الإسلامي ،  
واللغة العربية .. حتى قيل أن الصحافة المصرية في هذه الفترة كانت  
أجدي على النهضة المصرية من المجالس النيابية ذاتها ..

✽ كذلك فإن عهد هذا الرجل قد شهد الميلاد الكامل للصحافة  
المتخصصة في مصر .. فصحيح أن جده - محمد علي - قد صدرت في  
عهده « الجريدة العسكرية » عام ١٨٣٣ .. والتي تعتبر أولى الجرائد  
المتخصصة .. ولكن كثرة العدد الصادر في عهد اسماعيل ، وتنوع مجالاته ،  
يجعل من ذلك العهد الإطار الزمني الذي شهد هذا الميلاد الحقيقي وخذ  
عندك مثلا الصحيفة الطبية الأولى « يعسوب الطب ١٨٦٥ » والصحيفة  
المدرسية الأولى « روضة المدارس ١٨٧٠ » ثم إعادة اصدار « الجريدة  
العسكرية ١٨٦٥ » .. واعداد شقيقتها « جريدة أركان حرب الجيش  
المصري ١٨٧٣ » وكذا « أبو نضارة ١٨٧٧ » بطابعها الفكاهي و « التجارة  
١٨٧٨ » .. وغيرها من الصحف المتخصصة أو ذات الاتجاهات الخاصة ..

✽ وقد استتبع ذلك كله - كما كان ينبغي - ظهور أكبر عدد من  
الكتاب وقادة الرأي والفكر الصحفي في عهده ، بشكل لم يحدث من  
قبل ، وكان من بين هؤلاء ، بل في مقدمتهم وعلى سبيل المثال لا الحصر :  
« محمد عبده - جمال الدين الأفغاني - عبد الله أبو السعود - أديب  
اسحق - محمد علي البقلي - ابراهيم أدهم - ابراهيم الدسوقي -  
ابراهيم المويلحي - محمد عثمان جلال - محمد أنسي - محمد وفاء -  
يعقوب صنوع - سليم نقاش - سليم عنجوري - سليم تقلا - بشارة  
تقلا ... الخ » وغيرهم .. كما برز عدد من الكتاب المتخصصين في  
مقدمتهم الدكتور محمد علي البقلي - محمد مختار الكاتب العسكري -  
ويعقوب صنوع الكاتب الفكاهي .. بل والكاتبات والصحفيات  
المتخصصات أيضا وأولهن « تمرهان » الكاتبة المتخصصة في صحة المرأة  
بمجلة يعسوب الطب نفسها ..

✳ .. ولكن من الغريب أن الصحافة نفسها التى شجعها اسماعيل على المضى والانطلاق بل شجعها على أن تمضى فى نقدها لتصرفات بعض الموظفين والنواب .. وحتى الباب العالى نفسه .. هذه الصحافة ، عندما اشتد ساعدها .. ومضت على طريق النقد والهجوم كان من الصعوبة يمكن أن يقف انسان ضد تيارها الذى أخذ يقوى مع الأيام .. حتى هو نفسه .. مما جعله ينظر اليها ولسان حاله قول الشاعر العربى ..

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

كان اسماعيل يريد من الصحافة أن تكون عوناً له على جميع أعدائه .. فمضى يقدم لها من الحريات ما فاق أحياناً أحلام أصحابها ، حتى أنها عندما لم تكن تجد أحداً تهاجمه ، فقد كانت تنظر فى اتجاهه ، وتهاجمه هو شخصياً .. بل تحمل عليه أحياناً حملة شعواء .

وهذا ما لم يستطع الرجل السكوت عليه أو تجاهله .. فمضى يقيد من هذه الحرية المطلقة .. فى صورة انشاء مكتب للصحافة الأجنبية ألحقه بنظارة الخارجية، ثم جعل المصرية تابعة لنظارة الداخلية .. حتى إذا بلغ الشطط مبلغه بهذه الصحافة راح يجمع كل ما يتصل بإصدارها وتوقفها والترخيص لها فى يده ، أو راح يمثل وحده قانون المطبوعات .. وصحيح أنه كان يستمع أحياناً الى آراء بعض الأصدقاء من أجنب وشراكية بالنسبة للمسائل المتصلة بها .. ولكنه رأى - فى النهاية - أن حريتها التامة قد تحولت الى نار تحرقه هو .. بل قد امتدت فعلاً الى ملابسه وأطرافه .. فكان عليه أن يسرع هو نفسه الى إخمادها .. بنفس يده التى أضاءت شعلتها .

(١) تيودور رتشين ، ترجمة عبد الحميد العبادى ومحمد بدران : « المسألة المصرية » ص : ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) جرجى زيدان : « تاريخ مصر الحديث » ص : ٢١٨ .

**عبد الحميد الثاني :**

**دولة الجرائد**

**وسوء العاقبة**

عبد الحميد الثاني :

دولة الجرائد

وسوء العاقبة

« أطل الله عمر مولانا أمير المؤمنين ، وخليفة رسول رب العالمين ، خادم الحرمين الشريفين وخاقان البرين والبحرين ، السلطان بن السلطان، والخاقان بن الخاقان عبد الحميد خان أدام الله عزه وأعز جنده وأسعد عهده ونشر على بلاد الأعداء راية نصره ... الخ » (١) .

أما مولانا ، خاقان البرين والبحرين ، السلطان بن السلطان والخاقان بن الخاقان .. فهو السلطان التركي الأشهر عبد الحميد الثاني الذي يمتد حكمه من ٣١ أغسطس ١٨٧٦ ، حتى ٢٧ أغسطس ١٩٠٩ ..

وأما الدعاء فقد كان على الصحافة الرسمية في البلاد العثمانية عامة، والعراقية والسورية خاصة ، أن تصدر به صفحاتها الأولى .. بل ان الصحف العراقية على وجه التحديد ، ذات الطابع الرسمي مثل «الزوراء» و «الموصل» و « البصرة» .. كانت تضيف اليه كثيرا .. أو على حد قول منير بكر التكريتي في رسالته للماجستير عن الصحافة العراقية : « ما كانت تنشر سوى ما يطيب للسلطان وولاته من ألفاظ التفخيم والتعظيم رغم مظالمهم جميعا وسوء ادارتهم » . . .

فما هي حكاية الرجل ، صاحب كل هذه الألفاظ الفخمة الضخمة .. وغيرها كثير سيأتي في حينه ؟ وعلى وجه التحديد .. ما هي حكايته مع الصحافة ؟ .. تلك التي سارت بها ألسن الركبان ، كما يقولون ..



الحق أنه لا يوجد أى رجل آخر ، أى حاكم غيره ، باستثناء « نابليون بونابرت » وربما « محمد على باشا » ارتبط ذكره بهذه الوسيلة من وسائل الاتصال ، قدر ارتباط ذكر هذا الرجل بها ، كما لا يوجد مؤلف من المؤلفين فى مجالات تاريخ الصحافة ، أو القوانين الاعلامية ، أو التشريعات الصحفية ، أو جرائم النشر ، يستطيع أن يدير ظهره لفترة حكم هذا الرجل أيضا ، وأما الذين يبحثون فى موضوع « الحريات » عامة ، وحرية الصحافة خاصة ، فإن حياة الرجل وقراراته وأوامره ونواهيته تجذبهم كل الجذب .. كذلك فقد حظى الرجل أثناء سنوات حياته وبعد وفاته وما يزال بالعديد من الكتابات التى تتناول مواقفه من الصحافة والصحفيين والكتاب والشعراء - وكانت الصحافة هى المجال الأول لنشر انتاجهم من مقالات أدبية وقصائد شعر - أقول ، حظى الرجل بما لم يحظ به حاكم آخر من هجوم الكتاب والشعراء والصحفيين والمؤلفين والمؤرخين أيضا .. فحسبنا من ذلك كله .. هذا القدر الذى نتحدث عنه السطور القادمة ..

ولكننى هنا ، وعلى الرغم من جميع هذه الكتابات المهاجمة اللاذعة الساخرة التى تجل عن الحصر ، أبادر فأقول ، عن حق وصدق ، وعن ايمان كامل بقيمة الكلمة ودقتها وشرفها أنه لا يمكن القول بأن كل مارمى به الرجل ، وعهده يعود اليه وحده ، أو الى هذا العهد نفسه بل الواقع ، والثابت أيضا - ورغم أن الكثرة البالغة من المؤلفات تتجاهل ذلك - أن أكثر ألوان الفساد والأمراض الاجتماعية التى برزت صورها فى عهده، كانت ميراثا كريها ، ورثه ذلك العهد عن عهود سابقة كثيرة ، وبعد أن كان قد استشرى فى ظل المناخ الحميدى .. ولذلك - فى رأينا - شواهد كثيرة ومنها على سبيل المثال لا الحصر .. هذه كلها :

✽ ما تقوله د . اجسان عسكر - نشأة الصحافة السورية : « كان من طبائع العشمايين أن يبدلوا كل شئ على هواهم ، ويقضوا على حياة

القوم في البلاد التي ينزلونها حتى لا يستطيع أهلها أن يرفعوا رؤوسهم ، وقد كان الدم يجري لأقل شبهة والعذاب يحل لأقل تهمة ، وقد حكم الولاية بالجواسيس وساروا في غيهم وتجاهلوا قيمة العرب ، واخترعوا الألقاظ في تحقيرهم ، وكان كل همهم قتل قوميتهم ومحو لغتهم وتلويت تراثهم — وهكذا عاش حملة الأقلام هذه الفترة المظلمة تحت حكم مطلق فاسد ونالهم ما نال غيرهم من ضروب الظلم والأذى ، وعانوا مما عاناه أفراد المجتمع العثماني من فقدان الأمن واندثار العدالة » (٣) .

✽ وإذا كان ذلك يتجه الى الحديث عن العثمانيين في سورية ، فإن منير بكر التكريتي في رسالته التي سبقت الإشارة اليها يقول ، مؤكداً الكثير من الأقوال عن واقع هذه الدولة حتى قبل عهد السلطان عبد الحميد نفسه : « ... أصبح القانون معطلا مادام الولاية يشتركون وظائفهم بالمال من السلاطين فكانوا يتعهدون بدفع المبلغ العلاني قبل الذهاب الى العراق .. فما على الوالي الا أن يحاول جهده لجمع أقصى ما يمكن جمعه من المال ليعوض عما فقده ، بل ادخار مبالغ طائلة ليشتري بها مناصب أرقى أو رتبة يطمح لها » (٤) .

✽ ويذكر أحمد عبد الرحيم مصطفى — علاقات مصر بتركيا في عهد الخديو اسماعيل — نص برقية وردت من الآستانة لمراسل صحيفة التايمز اللندنية ونشرتها الصحيفة على صفحتها الأولى في عددها الصادر في ٥ أكتوبر ١٨٧٤ — قبل ولاية الرجل بحوالى العامين — هذا نصها :

« قرر الباب العالي أنه منذ السنوات الخمس التي تبتدىء من أول يناير المقبل سيدفع نصف أرباح سندات الدين العام وقسط استهلاكه نقداً والنصف الآخر سندات ذات ٥٪ » .

واذن فقد كانت مظاهر الفساد كلها متجمعة على أرض دولة الباب العالي قبل ولاية الرجل ، بل ان دولة الخلافة قد قامت بتصدير هذه

المظاهر نفسها الى الولايات العربية التابعة لها وذلك بمعرفة الولاة الأتراك ، وباستثناء قلة قليلة منهم .. بينما أعلنت الدولة العلية نفسها عن افلاسها ، وشهدت على ذلك أكبر الصحف العالمية المصادرة في ذلك الوقت ، على الرغم مما يقال عن ميولها الاستعمارية .. فقد كان هناك احتياج وصفه الى برقيات مراسلها .. وحيث كانت الدولة تتيقن انه اذا السلاطين وأعوانهم مثقلة بالديون .

وحتى بالنسبة لاجراءات القهر العديدة للصحافة والمصحفين ، التي اتخذها هذا الرجل نفسه - السلطان عبد الحميد الثاني - فان من الثابت أن قوانين المطبوعات وأنظمتها السابقة على حكمه ، أو المصادرة على عهد أسلافه ، لم تكن جميعها نعيما مقيما لأصحاب الأقلام ، كما لم تفرش الطريق أمامهم بالورود .. فقانون الصحافة العثماني الأول الصادر عام ١٨٥٨ ، هدد هؤلاء بالويل والثبور وعظائم الأمور .. وكشفت بين مهادنة تلك التي تتصل بالعقاب ، والحاق الضرر وغلق دور الطباعة وتوقيف القرامة .. وعندما صدر أول نظام للمطبوعات بالسلطنة عام ١٨٦٣ أرجب الحصول على ترخيص الاصدار من الحكومة .. وكان المطالب به يدعى « الأمرين » ويقدم مبالغ قد تفوق طاقته على سبيل الرشوة ، وبعد ذلك يمكن سحب الترخيص منه ، حتى قبل أن يصدر صحيفته أسهل من « سحب الشعرة من قطعة العجين » كما كان سحبه بعد صدور الصحيفة - حسب الأهواء دائما ..

بل اننا نستطيع أن نقرأ في قانون الصحافة العثمانية الصادر في أغسطس ١٨٦٥ ، وعلى عهد السلطان عبد العزيز مثل ذلك كله :

المادة الأولى : تطلب الإذن بالتصريح من الحكومة الإمبراطورية لأجل إصدار صحيفة أو دورية وهذا الإذن موقوف على الموافقة ويمكن إلغاؤه ..

المادة التاسعة : تمنع دخول الصحف والمنشورات الأجنبية وتوزيعها  
مما تكون قد طبعت وصدرت في الخارج بقصد خصومة أو اعتداء ضد  
الحكومة العثمانية .

المادة الثالثة عشرة : تقضى بإيقاف أو تعطيل الصحيفة بالطريق  
الاداري وليس القانوني .

المادة السابعة عشرة : تمنع التشهير بالسفراء والوزراء المفوضين  
وبالمبعوثين والقائمين بالأعمال وبالأشخاص الآخرين المعتمدين لدى الباب  
العالى .

المادة السادسة والعشرون : تعاقب الصحيفة على نشر الأخبار الكاذبة  
الملفقة أو على ايجادها أو احداثها عن قصد وبسوء نية .

المادة الثامنة والعشرون : تقوم الصحيفة بنشر الحكم الصادر ضدها  
في الشهر المقرر له ..

الى غير هذه المواد كلها .. التي قد تبدو عند البعض ، معقولة ،  
ولكن هذه المعقولة تختفى اذا عرف أن المبدأ ( السلطوى ) كان هو  
دائما افتراض الهجوم على السلطان والدولة وسوء القصد والنية ..

بل ان من الثابت كذلك أن الرقابة على الصحف العثمانية يعود  
تاريخها الى عهد السلطان عبد العزيز نفسه - سلف عبد الحميد الثاني -  
وذلك عندما أمر الصدر الأعظم رئيس الوزراء محمود نديم باشا بأن  
تفحص بدقة وعناية شديديتين من قبل ممثلى الحكومة صحف الاستانة  
والأناضول قبل طبعها ...

ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة والشواهد المتنوعة ، التي تؤكد بما  
لا يدع مجالا للشك ذلك الرأى الذى ذهبنا اليه ، من أن عهد الرجل قد  
ورث الكثير من صنوف الفساد والاضطهاد عن عهود أخرى سابقة عليه ..

بل جاء الرجل الى الحكم وهذا الميراث الكريه قد بلغ مداه ، وداخله  
الغن وأصبحت رائحته تزكم الأنوف .. بل تجعل الانسان يهرب بعيدا  
عنها ..

فاذا أضفنا الى ذلك كله ، بعض الفقايع الأخرى التى طفت على  
سطح المياه العثمانية الآسنة .. لأدركنا على الفور ، أى مأزق خرج ذلك  
الذى أوقعت الظروف فيه هذا الرجل ، وأى موقف صعب ، ذلك الذى  
وضعت فيه .. انه حقا ، موقف لا يحسده عليه أحد ، ولا يمكن أن  
يحسده ..

ذلك لأنه بالإضافة الى هذا الميراث الكريه نفسه ، والى انتشار  
جميع ألوان الأمراض والأدواء الاجتماعية ، معروفة وغير معروفة ، فقد  
حفل عهد الرجل ، بكثير من الأشواك العظام والثغرات الكبار ، تلك التى  
تقطع الطريق ، وتدمى القدم .. وكان من بينها على سبيل المثال لا الحصر  
هذه كلها ..

— فها هو يتولى الحكم ، وقد بلغت ديون الدولة التى تراكت  
خلال العهود السابقة على عهده مبلغ ٢٥٢٨٠١٠٠٠٠ ليرة عثمانية ،  
ويا له من رقم رهيب ، وبأسعار هذه الأيام مما كان لا بد وأن تنعكس  
آثاره على تطور البلاد ، فى ضوء هذه الديون كلها التى كان على دولته  
أن تسدها ، وبعضها بفائدة وصلت الى ٥٪ .

— وكان من نتيجة هذا الفقر المتحالف مع الفساد والرشوة أن  
ضعفت سيطرة الدولة المترامية الأطراف على بعض أقاليمها مثل البوسنة  
والهرسك ، خاصة عندما ثار بعض الفلاحين فيهما — يوليو ١٨٧٥ —  
بسبب الضرائب المرتفعة .. وحيث بلغت الأزمة أقصى تعقيداتها باعلان  
روسيا الحرب عليه فى أبريل ١٨٧٧ ، لتزحف جيوشها على البلقان والإملاك  
التركية فى آسيا وحيث انتهى الأمر باكتساح القسوات الروسية لهما

واجتياز الأسطول الروسى للدردنيل والقاء مراسيه أمام الآستانة وماتج  
عن ذلك كله من أحداث دفعت دولته ثمنها الباهظ ..

— وعندما نجحت هذه الثورة ، كثر حركات التمرد الأخرى فى  
الولايات خارج الحدود ، كما كثر الصراع الدولى على اقتطاع أجزاء  
كثيرة تتحقق بها مطامع الدول الأوربية، ففقدت الدولة كثيرا من أراضيها،  
وتم احتلال الفرنسيين لتونس عام ١٨٨١ والبريطانيين لمصر عام ١٨٨٢ ..  
وغيرهما ..

— وقد ضاعف من تخوفه المتصاعد عدة أسباب أخرى .. سارت فى  
خط متواز مع رده عن اعطاء عدد من الحريات عامة ، وحرية الصحافة  
خاصة .. كما ساهمت فى مضاعفة استبداده أيضا وكان من بينها — فى  
الخارج — مؤامرات الدول وهجوم الصحافة الأوربية عليه ، وكتابات  
المنفيين ضده .. هؤلاء الذين كانوا يعملون — أو أكثرهم — بوجهى من  
جهات معينة ، تماما كما كانت تفعل الصحافة المهاجرة .. كذلك فقد  
انتشرت الجماعات السرية التى تعمل ضد الدولة حتى أن بعضها تحول  
الى النشاط العلنى والمسلح أيضا ، وذلك مثل الجمعيات البلغارية فى  
مقدونيا والأرمنية فى الأناضول الشرقية ، والحركة الثورية فى كريت ..  
بل وامتد نشاط بعض هذه الحركات الى الآستانة نفسها ، وحيث بدأت  
تهز العاصمة القوية ..

— أما فى الداخل فقد كثر على عهد الرجل المؤامرات والدسائس  
من جاب ممثلى الدول الأجنبية ، وعلى وجه الخصوص ممثل دولة روسيا،  
كما بدا أن هؤلاء قد نجحوا فى « تجنيد » بعض أعوان عبد الحميد  
وجعلهم أداة طيعة لهم ، كما اشترى هؤلاء بعض الأعوان الآخرين عن  
طريق الرشوة .. ومن ثم لم يجد الرجل من حوله — فى الأعم الأغلب —  
إلا من يشجعه على الفساد أو الاستبداد ، أو بعض الضعفاء أو المأجورين  
أو المرتشين .. دون أن يغيب عن بالنا أنه قد اعتلى العرش على أثر مقتل

السلطان عبد العزيز ، وثقى السلطان مراد الخامس .. فما الذى يمنع من أن يلقي نفس مصيرهما ؟

ولا أقول ذلك - بالطبع - دفاعا عن الرجل ، أو من أجل نفي الاتهامات العديدة الموجهة اليه ، وأغلبها من النوع الصادق ، وتجل عن الحصر ، وانما من أجل اكتمال صورة عهده ، بجميع معالمها وحدودها ، وأبعادها ، بعد أن ساهم هو ، بضعفه تارة ، خاصة في مواجهة القوى الأجنبية ، واستبداده تارة أخرى ، خاصة في مواجهة القوى الداخلية ، وكذا بترده وسقم أساليب حكمه ، وميله الطبيعي الى الفساد والطيان، ساهم الرجل بكل ذلك في مضاعفة المثالب ، وتضخيم العيوب، والمزيد من ابرازها .. أو على حد قول الكاتب المصرى ابراهيم المويلحي الذى شهد هذه الأحداث ورآها رأى العين وعاش أيضا بقربها : « كان من سوء حظ العثمانيين أن طاف حول العرش الحميدى زمرة مختلفة الأجناس والأنواع من نزاع الآفاق .. رأوا أن أغراضهم لا تنال ومراكزهم لا تحفظ وراحتهم لا تدوم الا باشغال جلالته بمضاعفة ايجاس الخيفة من كل شيء واختلاس أوقاته التى تحتاج اليها مصالح الدولة ، فتدرجوا الى ما ابتغوا .. والتدريج قائد الافراط .. ولما رأى الناشئون أن الرتب والوظائف لا تنال الا بالتجسس واطهار الجبن أخذوا يتسابقون » (٥) ... وهكذا كانت صورة الفساد منتشرة ورائحة الركود الذى آل اليه الحال فى دولة الخلافة .. دولة الباب العالى .. يشهد بها الجميع .

نعم ، لقد بدأ الرجل حكمه بداية طيبة .. بل حاول أن يكتسب لنفسه شعبية ما ، على أنقراض السلاطين من قبله ، فبدأ عهده باصدار دستوره المشهور - نوفمبر ١٨٧٦ - والذى اعترف فى المادة الثانية عشرة منه بالحرية الصحفية « ان المطبوعات هى حرة ضمن دائرة القانون » .. كما سارع بافتتاح البرلمان وألح فى خطاب العرش الذى ألقاه فى جلسة الافتتاح - مارس ١٨٧٧ - على أهمية وضع لائحة جديدة تختص

بالصحافة ، ولم يلتفت كثيرا الى هجوم صحيفة « الجوائب » عليه ، أو نشر صحف بيروت المقالات العديدة التى تتناول صور الفساد التركى والوان الضعف الذى تعاني منها الدولة العلية .

حدث ذلك كله فى بداية عهد الرجل بالحكم ، ولكن الرجل ، ورغم استشعاره لكل مخاطرها منذ كان أميرا « شاه زاده » ، وأيضا رغم استشعاره بكل ما يحيط به من أشواك لم يشأ أن يواجهها مرة واحدة ، بل رأى أن يتغاضى أكثر من مرة عن بعض هذه الأساليب الهجومية ، وأن يدعها تمر ، مادامت تضى داخل حدود غير مؤرقة ، ولا مثيرة ، كما أنها لم تصبح بعد ظاهرة يخشى منها على حكمه ..

ولكن ، مع مرور الوقت ، كانت الأخطار المهددة للدولة نفسها ، وللرجل ذاته تزيد ، وكان الفساد يمد أذرعه الى أماكن لم تكن قد وصلت اليها بعد .. وأصبح الرجل ذات يوم ليجد صحف الآستانة وهى تتحدث عن ذلك كله ، وليجد صحف الولايات المختلفة وهى تردد نفس النغمة .. تلك التى أصبحت تعلو ، وتتردد بمرور الأيام والساعات .. حتى بدا أنه لا بد من مواجهتها .. وهنا ظهر ضعف الرجل وترديه أيضا ، أمام من حوله ، وأمام السفراء والقناصل ، مما ساعد على « نمو جرثومة الفساد » على حد قول احدى الصحف .. وفى المقابل أدى بالرجل الى أن يعيد ترتيب أموره ، وأن يكشف عن وجهه الحقيقى القوى ، المتسلط فى مواجهة القوى الداخلية ومن هنا فانه استدعى صدره الأعظم « مدحت باشا » وأعلن عن خوفه الشديد على حكمه ، وعلى حياته - معا - اذا استمرت « دولة الجرائد »<sup>(٦)</sup> فى هذا الذى تفعله لأنه انما يهدد بـ « سوء العاقبة »<sup>(٧)</sup> .. كما أعطاه الضوء الأخضر لبدأ عمله فى تكميم الأفواه ، وكسر الأقلام ، ووأد الحرية الصحفية .. حيث فاق غيره من السلاطين والملوك ، وأضاف الى أساليب قمعهم لهذه الحرية ، وتحطيمهم لها ما يفوق الخيال نفسه .. وكان من بينها هذه الأساليب والصور كلها ، والتى



لم يخل بعضها من تسلل المبالغة أو الطرافة اليه ، ولكنها التصقت به وباسمه على أى حال :

✽ فلقد وضع الرجل كل ما جاءت به الدساتير السابقة أو دستوره . من الخاص من تلك التى يفيد منها الصحافة والصحفيون .. وضعها جميعها على الرف منتهزا فرصة اعلان الحرب الروسية التركية كما شكل هيئة رقابة قوية جعلها تابعة لمديرية المطبوعات ، وقام بإرسال العديد من الصحفيين الى المنفى ، كما أعطى الرقابة لمطبوعاته الأمر بتغيير ما ترى تغييره من مقالات وأخبار ووضع ما تراه مناسبا بدلا منها .. وكان على الصحافة أن تلتزم تماما بنشر تصحيحات الرقيب .. والا فالتعطيل .

ويعدد الصحفى التركى « ماجد جتين » ألوان هذا العسف الذى كانت تمارسه الرقابة قائلا : « كانت الرقابة أشبه ما يكون بالطاعون ، ولكنها لم تكن الوحيدة المتسلطة على الصحف أو المستبدة بها ، فالى جانب هذه البلية كانت هناك بليتان أخريان هما : الشرطة السرية التى كانت تقوم بالتجسس على الصحافة والصحفيين ، ولجنة التفتيش والمعينة التى كانت تقوم بمداهمة الصحف والمطابع ، لتصادر بعضها ، وتحرق البعض الآخر » (٨) .

✽ ولقد صدرت الأوامر صريحة الى الصحف بعدم استخدام عشرات من الكلمات ، وتحريم ظهورها على صفحاتها ، كما قدمت القوائم العديدة بالعبارات والمصطلحات الأخرى التى يمنع تداولها لأنها « عدوة السلطان وأعوانه » .. وكان من بينها : « التمرد ، القتل ، الاغتيال ، التظاهر - الاضراب ، القتال ، الديناميت ، القانون ، الدستور ، يلدز ، الوطن ، الحرية ، المساواة ، الثورة ، السم ، النفى ، الخلع عن العرش ، الفوضى ، الخلافة » وغيرها .. كما حرم على الأشخاص اطلاق الأسماء الآتية : « سلطان ، خليفة ، عبد الحميد » حتى أن من كان اسمه «سلطان» كان يقوم بتحريفه الى سلتان أو سلاتين ، ومن كان اسمه

عبد الحميد منور النحيد أو حامد أو حميد الله .. كما كانت نفس  
الأوامر السلطانية تصدق على الأعمال الأدبية والصحفية - معا -  
وعلى حد سواء .

من ذلك ما يذكره الكتاب الذى أصدرته وزارة الاعلام  
العراقية « دراسات فى الصحافة العراقية » .. والذى جاء به :

« ولم تكن الصحافة الأدبية احسن حظا من الصحافة السياسية فقد  
شدد عليها حتى المنعوى الخناق وكانت تحاسب على ابسط الأمور وتعطل  
عن الصدور حتى لاسباب تعود الى تكتيك الترتيب والتبويب .. فاهيكم  
عن اد اخين الرقباء والوشاة كانت تبحث عن مدلولات وهمية وراء كل  
كلمة أو عبارة أو بيت من الشعر .. وقد قدر للصحف الا تتمتع بحرية  
الخوض فى المناقشات الأدبية فترة من الزمن ، وكان قد منع ادخال ونشر  
مؤلفات كثير من أدباء أوروبا فكثرت هوجو وبالزاك وراسين وروسو  
وكانت وشكسبير وزولا .. وحظر نشر وتشيل مسرحيات من قبيل  
هامات وماكبث .. واذا كان قد سمح بنشر - عطل - فان ذلك لم يتم  
الا بعد انتشار وتخير كبيرين ...

وكان السفير العثماني فى لندن يومئذ وهو موضع ثقة عبد الحميد  
قد عكف على ترجمة الكوميديا الالهية لدانتى ، وسرعان ما وصلت  
وشاية الى السلطان بشأن ترجمة الكوميديا واعادها للطبع باللغة  
التركية . وكانت تلسا دانتى - الكوميديا الالهية - كافيتين لاثارة حفيظة  
السلطان الذى وجه على جناح السرعة المذكرة التالية الى وزارة  
المعارف : على الرغم من التبليغ بعدم السماح قطعيا بطبع مؤلفات  
دانتى الشهيرة ، من شعراء ايطاليا ، فقد بلغ الذات الملكية أمر الترخيص  
بطبع مؤلف هذا الشاعر بعد اجراء التصحيحات فيه .. ان الارادة السنية  
تقضى بعدم الموافقة على طبع مؤلفات هذا الشاعر حتى فى حالة  
تصحيحها » (٩) .

✽ وكان من الطبيعي أن يسرع القراء بحرق الصحف التي عرفت بشورتها بعد قراءتها وذلك خشية العيون والرقباء .. كما يحكى أن الشاعر العراقي « ناجي القشطيني » لاحظ ان ابنه عبد الله يدخل غرفته ويغلق بابها اغلاقا محكما على غير عادته ، وعندما داهمه أبوه وجده يقرأ - النازيتا - فانهال عليه ضربا وأشبعه ايلاما وهو يصيح فيه قائلا : لقد خربت بيتي بادخالك النازيتا .. فاذا بعبد الله يسرع بحرقها ..

✽ كما يحكى الكاتب « سليمان فيضى » في مذكراته (١٠) أن أمير الكويت السابق « الشيخ مبارك الصباح » كان مشتركا في جريدة الخلافة التي كان يصدرها في تلك الأوقات بعض أحرار الترك والعرب في لندن وكانت من أوائل الصحف التي منع دخولها الى انبلاذ والولايات التركية ، وعندما وشى جاسوس بوكيله في البصرة - عبد العزيز سالم البدر - بأنه دفع اشتراك هذه الجريدة ، كبست داره وتحققوا من دفاتره ، وحكموا عليه بالنفى الى ديار بكر عشر سنوات .

✽ وربما كان من أقوى المقالات الصحفية ، وأوائل التحقيقات التي نشرتها الصحف المصرية والعربية على حد سواء ... تلك التي كتبها ابراهيم المويلحي تحت عنوان « ما هنالك » والتي سبقت الاشارة اليها .. ذلك أن السلطان عبد الحميد كان كلما سمع بعالم أو أديب أو فيلسوف أو سياسى يسرع بدعوته الى عاصمة الخلافة وهنالك وكما يقول د . عبد اللطيف حمزة في الجزء الثالث من مؤلفه القيم - أدب المقالة الصحفية في مصر - « كان عبد الحميد يوفر له أسباب العيش الرغيد في قصر من قصور هذه المدينة الكبيرة حيث يعيش هذا الكاتب أي العالم أو السياسى أو الأديب في قفص من ذهب ، كهذا الذى حبس فيه السلطان يوما ما السيد جمال الدين الأفغانى مرة والسيد النديم مرة أخرى ، ثم السيد ابراهيم المويلحي آخر الأمر » (١١) ..

سافر المويلحي الى الآستانة بدعوة من السلطان وحيث رأى بعينه وعاش باحساسه وسمع بأذنيه كل ما دار ويدور في قصر يلدز ، فكتب هذه المجموعة من المقالات ، وأتم كتابتها بعد عودته الى مصر ، ونشرها في كتابه - الغفل من التوقيع - والذي يحمل اسم « ما هنالك » ولكن السلطان عرف بالأمر وأمر بجمع النسخ فقام المويلحي بجمعها حتى يأمن بطشه ، وأرسلها بنفسه الى الآستانة ، ولكن بعد أن تسربت عدة نسخ منه ، كما كانت جريدة « المقطم » قد نشرت بعضها منها ، كان يبعث بها كاتبها من الآستانة سرا .. المهم أن الكتاب يشتمل على مقدمة وثلاث عشرة مقالة وكلمة ختامية ، تناولها - جميعا - أستاذنا « د . عبد اللطيف حمزة » في كتابه الذي سبقت الإشارة اليه ، والذي نقتطف منه - أو من المقالات نفسها - هذه السطور :

✽ من المقالة الخامسة وعنوانها : دائرة الباش أما أو قزلباغ أغاسي في المايين : « لو قام من القبر راشد باشا الصدر الأعظم وصاحباه على باشا وفؤاد باشا وسألوا رجلا في طريقهم عما جرى على الدولة من بعدهم وقال لهم : لقد انفصلت رومانيا واستقل العرب وزال الجبل الأسود وذهب الروم وانقصت البلغار وضاعت قبرص وبانت تونس وانسلخت بوسنة وهرسك وانقطعت باطوم وخرجت قارص وأردهان وانحلت تساليا ووقعت زيلع وماتت مصوع وترك السودان وهذه مصر في أيدي الانجليز - هذا قسم ضاع وانتهى فيه النزاع - وسورية ترصدها فرنسا وطرابلس الغرب ترمقها ايطاليا ومقدونية تشير اليها البلغار وقوصوه ترقبها الصرب ويانيا وكريد ومنستر وساموس تكاد تخطفها اليونان ، وولايات أرمينيا تطلب الاستقلال أو الاصلاح - هذا القسم في النزاع - والبصرة وبغداد تشيع أهلها بسعى حكومة ايران ، واليمن في العصيان ، والمسلمون في خوف على الحجاز ولم يبق الا حلب وأدرنة وأزمير وبروسة خالصة لجلالة السلطان ، وسفن الدولة قد أكلها الصدأ

في قرن الذهب بعناية حسن باشا وأسراره العميقة وسفن الانجليز على شواطئ البلاد العثمانية والناس يشكون من اغتصاب المأمورين لأراضيهم وادخالها في الأرضى السنية والجفالك السلطانية ولا ميزانية للمالية ولا نظام للعدلية ، وصار مجلس الوكلاء بعدكم تتلاكم فيه الوزراء والعساكر في الولايات قد عجز القلم عن وصفهم ووصف أسماهم وأطمارهم البانية « (١٣) ..

ويمضى الكاتب يصف لهؤلاء حالة السدولة ، ويسخر من السلطان والباش آغا ..

أبعد ذلك كله ، يتركه السلطان ، أو يترك كتابه ؟ ..

على أننا نختم هذه الرحلة السريعة مع « الخاقان بن الخاقان » بهذه الطرائف الحميدية الصحفية التى تضاف الى تلك السابقة .. ومنها ما يذكره شمس الدين الرفاعى من أن جريدة « المصباح » التى كانت تصدر فى بيروت لنقولا نقاش نشرت الاعلان التالى : « بيت مؤلف من أربع غرف ملك محمد على الطرابلسى للإيجار وعلى الراغبين مخابرة صاحبه .. فما كان من الرقيب الا أن شطب عبارة الملكية معترضا على كلمة « ملك » قائلا بأنه لا ملك الا للذات الشاهانية - السلطان - وأبى أن يفهم المعنى الحقيقى للكلمة .. واستبدل بها كلمة « امبراطور » .. ولأنه كان لابد على الجريدة أن تنشر الاعلان بعد التعديل فقد ظهر على صفحتها وكلماته تقول : « ان دار الامبراطور محمد على الطرابلسى معدة للأجرة وهى مكونة من أربع غرف » ١١ (١٣)

وأرادت صحيفة « بيروت » أن تنشر خبر وصول « أحمد أفندى سلطانى » فاعترض الرقيب أيضا لأنه لا سلطان الا السلطان عبد الحميد .. وطلب الرقيب أن يكتفى بذكر وصول « أحمد أفندى » فقط فاعترض المحرر لأن فى بيروت ألوقا اسمهم أحمد أفندى ، وعندئذ قام الرقيب

بتغيير الاسم وظهرت الصحيفة وبعض الصحف الأخرى وفيها أن  
« أحمد أفندي سلطة » قد وصل بحمد الله وسلامته ..

والآن تعالوا بنا نقرأ هذا التصرف الرقابى الحميدى الصحفى  
الآخر ..

فقد جاءت برقية من وكالات الأنباء تحمل خبر اغتيال الرئيس  
الفرنسى « كارنو » فى مدينة ليون على يد شاب اسمه « كازاريو » طعنه  
بخنجره طعنة مميتة .. ورفض الرقيب أن ينشر الخبر على صورته  
الحقيقية ، وأصر على ذلك تماما مبرا ذلك الرفض بأن نشر مثل هذا  
الخبر يؤدى الى افهام الناس أنه من الممكن اغتيال السلطان .. وأخيرا  
طلب من الصحف أن تكتفى بنشر خبر يفيد مرض الرئيس الفرنسى ..  
واعترض عدد من المحررين لأن الرجل قد مات فعلا .. وبعد نقاش طويل  
وافق الرقيب على أن تنشر الصحف النبأ التالى تحت عنوان :  
« الى جنان الخلد » .

« ساءت صحة فخامة رئيس جمهورية فرنسا »

« بسبب تقدمه فى السن فانتقلت روحه الى بارئها »

وبينما كانت المطابع تستعد للعمل ، اتصلت الشرطة فجأة بجميع  
الصحف وطلبت اليها أن تتوقف عن الطبع .. لأن الوالى التركى على  
ولاية بيروت قد اعترض على صيغة الخبر .. اذ كيف يقال ان الرئيس  
الفرنسى قد ذهب الى جنان الخلد وهو مسيحى ؟ . ثم كيف يقال أنه  
مات بسبب تقدمه فى السن والسلطان عبد الحميد متقدم فى السن  
أيضا .. ان ذلك يعنى الايحاء للرأى العام بأن السلطان قد قارب الوفاة ،  
أو أنه من الممكن أن يموت .. وفى هذه وتلك اثارة للخواطر وقلق  
للأمن العام !

ومن هنا فقد أعيدت صياغة الخبر مرة أخرى ونشرته صحف بيروت على الوجه التالي :

« انتقل فخامة رئيس جمهورية فرنسا الى رحمة الله » .

واستراح المحررون أخيرا .. فقد نشروا الخبر على صورته التي ترضى الجميع ..

ولكن ما كادت الصحف اللبنانية تصل الى الآستانة حتى أرغى السلطان وأزبد ، حيث رأى أن في نشره على هذه الصورة الأخيرة تقليلا من قدره ، واهانة بالغة له .. اذ كيف يسمى رئيس جمهورية بلقب صاحب فخامة .. وهي حق للسلطان وحده .. وعلى الفور خرجت الأوامر الشاهانية السلطانية الى صحف بيروت ، وغيرها بعدد من الأوامر الخاصة بالاللقاب ومنها على سبيل المثال لا الحصر ..

— لا يعطى لقب صاحب الفخامة أو صاحب الجلالة أو صاحب العظمة الا للسلطان وحده دون سواه .

-- يلقب الملوك والاباطرة والسلاطين في باقى أنحاء العالم بلقب حشمتلو .

ويذكر شمس الدين الرفاعي نقلا عن محمد كرد علي (١٤) أن أحد الصحفيين أراد أن يكتب « ملكة انجلترا » ودار في تسميتها وفق الأوامر والنواهي الجديدة .. وأخيرا هداه تفكيره الى أن يقدمها بلقب « حشمتلها » أى مؤنث حشمتلو .. فثار المكتوبجي - الرقيب -- وأصدر تعليمات جديدة كان من بينها الأمر باكتفاء بلقب « حضرة » بالنسبة لملكة الانجليز ، ويقال حاكم زنجبار بدلا من سلطان زنجبار ويلقب شاه العجم بلقب « شهامتلو » بصفة استثنائية ، نظرا لموقفه الودى من الحضرة العلية ..

ويقول « محمد كرد علي » أن الرقابة على هذه الصورة قد ساهمت بصفة غير مباشرة في تدريب المحررين والكتاب على البديهة والارتجال وسرعة التحرير وحسن التصرف ، كما ساهمت أيضا في الارتقاء بالمجلات الأدبية والعلمية التي لا تخوض في أمور السياسة ، ولا تتعرض لأوامر أو نواهي الرقيب ، أو غضب السلطان .. ومن هنا ، فلم تكن الرقابة كلها شرا .. بل « رب شر أنتج خيرا » (١٥) ..

بل ينحى الكثيرون باللائمة على « المكتوبجية » أو « الرقباء » ويقولون أنهم بالغوا كثيرا في استخدام سلطاتهم ، حتى يرضى ذلك السلطان .. الذي لم يكن يعلم عن تصرفاتهم الشيء الكثير .. وإلى حد ضرب مكتوبجي لبنان للصحفي سليم سركيس بالفلقة !!

وأقول .. إذا كان ذلك حقا .. فيالهدا الشر الذي أنتج خيرا .. بل أي خير ذلك الذي أنتجه إذا قيس بكل ما تقدم ..

وأما أنه لم يكن يعلم بكل ما يفعله الرقباء .. فتلك مصيبة أعظم .  
أليس كذلك ؟

- 
- (١) سليمان فيضى « في غمرة النضال » ص : ٤٩ .
  - (٢) منير بكر التنكريتي « الصحافة العراقية » ص : ٥٦ .
  - (٣) احسان عسكر « نشأة الصحافة السورية » ص : ١٠ .
  - (٤) منير بكر التنكريتي « الصحافة العراقية » ص : ١٠ .
  - (٥) عبد اللطيف حمزة « أدب المقالة الصحفية في مصر » ج ٣ - ابراهيم المويلحي - ص : ١٢٦ .
  - (٦-٧) فيليب دى طراوى « تاريخ الصحافة العربية » ج ٢ ، ص : ٧ .
  - (٨) وزارة الاعلام العراقية : « دراسات في الصحافة العراقية » ص : ١٠ .
  - (٩) المصدر السابق ، ص : ١٣ .
  - (١٠) سليمان فيضى : « في غمرة النضال » ص : ٥٠ .
  - (١١) عبد اللطيف حمزة « أدب المقالة الصحفية في مصر » ج ٣ : ص : ١٢٣ .
  - (١٢) المصدر السابق ، ص : ١٢٩ - ١٣٠ .
  - (١٣-١٥) شمس الدين الرفاعي « تاريخ الصحافة السورية » ج ١ ص : ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ .



لينين :

الدعاية والتنظيم الجماعي  
واثارة القلاقل والفصائح

لينين :

## الدعاية والتنظيم الجماعي

### واشارة القلاقل والقضائح

الزمان : الثامنة والنصف من مساء يوم ١٤ يناير

عام ١٩٢٤ .

المكان : حجرة كبيرة داخل المبنى الضخم المعروف

باسم قصر « الكريملين » .

الموضوع : مقابلة صحفية بين محرر إحدى الصحف

المحلية التي تصدر في أوكرانيا .. وبين

الزعيم القائد المفكر « لينين » .

كانت هذه هي المرة الأولى التي ينجح خلالها المحرر - باروفيسكى -  
في افتتاح هذا المعقل الكبير المشرف كما القلعة التاريخية على الميدان  
الأحمر ، والذي شهدت حجراته وجدرانه ودهاليزه وأروقته كل  
م تضمه أو يتضمنه عالم السياسة من غرائب ، ومناورات ، ومواكب  
انتصارات ، وجنازات هزائم وقصص - ومذابح ، تشبه الأساطير تماما ..

أخيرا ، وبعد الحاح ومتابعة وصبر ومثابرة استمرت لمدة عام  
كامل .. هاهو الرجل تصله برقية تقول له أن الزعيم الكبير في  
انتظاره .. مساء ذلك اليوم .

وهو يجول ببصره داخل الحجرة الكبيرة نفسها ، ويتأمل الستائر الحمراء الثقيلة. والجدران الفولاذية والمكتب الضخم الفخم الذى كان منذ سنوات قليلة خاصا بالقيصر .. يقف بصره على بعض العبارات والشعارات التى علفت بعناية على هذه الستائر وفوق الجدران .. لقد رآها منذ قليل منتشرة فى أنحاء الميدان الأحمر .. ورآها مرة أخرى فى حجرة رئيس الحرس ، ومرة ثالثة فى مكتب الحزب ، ومرة رابعة فى الدهليز الطويل الذى يؤدى الى هذه الحجرة نفسها .. وها هو يشاهدها ويقرأ للمرة الخامسة ، أو السادسة أو ربما السابعة خلال ساعة واحدة :

« يا عمال العالم .. اتحدوا »

« ليس عند الكادح ما يفقده .. الا قيده »

« الخبز - السلام - الحرية »

« كل السلطة للسوفييت »

وبغیرها من الشعارات العديدة .. المماثلة ، الى جانب عدد غير قليل من كلمات ماركس ولينين الأخرى .. كما شهد فى ركن صغير من أركان الحجرة الكبيرة حاملا للكتب دقق فيه النظر .. وعرف أن الكتاب الموجود به هو ذلك الذى ألفه لينين فى بداية هذا القرن تحت عنوان : « تطور الرأسمالية فى روسيا » فكر أن يقوم من مكانه ، ويتناول نسخة منه ، ولكنه خشى أن يحسب هذا التصرف عليه ، ولو أنه ليس من بين المحاذير التى أوصاه رئيس تحرير صحيفته - صوت اوكرانيا - بعدم الوقوع فى مغبتها والا عرض نفسه للسجن ، وعرض صحيفته للمصادرة ،

كمشرات غيره وغيرها .. تماما كما حذره بالألوانى نفسه ، أو يحاول أن يختلس النظر ، أو يدقق فيما ليس له به شأن .. فنصف هذا المكان عيون على النصف الآخر ، وكلهم عيون على من دخله من خارجه .. هكذا قال له رئيس التحرير نفسه ، وتأكدت له صحة أقواله وهو يمر بعشرات الأشخاص والأسماء والرتب ، وكلهم يدقق فى شخصه ، وفى التصاريح التى أعطيت له ، وفى صورته ، ومحتويات ملابسه ، والهدف من المقابلة ، واسم عائلته وعدد المعتقلين من أفرادها .. وغيرها .. وغيرها على الرغم من أن ذلك كله مدون بالأوراق التى يحملها ، والتى لاحظ أن أكثر من صورة منها توجد أمام الأشخاص الذين قابلهم .. أو الذين قادوه فى دهاليز هذا المكان ، وبعضها مظلم يذكر بحانات القرون الوسطى ..

حتى جاءه من يخبره بأن الرفيق فى انتظاره .. وقام بقيادته — لآخر مرة — الى حجرة لينين شخصيا .. وليجد الرجل نفسه أمامه وجها لوجه .. بعد كل هذه الاجراءات والتعهدات والتوجسات ..

بعد أن حيا الرجل « الرفيق » الأكبر .. ورد هذا بدوره التحية ودعاه الى الجلوس ، كان باروفيسكى ما يزال يتذكر كل ما قابله من عناء حتى وصل الى لقاء الرجل ، ومن هنا فقد قرر أن يستثمر هذه الفرصة التى أتاحت له تماما ، وأن يحاول الحصول ، قدر استطاعته على كل ما يستطيع الحصول عليه من الرفيق الأكبر .. كما رأى أن يبدأ سؤاله بما يتناول هذه الاجراءات نفسها .

المحرر : أيها الرفيق العظيم .. لابد أن أقول لك فى البداية أننى عانيت كثيرا حتى وصلت الى هذه الحجرة .. فهل يكون على كل صحفى

سوفيتى أن يفعل مثلما فعلت ، وأن يمر بنفس هذه الاجراءات .. وماذا  
اذن عن الصحفى الأجنبى ، أو المراسل الذى يريد اللقاء بك ؟

لينين : دعنا أولا نتفق على أن هذه الاجراءات قد وضعها رجال  
الأمن ، ولست أنا ، انه عملهم وهم يقومون به بالطريقة التى يرونها  
مناسبة . ولك أن تعلم أننى منذ عام كامل .. بالتحديد منذ يناير الماضى  
لم ألق بغير صحفيين اثنين فقط .. وهما من صحيفة « البرافدا »  
والمحرر بصحيفة البرافدا هو فقط الذى لا يمر بهذه الاجراءات لأنها  
- كما تعلم - ومنذ قمت بتأسيسها فى ٥ مايو عام ١٩١٢ .. وهى جهاز  
من أجهزتنا الرئيسية التى نعتمد عليها كل الاعتماد فى دعاوتنا ، كما  
تحولت بعد الانتصار العظيم لثورتنا الى جهاز من أجهزة اللجنة  
المركزية للحزب ، حزبنا الشيوعى السوفيتى ، تقوم بحمل تعليماتنا  
ونداءاتنا وأفكارنا الى الجماهير ، كما تقوم بواجبها الأساسى والحتمى  
فى حماية مصالح الطبقة العاملة ..

المحرر : أرى أنك لم تجب على الجزء الثانى من سؤالى ، والخاص  
بالاجراءات التى تتخذ مع المراسلين الأجانب .

لينين : لقد تعمدت عدم الاجابة على هذا الجزء .. لأنك تعلم تماما  
أنه لا يوجد عندنا مراسل أجنبى واحد ولم نتفق بعد فى لجنة الحزب  
على قبول أى من هؤلاء ، ومن ثم فإن الحديث عن مثل هذه الاجراءات  
لم يحن موعده بعد .. ثم قل لى .. ماذا اذا قمنا بقبول عدد من هؤلاء  
الذين بعثوا هم أو بعثت صحفهم الينا ومنذ نجاح الثورة ، تطلب أن  
نسهل لهم مهمة العمل بموسكو .. ثم اتضح ان هؤلاء من جردان  
الرأسمالية الذين يقومون بالتجسس على أنشطتنا وابلاغها لأعداء

البلاد ؟ ان عندنا من مهام بناء دولة كل السوفييت والعمل على وحدتها ،  
ووجه .ه الطبقة العاملة العالمية ما نضع الآن أسسه ، ومن ثم فليس عندنا  
الوقت الذى نقطعه فى متابعة أساليب هؤلاء .. ولا اعتقد أنه سيكون  
عندنا من الوقت لمتابعتها قبل أن نرسى معالم هذه الدولة التى نحلم بها ،  
أو على الأقل ، قبل أن نضع دستورنا الدائم .

المحرر : الرفيق العظيم .. لقد كنت مترددا فى اختيار موضوع  
الحديث معكم ، ولكن يبدو أننا سواصل الحديث عن صحافة دولتنا  
العظيمة ، وعن أفكاركم بشأنها ، وواقعها ومستقبلها .. ولكن ليس قبل  
أن تقدموا على لسانكم تعريفا بكم تنقله صحيفتنا الى القراء .

لبنين : موافق تماما .. ولعلها فرصة طيبة لتعرف الجماهير الكثير  
عن صحافتنا .. أما عنى شخصيا فاليك هويتى .. وسجل أعمالى .. لقد  
ولدت فى ٢٢ أبريل عام ١٨٧٠ بمدينة « سمبرسك » .. وقد تحدثت وأنا  
طالب الى زملائى عن حقوق الطلاب ، وتطرق الحديث الى حقوق آبائنا  
من العمال والفلاحين ، حيث كانت بعض الآذان تسترق السمع الى  
حديثى .. فنفيت الى سيبيريا وهناك قاسيت زمهرير الشتاء فى مقابل  
بضعة كلمات .. وعندما عدت الى مدينتى درست كارل ماركس  
وكانت لى اهتمامات قانونية كبيرة أطلعت عيني على أشياء كثيرة لم  
تقدم لى الفائدة عندما قمت بمزاولة المحاماة فى مدينة سمارا فقط ،  
أو فى مدينة سان بطرسبرج بعدها .. وانما أوضحت أمامى طريق العمل  
السياسى والدعائى القائم على أرضية صلبة من فهم لعقلية الجماهير ،  
ولتعليمات وأفكار ماركس .. أما الفترة التى تعتبر ذات تأثير كبير فى  
حياتى فهى تلك التى تقع بين عامى ١٨٩٥ — ١٩٠٥ .. ففى هذه الفترة

وضحت يدى على الأسس والمبادئ التى ينبغى الاندفاع نحو تحقيقها بقوة ، كما تنبعت الى أساليب تحقيق ذلك ، وقمت بممارسة تطبيقية لهذه الأساليب نفسها .. عن طريق الكتابة فى الصحف ، وتعبئة مشاعر الجمـاهير فى أماكن تجمعهم ، كما تعرضت خلال هذه الفترة نفسها للسجن والنفى أكثر من مرة ولمدد متفاوتة .. ولا ننس أننى خلال هذه الفترة نفسها قمت بتأليف الجزء الأكبر من كتابى الذى ضمنته خلاصة أفكارى خلال هذه الفترة ، والذى أطلقت عليه اسم « تطور الرأسمالية فى روسيا » ..

بعد ذلك .. ذهبت الى سويسرة حيث قمت بالاشراف على تحرير صحيفة ثورية .. ثم عدت الى الوطن وقمت بدور تنظيمي لجمـاهير موسكو الثائرة ولكن الثورة فشلت واضطرت الى الفرار من البلاد لأجتر ثورتى فى صدرى ، واحتفظ بدروس الفشل العديدة ، لتفيدنى بعد ذلك كثيرا .. لقد بقيت خارج روسيا حتى قيام الثورة فى فبراير ١٩١٧ ، حيث عدت الى بتروجراد واشتركت فى توحيد صفوف البروايناريا ، وقمت بوضع أسس ودعائم ديكتاتوريتها ، كما كافحت حتى نجحت فى نقل مقر الحكومة الى هنا .

المحرر : وماذا عن صحافتكم ؟

لينين : لقد كان اتصالى شديدا بالصحافة ، خلال هذه المراحل كلها .. بل وأثناء وجودى خارج البلاد أيضا .. وعندما عدت من الخارج ، قبل سفرى الأخير ، كنت أشد ايمانا بقوة هذه الوسيلة التى يمكنها أن تقدم الكثير والكثير جدا بالنسبة لتجميع كلمة العمال ، وتوحيدها وتنظيم

الدعاوة ونقل الشعارات والمواقف وتفسيرها ، وحشد الجهود والامكانيات ، وتكوين الكوادر التي تحتاج اليها .. ومن أجل ذلك كله فقد كان اهتمامي كبيرا بإنشاء صحيفة البرافدا .. وبعد أن قمت باختيار كوادرها العاملة بنفسى وبدقة شديدة ، ووضعت أمامهم خطة العمل خلال هذه المرحلة ، ثم خطة العمل خلال مرحلة ما بعد الثورة .. وهكذا صدرت البرافدا كما قلت لك في ٥ مايو ١٩١٢ .. وما تزال تصدر حتى هذا اليوم .. ولا أحسب أن شيئا ما سوف يحد من اندفاعتها ، أو يوقف من تطورها أو يحد من قوتها .. لأنها قد أصبحت - وكما كان مخططا لها منذ بداية إصدارها - صحيفة اللجنة المركزية للحزب .. والتي تستمد قوتها من قوة اللجنة ذاتها .. أقوى سلطات البلاد .. ومن هنا أيضا ، فالبرافدا تمثل تلك الرابطة القوية ، الجسر المتين الذي يربط بين الطبقة والطبقات .

ويستطرد لينين قائلا : أين ذلك كله من صحافة ما قبل الثورة .. تلك التي كانت لا تخرج في مادتها عن تمجيد القياصرة ، والكتابة عن أعمالهم مهما كان نوعها ، حتى أنها كانت تمتلئ عن آخرها بأخبار زواجهم وطلاقهم ورحلات صيدهم وزياراتهم وولائمهم .. دون أن تكتب حرفا واحدا عن العامل السوفييتي الذي يقاسى الأمرين في منجم يقع عند بطن الأرض ، وعلى عمق مئات الأمتار ، أو قاطع خشب يعمل في سيبيريا والثلج يجمد أطرافه .. ولكنه يعمل .. ويعمل ليحضر لأطفاله قوت يومه .

المحرر : لقد تحدثنا كثيرا عن البرافدا .. فماذا عن الصحف الأخرى ؟

لينين : هذا حق البرافدا علينا .. ولكننا لم نكمل الحديث بعد ..

فبالإضافة الى هذه الصحيفة الأم « البرافدا » فقد بذلت مجهودا خارقا



عقب هودتى بيضعة أيام فقط ، وعلى أثر نجاح الثورة ، وبعد اقتناع كامل منى ، ومن عدد آخر من زعماء الثورة قمت باختيار نخبة ممتازة من الثوريين المحترفين ، والذين كانوا يتذوقون حلاوة النصر .. أردت أن أجعل منهم هيئة تحرير أخرى لصحيفة جديدة ، لا تنافس البرافدا ، ولا تختلف فى سياستها التحريرية عن الخط الثورى العام ، وانما تعبر عن الجانب الرسمى الحكومى .. ومن ثم فقد صدرت صحيفة «أزفستيا» .. فى ١٣ مارس ١٩١٧ ، أى بعد صدور البرافدا بحوالى خمسة أعوام .. ثم تتابع بعد ذلك صدور صحف النقابات والجمهوريات المختلفة .. والوزارات أيضا وعندنا الآن مئات الصحف المتنوعة ..

المحرر : هل يمكن للرفيق العظيم أن يحدثنا عن الفلسفة التى تعمل على تسيير سياسات واتجاهات هذه الصحف كلها ، وكيف يرى مهامها الرئيسية ..

لينين : هذا موضوع شائك ، ولكنه أساسى .. وقد كنت أخاف أن يمر الوقت ، دون أن توجه لى مثل هذا السؤال الهام .. والآن استمع لى ما أقوله لك ..

اننا نؤمن تماما ، ومنذ كنا من الثوريين الطلاب ، أن هدف الصحافة لا يقوم على الاتجار بالأخبار أو المقالات أو الصور أو أنواع الكتابات الأخرى .. وانما العمل على توعية الجماهير واعلانها بما يعمل على ترتيبها وتنظيمها ووحدتها .. ومن أجل ذلك كله فقد اهتمت البرافدا منذ صدورها بتحقيق هذه الأهداف وبأسلوب ثورى .. حيث كان كتابها يعتبرون من طلائع الثوريين المحترفين ، ومن مشيرى القلائل الخبراء ، والذين يعرفون كيف يشيرون الجماهير ويدربونها ، ويجذبونهم اليها ، حتى يمكن تدريبهم تدريبا كاملا ، على الانتظام والوحدة والحقاق بهذه الطليعة الثورية نفسها ..

ويضيف، لينين قائلا : ومن هنا أيضا فقد سعينا الى نشر أسباب الاضطراب والفوضى واثارة الفضاخ التي زخر بها المجتمع القيصري ، وكشف الطرق التي تخفى الطبقات الحاكمة وراءها مصالحها الأنانية ، والعمل على اسقاط جميع الأقنعة التي تضعها هذه الفئة الطاغية المسيطرة على وجوهها ، وتعريتها تماما أمام الجماهير .

ويدق لينين بيده جرس مكتبه .. ويفتح أحد الأبواب الجانبية ويدخل منه رجل ضخم الجثة ، عريض المنكبين ، يشير له الزعيم اشارة معينة ، يعود بعدها حاملا كتابا كبيرا ، يمد لينين يده ويتناول الكتاب الأحمر الغلافة ، الذي وضعه الرجل على مكتبة ، ثم يفتحه ويستمر في حديثه .

لينين : لقد أردت هنا أن أطلعك بالضبط على ما كتبته منذ ثلاثة أعوام عن هذه النقطة بالذات .. لقد قلت بالحرف الواحد : « لن يجد العامل تلك الصورة الواضحة في الكتب ، لأنه لن يجدها الا في وقائع حية فيما يدور حولنا ولا تتناوله الا همسا فيما بيننا ، وتكشف عنه الوقائع والأرقام والأحكام .. وتلك الفضاخ التي تتناول جميع الميادين هي الشرط اللازم الأساسى لتهيئة الجماهير للقيام بنشاطها الثورى » .. لقد مهدنا الأذهان لما حدث بعد ذلك ، وكانت صفحات البرافدا خير معين لنا على الوصول الى الجماهير ، وحشدنا ، وايقاد نيران غيظنا وحققها .

المحرر : وكيف كانت الأمور تسير في تلك الأوقات ؟

لينين : لقد نجحنا الى حد كبير ، منذ صدور العدد الأول في بترسبورج ، تحت الحكم القيصري ، وأقدم عدد كبير من العمال على قراءة الصحيفة ، بل وعلى تأييدها وجمع التبرعات له ، خاصة عندما بدأت الصحيفة تنشر صور العمال العاديين ورسائلهم العديدة التي كانت تتحدث عن اضطهادهم ووسائل استغلالهم وظروف معيشتهم السيئة .. كما أفردنا

يا با خاصا نرد فيه على مطالبهم ، ونعلن الحرب على جلاديهم ومن ثم ، كان لذلك كله مردوده الايجابى ، ليس على نجاح الصحيفة فقط ، وانما على اشعال نار الكفاح الثورى فى نفوس العمال والفلاحين .. وذلك كان هدفنا الاول ..

المحرر : وماذا كان موقف السلطات حيال ذلك كله ؟ وهل تركتكم تفعلون ما تريدون دون تدخل فيها ؟

لينين : وهل هذا معقول ؟ .. لقد تعرضت الصحيفة كما تعرضنا نحن لمختلف ألوان العنف والاضطهاد وحتى النفي والتشريد .. لقد مارست السلطات فى ذلك الوقت جميع ألوان التقييد المعروفة وغير المعروفة بدءا بممارسته التعت فى الحصول على الورق ومرورا بمداهمة البيوت لمطبعتنا وفرض الغرامات العديدة علينا ، والتي كان بعضها فوق طاقتنا .. وحتى مصادرة الأعداد كلها قبل أن تخرج من المطابع لقد حدث ذلك ثمانى مرات فى عهد الحكومة القيصريية .. ولكننا كنا نتحايل بطرق كثيرة ، فمرة تتوسط الى رئيس الشرطة ، ونقنعه بمواقفنا ونعمل على تسريب عشرات من الأعداد الى الخارج ، ومرة أخرى نقوم بإخفاء الأعداد داخل العربات التى تذهب الى الريف فى المساء وتعود صباحا محملة بالخضر والفاكهة والبيض واللبن ، ومرة ثالثة نستسلم فى الصباح ، ونصدرها فى المساء باسم جديد .. لقد حدث ذلك أكثر من مرة .. وها هى الصحيفة بين يدي القراء ، توزع عليهم يوميا حوالى الربع مليون نسخة ، وهو رقم لم تصل اليه حتى اليوم ، أية صحيفة رأسمالية معاصرة .

المحرر : والآن وقد نجحت البرافدا .. كما أحرزت أرفستيا نجاحا لا يقل عن نجاحها .. هل لكم أن تحددوا لنا أهم أسباب هذا النجاح ؟

لينين : نعم .. وبعضها تناولناه خلال هذا الحديث نفسه بشكل أو بآخر ، كما أن بعضه قد تناولته في كتاباتي ، وخطبى .. ان فى مقدمتها على سبيل المثال لا الحصر هذه الأسباب كلها ..

— التعبير عن مطلبين أساسيين لجماهير العمال والفلاحين وهما :  
الأرض والسلام .

— اثاره القلاقل وتعرية النظام الرأسمالى ، وفضح الاقطاعيين ومداغة آمال وأحلام الجماهير .

— اعطاء الجماهير الفرصة كاملة للتعبير عن أفكارها وآرائها وكشف الظلم الواقع عليها وتسجيل استنكارها له .

— استبعاد الطابع التجارى للصحف كلية ، وكذا استبعاد فكرة صحافة الأفراد .

— العمل باستمرار استنادا الى خطة سياسية واضحة تحدد الهدف والطرق المختلفة والعملية المؤدية الى الوصول اليه .

المحرر : سؤال أخير : كيف ترى حرية الصحافة السوفيتية ؟ وما هو مفهومها فى رأيكم ؟ وهل يمكن أن يتضمن الدستور السوفيتى المنشود ما يشير الى هذه الحرية والى طبيعتها وحدودها ؟

لينين : حسنا .. لقد تحدثت كثيرا فى هذا الموضوع .. ان لنا نحن هنا فى الاتحاد السوفيتى مفهومنا الخاص للحرية جميعها ، والحرية الصحفية ، أو حرية الصحافة واحدة منها .. اننا نكره الشعارات الجوفاء ، التى لا تجد لها التطبيق العملى على أرض الواقع نفسه ، ومن ثم ، فانه اذا كانت صحافة الرأسماليين ترفع شعار الحرية كذبا ونفاقا ، وحيث لا حرية على الاطلاق ، مما يحوله الى شعار مزيف ، أو طبل أجوف ، أما بالنسبة لنا فان شعار الحرية الذى نرفعه يحمل فى مضمونه ويتحدد

مفهومه أيضا وفقا لمصالح الطبقات العاملة من فلاحين وعمال وجنود  
ومثقفين وثوريين ، وعلى سبيل تدعيم النظام الاشتراكي .. وغير ذلك  
فلا حرية على الاطلاق .. بل ان الحرية نفسها تصبح ترفا صحفيا ،  
لا أعتقد أننا نقدر عليه الآن ، أو سنقدر عليه في المستقبل القريب ..

مرة أخرى يدق الزعيم الجرس الموجود على مكتبه ، ويدخل رجل  
آخر ، ضخم أيضا عريض المنكبين أيضا ، ولكنه غير الرجل الأول ، بل  
يزيد عنه بشارب « قيصرى » لعله من بقايا العهد السابق .. يدخل ،  
ويشار اليه ، ويخرج ، ويدخل مرة أخرى وفي يده كتاب آخر .. يضعه  
على المكتب الضخم ، ثم يغادر فوراً ، في خطوات - رغم ضخامته -  
سريعة ..

لقد تعرف المحرر على الكتاب هذه المرة .. انه كتاب لينين نفسه  
المسمى : « نظريات حول الديمقراطية البورجوازية وديكتاتورية  
البروليتاريا » والذي صدر منذ عامين فقط ..

بمسك لينين بالكتاب ويتجه بوجهه الى المحرر ، يفتح الكتاب  
ويقول :

أظن أنني عبرت عن مثل ما تحدثت به اليك الآن ، على صفحات  
هذا الكتاب ..

يمد يده اليه بالكتاب .. بعد أن يشير الى فقرة محددة على إحدى  
صفحاته ، يطلب من المحرر هذه المرة أن يقرأ بنفسه .. يتناول المحرر  
الكتاب الضخم بين يديه المرتعشتين مخافة أن يفلت من بينهما .. يقرأ  
بصوت مخنوق .

« حرية الصحافة هي أحد الشعارات الرئيسية في الديمقراطية  
الساوية ، الراساليون يفهمون بحرية الصحافة حرية شراء الأغنياء لها ،  
حرية استخدام الثروة لصنع وتزييف الرأي العام .. الحرية الحقيقية

لا تتجلى الا في النظام حيث تنعدم الامكانية الموضوعية لاختضاع الصحافة  
لسلطة المال مباشرة ، أم بطريقة غير مباشرة » .

بعد أن خلبص من القراءة ، يلتقط المحرر أنفاسه و « يبلع ريقه »  
ويحمد الله على أنه لم يخطئ بينما ينطلق لينين في حديثه مرة واحدة ..

هذا هو مفهومنا للحرية الصحفية ، ولحرية الكلام ، ولكل الحريات ..  
التي ينبغي أن يمنحها دستور الاتحاد السوفييتي للمواطنين الذين ننظر  
اليهم ككل وليس كأفراد .. كل يمثل أعضاء الحزب .. وهؤلاء تمثلهم  
القيادات التي تقرر هذه الحريات كلها ، بما يتفق ومصالح الشعب العامل ،  
ودعم النظام ..

عند ذلك الحد أحس المحرر أنه قد أخذ من وقت زعيمه أكثر من  
المقرر .

فقام وشكره كثيرا .. ثم ودعه مسلما .. ولينين يكرر على مسمعيه  
لا تنس أن تقول أن أفضل حرية للصحافة ، هي ما يرى الحزب أنها  
الأكثر صلاحية لليوم والغد .. وفقا لمصالح الطبقات العاملة .. ودعما  
للنظام ..

ويرد الصحفي : لن أنسى .. لن أنسى مطلقا أيها الرفيق العظيم .

ملحوظة : فكرت طويلا في أسلوب جديد لتناول أفكار هذا الرجل  
— الجافة أصلا — حول الصحافة ، ولم أجد خيرا من هذا الحديث  
الوهمي .. الذي لم يجبر على الاطلاق ، وإن كان ما به قد أخذته عن  
الرجل نفسه ، وكتاباتة العديدة .. وصحافته أيضا فمعذرة !

أتاتورك :

---

منقذ البردينيل

والهجوم العاقل

---

أتاتورك :

## منقذ الدردنيل والهجوم العاقل

ما يزال بعض الخلاف حول هذا الرجل يقوم .. ويحتدم أيضا ..  
.. نعم .. على الرغم من أن حركته ، أو انقلابه ، أو ثورته .. قد  
مر عليها أكثر من نصف قرن من الزمان ، إلا أن تضارب الآراء وحيرتها ،  
بل وحيرة المؤرخين أيضا .. ما تزال ماثلة للأذهان ، تقفز الى الوجوه في  
شكل علامات استفهام عديدة وكبيرة ..

وبالطبع لم يكن من المنتظر أن تصبح صحافة الغرب ، وصحافة  
الشرق - معا - أقل حيرة من كتب التاريخ والمؤرخين .. فبينما نجد أن  
الكتاب الاسلاميين على اختلافهم ينحون باللائمة عليه ، ويحملونه كل  
ما أصاب الاسلام من ضعف ووهن وما استتبعهما من نتائج كانت لها  
تأثيراتها البعيدة المدى على الدين الحنيف ، وعلى أهله وعلى دوله .. نجد  
أن بعض هؤلاء يضعه في مكان لم يبلغه أحد من الزعماء .. كيف لا ، وهو  
صاحب واحدة من أبرز الحركات النضالية الاستقلالية في العصر الحديث  
كله ، وليس في القرن العشرين ، أو نصفه الأول فقط ؟ .. ذلك كله بينما  
نجد واحدا من أكبر مؤرخي هذا القرن نفسه : هـ.أ.ل فيشر يقول عنه  
بالحرف الواحد أنه كان : « شرس الطباع قاسى القلب ميالا الى الخصام  
والشجار وكانت عريته فظة ، وفجوره قاسيا ودعاواته عنيفة متسقة مع  
تقاليد أمته » (١) ..



وحتى هذا الرجل نفسه ، فانه وهو يصفه بهذه الصفات كلها ، لم ينس أن يعترف له بأنه ذلك الرجل الذي يمتلك بنية من حديد و ارادة قدت من صلب ، وتفاذ بصر وجلاء فكر واستقلال رأى وموهبة في الزعامة الحربية والسياسية .. الى أن يقول : « كانت كلها مناقب انفرد بها دون سائر بنى جلدته » (٧) ..

ذلك هو « الذئب الأغر » « الغازى » « منقذ الدردنيل » و «موقظ تركيا » « مصطفى كمال أتاتورك » الرجل الذى قام بحركته النضالية الاستقلالية الكمالية التى قلبت الصورة في تركيا تماما رأسا على عقب ، والتى أدت الى انشاء دولة تركية جديدة ، وسط ركام آلام الامبراطورية العثمانية ، وحطام شيخوختها المبعر ، وبعد أن كان الحال قد بلغ بدولة الخلافة ، والاسلام ، والباب العالى ، مبلغا لا يرضى أحدا ، أو على حد تعبير صحيفة التايمز اللندنية : « وصلت الى حالة من الضعف والشلل التام .. وأصبحت أكبر مثال لما يمكن أن يورثه السفه والغفلة والغرور والاسراف والجهل والتعصب وسوء الادارة ... جميعها اجتمعت عليها .. وفى آن واحد » .

وبصرف النظر عن جميع أفعال الرجل وعن أننا نقف تماما فى صف المعارضين لبعض ما جاء به ، وما أحله بالقوة الطاغية ، خاصة ما يتصل بالدين الاسلامى والقرآن الكريم واللغة العربية ، وكذلك ، بصرف النظر عن ايماننا المطلق بأنه كان يستطيع أن يحقق ما حققه ، وأن يصل الى ما وصل اليه ، وربما الى أكثر من ذلك ، دون أن يوجه طعناته الى المقدسات الاسلامية ، والعبادات ، ولغة القرآن .. الا أننا لا ننكر له دوره الوطنى الكبير الذى قام به ، ولا اخلاصه أو تفانيه فى نهضة بلاده وتريتها والبحث لها عن مكان تحت شمس العصر ..

ليأتى الآن دور الحديث عنه ، من زاوية الصحافة ..

كيف كان « الذئب الأغبر » يراها ؟ .. وما هو رأيه فيها ؟ ومواقفه منها ؟

الحق أنه لم يكن من المعقول ، ولا من المقبول ، ألا يلتفت الرجل - زهر داعية وصاحب فكرة ، وزعيم وطني ، وقائد عسكري - الى هذه الأداة الاعلامية والدعائية الكبرى ، لا سيما والآستانة - عاصمة الخلافة - كانت تزخر بالعشرات من مندوبي الصحف العالمية ووكالات الأنباء الكبرى ، والذين كانت اقامتهم بها شبه دائمة ، لأنها كانت في ذلك الوقت وعلى الرغم من تردى حالتها .. من العواصم الكبرى صانعة الأحداث العالمية .. حتى وان كانت هذه الأحداث نفسها تسير في اتجاه مغاير لمصالحها ..

وبالإضافة الى ذلك كله ، فان الرجل كانت صلته قوية بأفكار الزعماء والقادة من الذين شهدتهم هذه الفترة نفسها ، وكان أبرزهم ممن بلغ اهتمامه بالصحافة مداه والى حد الاشتغال بها ، قبل ظهور حركته ، وبعدها أيضا .. وذلك مثل « لينين » و « موسوليني » و « هتلر » .. وغيرهم ..

بل ان الرجل نفسه - مصطفى كمال - كان يعرف الى أى حد كان اهتمام السلاطين بهذه الوسيلة ، ذلك الاهتمام الذى جعل بعضهم يجرى الرواتب الكاملة ، ويدفع الرشاوى أيضا ، لعشرات من الصحف الأوربية، ومئات من الصحفيين ..

ومن هنا ، فقد بعث الرجل ، وهو ما يزال فى شرح الشباب الى رئيس تحرير صحيفة « صون بوسته » التى تصدر فى الآستانة برسالة يرجوه فيها أن تتاح له فرصة الكتابة والتعبير عن أفكاره ، وكذا عن « هذا الظلام الرهيب الدامس الذى تسير فيه البلاد دون أن يدرك أحد الى أين تسير وما هى النهاية » .. ويعبر فى خطاب آخر له بقوله : « لقد

امتثلت بلغاريا وانقطعت الصلات بيننا وبين ألمانيا والقي جنودنا السلاح، ووقعوا الهلجنة على ظهر بارجة انجليزية... وهذه هي أساطيل الحلفاء تحتل مضيق الدردنيل والبوسفور، والجيش قد سرح أكثره والإنجليز والفرنسيون يقتسمون البلاد الأرمن والروم يوجهون الطعنات واليونان تحتل أزمير... وماذا بعد؟ ألتسم معنى في أنه لابد من العمل الكبير وأن وقته قد حان تماما؟» .

وعلى الرغم من أن عددا كبيرا من خطابات المقاتلة لم يجد طريقه إلى النشر، إلا أن اتجاهه إلى الصحافة، في هذه المرحلة المتقدمة يؤكد أنه كان ينتظر منها وعلى يديها الكثير... وقد أكد الرجل ذلك، بعد أن بدأ كفاحه المعلن في أكثر من صورة، من بينها أنه كان يدعو عددا من الصحفيين الأتراك إلى اللقاء به ومبادلهم الرأي والمشورة في ما آلت إليه أحوال البلاد.. كما سمح لبعضهم بحضور عدد من اجتماعاته السرية، وأرسل البعض الآخر في مهام خاصة ببعض البلاد الأوربية والعربية، كما شجعهم على الاشتراك في عدد من الجمعيات التي كان أعضاءها يتدارسون وسائل الخلاص، مثل جمعية «تراكية» و«الدفاع عن الولايات الشرقية» و«جمعية حفظ الحقوق» و«تعالى الاسلام». وغيرها من تلك التي ساهم «الزعيم» في نشاطها المبكر بشكل أو بآخر..

وقد أسفر ذلك كله عن نشأة صداقة بينه وبين عدد من الأتراك الذين كانوا يوالون الكتابة عن مثل هذه الأمور في صحف تلك الأوقات مثل خالدة أديب وبكر سامي والحاج عادل وسعيد ملا - على الرغم من الميل الانجليزية لبعضهم - كما نشأت مثل هذه الصداقة بينه وبين عدد من كبار الصحفيين أنفسهم حتى أنه يقال أن بعضهم قد سهل قدومه إلى الأناضول ليبدأ كفاحه، كما أن أحد الصحفيين قد سهل له مقابلة السلطان وحيد الدين نفسه، ثم عاد ونشر تفاصيل هذه المقابلة التاريخية التي حاول فيها - كما يقول - أن يقوى من عزائم السلطان وأن يثبت في روحه

الجرأة والقوة .. وان كان هذا النشر نفسه قد لفت اليه أنظار عشرات من عيون الدول الأوروبية ، وجواسيسها الذين كانوا ينتشرون في كل مكان ، فبدأ هؤلاء يحذرون سفراءهم من الرجل ، وأفكاره ، وشعبيته المتزايدة ، خاصة بعد أن ذهب الى « صامسون » وبدأ تفكيره الجاد والعنيف أيضا في مواجهة حالة الشلل العثماني ..

يقول محمودة عزة دروزة : « وهكذا أخذ توجيه الزعيم ودعوته يظهر هنا وهناك ويتردد صدها داخلا وخارجا ، وقد كان الانجليز أسرع الناس الى الشعور بالحالة ، وبما قد تصل اليه من أطوار فسارح مندوبهم السامي الى تقديم مذكرة الى الباب العالي في ٣١ نوار ١٩١٩ .. الخ » (١).

على أن ذلك — بالطبع — لم يمنع من وجود صحف كثيرة تهاجمه وتلقى عليه بأكثر من انهام فقيل عنه أنه مغرور .. متصلب ، ملسط ، يهدف الى تحقيق أمجاد شخصية فقط .. ذلك كله بالنسبة للصحافة التركية ، أما الصحف الأجنبية فحدث ولا حرج عن هجومها عليه ، ونعته بعشرة من النعوت التي يندى لها الجبين .. حتى أنه قبيل انتخابه رئيسا لحكومة المجلس الوطني الكبير الأولى ، رأى أن ينبه أعضائه الى ما ينشر أو يذاع أحيانا ضده ، من مقالات وفتاوى ولعنات ، وأهاب بهم عدم التأثير بذلك ، كما نفى نفيا باتا ما نسبته اليه الصحافة الغربية ، وبعض الصحف التركية من غرور وطموح شخصي يصل الى حد البحث عن الأمجاد دون النظر الى عواقبها ، وما يتصل بذلك كله من رئاسته للدولة وحلوله محل السلطان ، وهو ما كانت تشييعه تلك الصحف ..

ولكن السنوات التالية والتي شهدت الانتصارات العديدة للغازي، كما شهدت أيضا التحولات الضخمة والخطيرة في تركيا .. أو تلك التي أدت الى تركيا الحديثة ومن بينها :

« هزيمة اليونان ودخول الترك أزمير — انتهاء حكم آل عثمان —

احتلال الآستانة - ازالة كل شىء يرمز الى النظام القديم فى تركيا -  
 الغاء الامتيازات الأجنبية - الغاء الخلافة - علمانية الدولة - ترجمة  
 القرآن الكريم الى التركية - ارتداء القبعة بدلا من الطربوش - خروج  
 المرأة الى العمل ورفض الحجاب - ادخال الحروف اللاتينية فى الكتابة  
 التركية - اقتباس القوانين الأوروبية - الغاء الجمعيات الدينية والطرق  
 الصوفية - اتخاذ أنقرة العاصمة - اقرار التاريخ الميلادى - الغاء  
 الألقاب .

هذه السنوات نفسها شهدت مجالات عديدة من مجالات الاحتكاك  
 المباشر بين الرجل والصحافة وصحيح أن أكثرية الصحف ، بل غالبيتها  
 العظمى ، لم تستطع إلا أن توافق ، وأن تؤيد ، وأن تصفق أيضا ،  
 وبجراحة شديدة .. بينما كانت أقلية منها - الصحف التركية - تعارض  
 بصوت مبجوح ، لا يكاد يستمع اليه أحد ، وذلك وسط الأصوات  
 الكثيرة جدا والمرتفعة للغاية ، التى بدت مؤيدة ، عن اقتناع أو عن خوف ..  
 وأما هذه التى استطاعت أن تعارض بصوت عال فقد كانت قلة نادرة  
 للغاية ، ولا تعد على أصابع اليد الواحدة .. وحتى هذه أيضا ، فان  
 معارضتها لم تستمر طويلا .. بل انتهى بها الأمر ، الى أحد موقفين .. اما  
 العودة الى الصفوف المؤيدة بحرارة ، حتى قيل أنها أصبحت « كمالية »  
 أكثر من صحف الرجل نفسه ، واما أثرت هذه العزلة منها ، عن الجماهير  
 العريضة المبهورة بقائدها ، المصنفة له وهو فى مواكب انتصاره ، ومن ثم  
 كان عليها أن تواجه انصراف القراء عنها ، وأن تكافح من أجل وجودها  
 وهو ما لم تستطع أن تحققه ولا كان لها ذلك ، فقد كان أصحابها يعلمون  
 أن الساطة من أمامهم ، وبحر الجماهير المؤيدة للغازى ، منقذ البلاد ،  
 وتهاوى التوزيع من ورائهم ..

كانت هذه هى الصورة التى تابعت تلك الأحداث الكمالية ، أحداث  
 اليقظة التركية كلها .. ولكن هذه الصورة نفسها والتى تشمل موقف

الرجل من الصحافة ، كانت لها عدة أبعاد أخرى وبعض التفاصيل التي لا بد من الإشارة إليها .. ومن بينها هذه كلها على سبيل المثال لا الحصر :

— أن الذئب الأغبر قد قرأ ذات مرة في إحدى صحف المساء التركية مقالة لأحد الكتاب موقعة بالأحرف الأولى ، اشتتم منها رائحة أجنبية خبيثة — على حد تعبيره — تأتي من الغرب .. أي من اليونان ، وتتهمه بجنون العظمة ، فما كان منه إلا أن قام بجمع محرريها ، وطلب منهم أن ينفقوا أمامه في شكل طابور عسكري ، ثم لقنهم درسا في الأخلاق والوطنية وبعد ذلك طلب منهم الانصراف ، ليس إلى مقر الصحيفة الذي كان جنوده قد داهموا وصادروا جميع نسخها .. وإنما إلى بيوتهم .. وبالخطوة العسكرية أيضا .

— أنه أمر بأن تتوقف جميع الصحف التي سبق لها وأن بايعت سلاطين آل عثمان وامتدحتهم وأظهرت غلوا في هذه البيعة ، وذلك المديح ، وقام بنفسه بأعداد قائمة بهذه الصحف ، وطلب من تلك التي تريد أن تعود إلى الصدور أن تكتب طلبا جديدا بذلك ، وله هو شخصيا أن يوافق أو لا يوافق .. كما أنه كان يطالب الصحف العائدة بآثبات ما يبرر عودتها ، من خلال موادها المختلفة .

— وحتى قبل هذه الانتصارات العديدة التي حققها ، والتحولات الخطيرة التي شهدتها البلاد في عهد زعامته .. فإن « قانون الخيانة الوطنية » الذي أصدره ، لم يسلم من عقوباته عدد من الصحفيين الأتراك ، هؤلاء الذين حكم عليهم بـ « حبس القلعة » نظير بعض مقالاتهم التي وجد القضاة أنها تندرج تحت ما يسميه القانون « اسناد تهمة غير صحيحة » ..

— وعندما قامت معارضة قوية داخل المجلس الوطني الكبير للخطوات التي قام بها الرجل ، وعلى وجه الخصوص ما يتصل بالاسلام

وبالغاء الخلافة ، وتكونت هذه المعارضة من عدد من النواب الأقوياء ..  
 مما أدى الى ثورة الأكراد بقيادة الشيخ سعيد انتصارا للدين وحماية له  
 من الملاحدة وقام الغازي بقمعها ، فانه أسرع بإصدار « قانون اقرار  
 الأمن والسكون » في ١٤ مارس ١٩٢٥ .. والذي يخول حكومته أو من  
 ينوب عنها سلطة تعطيل ومصادرة أية صحيفة أو منشور أو مجلة  
 أو رسالة يكون من شأنها بث الهياج والتخريض على الارتداد  
 والعصيان ، أو أن يكون من بين مادتها « تحريضات وتخريكات على  
 اخلال أمن الدولة ونظامها الاجتماعي والسياسي » .. كما نص القانون  
 على المنع الإداري بتصديق رئيس الجمهورية ، وأمر كذلك بإحالة  
 الناشرين الى محاكم الاستقلال .. كما أصدر عدة مواد ألحقت بقانون  
 الخيانة الذي سبقت الإشارة اليه ، وكان من نتيجتها تقديم زعماء  
 المعارضة البرلمانية والصحفية الى المحاكمة ، وكان من نصيب بعضهم  
 الشنق بينما نجا زعيما المعارضة كاظم قره بكر وعلى فؤاد بشق النفس ،  
 حيث عفا عنهما الغازي في اللحظة الأخيرة .. تقديرا لما كان بينه وبينهما  
 من صداقة طويلة سابقة .

— كذلك فنحن نقرأ في قانون انشاء حزب الشعب — المادة ٢٧ —  
 « على الصحف والمجلات التي ينتمى أصحابها الى الحزب ، وعلى  
 الكتاب المنتسبين اليه والذين يكتبون في صحف ومجلات عامة مراعاة  
 مبادئ الحزب وأهدافه فيما يكتبون وينشرون ، وتنظم اتصالات  
 واجتماعات بين صحفيي الحزب من محررين وأصحاب صحف لضمانة  
 السير في هذه الخطة .. وعلى أعضاء الحزب الذين لهم صلات مالية  
 وثقوى في صحف ومجلات أخرى أن يهتموا لعدم نشر أى شيء مخالف  
 لنظام الحزب ومنهجه وخطوط سياسته الداخلية والخارجية .. الخ » (٤)

وإذا كانت هذه المادة نفسها تعنى كثيرا ، فانها تضاف أيضا الى هذا الاهتمام البالغ من جانب الرجل بالصحافة .. على الرغم من ضحاياها من الصحف ، ومن الصحفيين .. ولكنهم - على أى حال - كانوا أقل عددا من ضحايا السلاطين ، وقصر يلدز .. والمالين .. وغيرهما من القلاع العثمانية . لقد كان الرجل يهاجم الصحافة ، وبشدة ، ولكنه كان على أى حال هجوما من النوع المفيد ، والعاقل ، فى أكثر الأحيان ، وباستثناء صورة قليلة جدا ، كان الهجوم يتحول فيها الى هجوم كاسح ، معزق ، ومتجبر .

---

(٢-١) هـ.أ. ل فيشر : ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الفسيح : « تاريخ أوروبا فى العصر الحديث » ص : ٢٨٠ - ٢٩١ .

(٢) محمد عزة دروزه « تركيا الحديثة » ص : ١٩ .

(٣) المصدر السابق ص : ١٩٣ .



فيصل الأول :

العهد الذهبي ..

لا يوم طويلا .. :

## فصل الأول :

### العهد الذهبى لا يدوم طويلا

على أثر سنوات طويلة من الرقابة المريرة التى كانت تقوم بها « المشروطية » .. وعلى أثر « رقباء » من قليلي الحيلة والفهم والتبصر .. لم يكن همهم واحدا فى اثر آخر ، غير التنافس على ايقاف الصحف ، وتعطيل المجلات ، والتنكيل بالصحفيين والكتاب ، واضطهادهم ونفيهم وتشريدهم .. حتى أضافوا بتصرفاتهم عددا من المواد الرهيبة ، فوق ما أضافه أو جاء به القانون العثماني نفسه .. أى قانون عثمانى ..

وكذا .. على أثر مشاعر الخوف المستبدة بالولادة ، والسلطين ، وتحولها الى أكثر من صورة تؤكد طبائع الاستبداد ، وتحدث عن يد الخلفاء الطويلة ، وعيونهم المترصدة ..

على أثر ذلك كله ، وغيره من الصور السلطانية الشاهانية الخاقانية ، كان ما كان من هزيمة تركيا « الرجل المريض » فى الحرب العالمية الأولى ، وتأكيد ضياع والسلاخ أكثر أجزاء امبراطوريتها .. وقيام الغازى مصطفى كمال أتاتورك بانقلاباته الشهيرة .. وحيث حصلت سوريا على استقلالها ، بعد أن أنهت الحرب الاحتلال التركى لها ، بكل ما جاء به من خير وشر ..

تنفس السوريون الصعداء — الى حين — وخرجوا يمانقون شمس حياة جديدة تشرق على دمشق وحلب ، وغيرهما من المدن السورية ،

لأول مرة منذ عشرات السنين .. خاصة وأن السنوات الأخيرة كانت قد شهدت أكثر من لون من ألوان العنف ، وأكثر من صورة من صور التقييد ، تتمثل في تلك السدود التي أقامتها الحرب ، وأحكامها العرفية ..

وكان من الطبيعي أن تتفق الآمال الشعبية العريضة ، مع ولاية « فيصل الأول » حكم البلاد على أثر انتهاء هذه الحرب ، وأن يعرف هذا بدوره - ولم يكن يعوزه الذكاء - أنه انما يمثل عهداً من عهود الانقاذ واليقظة ، والمضي في سبيل التطور .. وأحلام بناء دولة حديثة ، وتعير الصورة في البلاد السورية تغييراً كاملاً .. قدر لهذا الرجل أن يقوم بذلك كله .. ومن هنا فقد شحذ عزمه تماماً واستنهض همته .. وبدأ على الفور يستجيب في فعالية كاملة للمشاعر الوطنية ، بل ويسبقها باشر من خطوة ..

وكان من الطبيعي ، ألا تتأخر الصحافة السورية عن ركب الاستقلال والبناء ، وأن يقوم الصحفيون السوريون بدورهم الجدير بهم ، بعد عشرات السنين من الكبت والصراخ المبحوح وقيود الرقابة ، والأعيب الرقباء . ومن هنا ، فقد كان العهد الفيصلي يعنى أيضاً عهداً صحفياً جديداً ، تقوم فيه الصحافة بدورها الهام والقيادي ، دون سدود أو قيود ، وبغير خوف أو قلق أو تردد ، أو تهديد لصحيفة أو لصحفي ..

ومن هنا ، وعلى حد تعبير نقيب الصحفيين السوريين الأسبق - نصوح باييل - انطلقت الأحاسيس القومية المكبوتة .. لتفعل فعلها ، وكان العهد الفيصلي يعنى وبالإضافة الى ذلك كله بداية جديدة لظهور الصحف الوطنية ، التي انطلقت على صفحاتها الأقلام من عقالها ، لتكتب عن الاستقلال والحرية ، والاخاء ، والدين ، والقومية ، والنمو ، والتطور ، وآثار الحرب ، وذكريات العهد العثماني وأمور الاسلام ، وغيرها ، وغيرها من أمور كانت تعرض الصحف للتعطيل والمصادرة ،

ولغضب الولاة وعسف الرقباء .. بل كان مجرد ذكر بعضها على صفحات جريدة أو مجلة ، يعنى مصادرة أعدادها وربما ما هو أكثر من ذلك ..

لكن الأهم من ذلك كله ، هو ذلك الموقف الجسور ، والذي بلغ اسى درجات التعاطف والحدب من هذه الصحافة الوطنية المرحلية الهامة .. فان رجلا غير فيصل ، كان باستطاعته أن يتردد فى موقفه منها ، وان يؤجل تأييده الكامل لها الى حين تنجلي المواقف ، لا سيما وأن بهد نصه واستقلاله الوليد يبران من عنق الزجاجة ، أو نقطة الخطر ، وان مداد وثيقة الاستقلال بل ووثيقة تعيينه ملكا ، لم يجف بعد .. وكانت اجراءات تأجيل مواقفه الشجاعة من الصحافة وكذا اجراءات تأجيل اعطائه الضوء الأخضر للصحفيين والكتاب وأرباب القلم ، لن تجد سوى كل مؤيد لها ومقدر لموقف الرجل ، ولطبيعة المرحلة الحرجة التى تجتازها البلاد ..

رفض الرجل موقف المتردد ، أو الخائف ، ورفض أن يصيب الصحفيين فى مشاعرهم ، أو أن يقوم بحركة « فرملة » لأحاسيسهم القومية التى طال عليها الرقاد ، والكبت ، وطال عليهم اجتزارها .. بل رفض أن يستمع الى نصيح عدد من أعوانه بتجديد أوضاع الصحافة السورية ، ريثما يتبين هو وتبين البلاد طريقها .. وسط العواصف التى دانت تتجمع فى الأفق القريب ، لتهب عليها مرة واحدة ..

ون يقدر موقف الرجل تماما ، الا من يعرف ماذا يعنى المزيد من اجتزار الأفكار والآراء .. والا من يدرك أن الصحفى قد يقتل وهو حى يرزق ، ويسير ، وتمضى به الحياة فى دروبها الفسيحة .. ولكنه يكون سنوتا من الكتابة ، محكوما عليه بدفن أفكاره ، ووأدها ، أو أن تظل حبيسة صدره ، لا تخرج منه الى النور ، والى حيث تؤثر ، وتغير وتصلول وتتدفق .. تلك هى حياته الحقيقية .. وما عداها فهو والعداء سواء .

.. ومن هنا ، واستمرارا لهذا الموقف الوطنى ، الحكيم ، والشجاع أيضا فقد تعددت صور عناية الرجل بصحافة بلاده ، ومساعدتها فى النهوض من عثارها ، وفتح الباب أمامها على مصراعيه ، وكان من بينها هذه الصور كلها :

✳ أن الرجل قد قام بدعوة رؤساء تحرير الصحف أكثر من مرة ، حيث يالغ فى اكرامهم ، وشرح لهم خطته فى النهوض بالبلاد ، واستمع اليهم طويلا بشأن المشكلات التى يواجهونها ، أو تواجهها صحفهم ، ودان دائما يبدل جهده لكى تستمر مسيرة هذه الصحف ، ويحاول أن يدلل جميع العقبات التى تعترض هذه المسيرة ..

✳ أن الرجل قام بالغاء الرقابة التى كانت موجودة فى البلاد منذ القوانين العثمانية الأولى ، كما قام كذلك بوقف العمل ببعض اجراءات الرقابة الأخرى ، من تلك التى فرضت الحرب وجودها ، فعادت الصحف الى ممارسة حياتها الطبيعية ، فى مناخ صحى ، أحست به البلاد كلها ..

✳ ويقال أنه من بين القرارات الأولى التى اتخذها الرجل - فيصل الأول - فور عقد الهدنة ودخوله الى دمشق مع الجيش العربى ، ذلك القرار الذى يقضى بعودة الصحفيين المنفيين الى خارج البلاد ، أو هؤلاء الذين هاجروا الى البلاد الأخرى ، وخاصة مصر طلبا للحرية ، كما وجه دعوة خاصة الى الصحفى الكبير محمد كرد على للعودة من الآستانة واعادة اصدار « المقتبس » التى كانت قد توقفت عن الصدور قبل جلاء القوات العثمانية عن القطر السورى .

✳ ويقال كذلك - وقد ذكره أكثر من مرجع تاريخى وصحفى - أن الرجل كان يقدم اعانات حكومية كثيرة وأحيانا من جيبه الخاص ، لمساعدة بعض الصحف على الصدور ، كما كان يقدم هذه الاعانات أيضا فى شكل كميات اضافية من الورق ، وتسهيل شراء آلات الطباعة .. وغير ذلك كله .

✳️ وأكثر من ذلك ، فإن رعاية الرجل لهذه الصحف امتدت أيضاً الى الوزراء والمديرين ، فبالإضافة الى أن هؤلاء قد فتحوا أبواب أعمالهم لمندوبي الصحف ومحرريها ، عندما وجدوا أن الملك نفسه يفعل ذلك ، وعن طيب خاطر ، فإن تعليمات الملك الى هؤلاء كانت تؤكد هذا الاتجاه ، اتجاه التعاون التام مع الصحافة ، بل انه كان يطلب من كبار الموظفين والقادة أن يجتمعوا وبصفة دورية بالمندوبين ورؤساء التحرير ، «مضاهيهم» على أعمالهم ، والرد على جميع استفساراتهم ، أو تلك الخطابات التي كان يبعث بها القراء ..

كان هذا هو موقف الرجل من الصحافة ، والذي جعل الصحف كلها ، والصحفيين جميعهم يعترفون له بذلك ، ويؤيدونه تمام التأييد ، ويمضون معه على درب الكفاح حتى نهاية الشوط القصير الحافل بل جعل مؤرخ الصحافة السورية يقول عن هذا العهد الفيصلي نفسه : « ربما كان هذا العهد من أجل العمود وأخصبها للصحافة وللحركة الأدبية والعلمية في دمشق لم تر مثله منذ مئات السنين » (١) .

مهما يكن من الأمر .. فقد مضت الأقلام تكتب ، والأخبار تحرر ، والمقالات تتوالى ، والصور تنشر وكلها تدعو الى دعم الاستقلال والبناء ، على صفحات عدد كبير من الصحف والمجلات الجديدة ، أو تلك التي عاد أصحابها الى إصدارها بعد سنوات المحنة ، والتي كانت - هذه وتلك - جديدة أو قديمة - تنحى منحى وطنيا تاما ..

ومن أجل ذلك كله ، وبالإضافة الى تلك الصور السابقة ، فقد جددت صور مشرقة على صحافة هذا العصر ، فارتفع شأن الصحفي السوري عن ذي قبل ، وأصبح الناس ينظرون اليه بمزيد من الاحترام والتقدير ، كأحد المساهمين في ايجابية وفعالية في مرحلة البناء ، وقد زاد من هذه النظرة وشجع عليها أن عددا كبيرا من زعماء هذه الفترة انضموا الى صفوف الصحافة ، كما أن عددا من الصحفيين أنفسهم

كانوا من بين هؤلاء .. حتى أنه يقال أن من الصعب أن تثر على إنهم واحد لامع أو نجم من نجوم الوطنية ، لم يعمل بالصحافة خلال هذه الفترة نفسها .. بل ان هذا الاحساس قد امتد أيضا الى الصحافة الاقليمية ، والصحفيين الاقليميين ، وليس الى صحافة العاصمة دمشق وحدها .. فنال هذه الصحافة ورجالها ، ما نال صحافة العاصمة من تأييد وتعزید رسمي ..

وقد تأكدت هذه المعالم المشرقة والبارزة كلها بموجب القرار الملكي الفيصلي الذي وقعه الملك في ٧ مايو ١٩٣٠ ، والذي أعاد تنظيم الصحافة السورية ، وأعطى لها مزيدا من الحرية حتى تتمكن من دعم اتجاهاتها الوطنية .. ومواصلة المسيرة . وقيادة الجماهير في مواجهة خطة الانتداب الفرنسي ، ومحاولات دخول سوريا من الشباك ، بعد أن خرج العثمانيون من الباب ..

.. ذلك لأن الاستعمار الغربي كان يواصل التهام دول الامبراطورية العثمانية ، في خطة موضوعة بحذق ومهارة ، دون أن تعوزه الأسباب لذلك ، وهو يمتلك العشرات منها .. وهكذا ، استيقظ الناس ذات يوم ليجدوا « غورو » المندوب السامي في دمشق - القائد الفرنسي سابقا - وهو يوجه انذاره الكريه ، الاستعماري ، المفضوح الى الملك ، ويطلب منه التوقف عن الهجوم على الانتداب وعدم تنفيذ أوامره .. الى جانب مطالب عديدة أخرى تبين سوء القصد ، والنية والطوية ..

وهنا ، كان لابد للصحافة السورية ، وقد تذوقت طعم الحرية ، وعاشت في كنفها شهورا وأحست - ولو لفترة غير طويلة - بالمسافة البعيدة بين عهد وعهد ، ودولة ودولة ، ورجل ورجل .. كان لابد لها من أن تتصدى لهذا الانذار ، وان اختلفت في درجة تصديها له ، من حيث القوة والحرارة ، واختيار بعضها طريق الدفاع والمقاومة .. وحتى

آخر رجل سورى ، واختيار بعضها الآخر طريق الحل السلمى ، وتأرجح البعض الثالث بين الاتجاهين .. ولكنها - جميعا - اتفقت على المقاومة وإن اختلفت فى وسائلها ..

ولكن ، على الجانب المقابل كان هناك من لم ينتظر ، ولا ينتظر أيضا ، فلتكتب الصحف مقالاتها الضافية ، متفقة على الهدف ، مختلفة على وسائل تحقيقه ، ولتمض الجيوش زاحفة على دمشق .. حيث نشبت معركة ميسلون فى ٢٤ يوليو ١٩٢٠ ، تلك التى سقط فيها من سقط ، واستشهد من استشهد من قادة الكفاح العربى السورى العظيم .. وعلى أجسادهم عبرت جنود فرنسا ، لتدخل البلد الذى لم يحظ بمذاق الحرية ، لا هو ، ولا أبناؤه ولا صحافته ، غير أشهر قليلة ..

لقد احتل الفرنسيون دمشق فى ٢٥ يوليو ١٩٢٠ ، وباحتلالهم لها سقطت البلاد السورية ، وانهى عهد الحكومة العربية الاستقلالية ، عهد فيصل ، صديق الصحافة الآخر ، وبدأ عهد الاحتلال .. لتعود « ريمة » الى عاداتها القديمة .. بعد أن قضى على عهد الصحافة الذهبى القصير جدا .

أقصد ، لتنطفئ جميع المصاييح .. ومن بينها ، والى أجل غير معلوم .. مصباح الصحافة ويالها من قصة .

---

(١) شمن الدين الرفاعى : « تاريخ الصحافة السورية » ج ٢ ، ص : ١٢ .



**أدولف هتلر :**

---

**العصاة التي تفكر  
الرأى العام ! . .**

---

أدولف هتلر :

## العبادة التي تفبرك الرأى العام

جانب كبير ، وكبير جدا من نشاط هذا الرجل ، وأفكاره راح يوجهه من أجل الدعاية .

ويقولون أن دعايته لنظامه كانت تقوم على معرفة واسعة بتلك الأسس والقواعد التي تستند إليها الدعاية العلمية ذاتها .. وأن وزير دعايته القدير - جوبلز - قد ساهم الى حد كبير في وضع أسسها وقواعدها الحديثة .. ولا بد أن نعترف له بذلك ، رغم الاحباط الذي منيت به دعايته .. ورغم الفشل والهزيمة أيضا ..

ولكن .. على الرغم من أن الصورة الشهيرة لهذه الدعاية نفسها ، والمنتشرة في أذهان الجماهير .. والتي ما يزال البعض يذكرها ، ويذكر قوتها وعنفوانها وأساليب جذبها وجاذبيتها .. هي صورة الدعاية بالراديو .. أو الدعاية الاذاعية ، تلك التي تقفز فوق الحدود والمسافات ، وتفتح الأبواب المغلقة ، والشبايك أيضا ، مغلفة بأوراق السلوفان المتمثلة في الموسيقى الحربية ، والمارشات العسكرية .. والأصوات القوية لعدد كبير من أفضل المذيعين ، وبأكثر اللغات الحية ..

على الرغم من ذلك كله ، فإن « الفوهرر » كان يعرف للدعاية باستخدام الكلمة المطبوعة ، قدرها الكامل ، ويحرص على أن تقوم صحافته بالدور الدعائي السياسي حرصا كاملا ..

ذلك هو المصور النمساوى « أدولف هتلى » الذى تجسدت فى شخصه النهاية التعسة لألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى ، ومحاولات تمزيق الجسد الألمانى الجريح ومشاعر الاحتلال التأديبى لأرضها ، وصرخات السلاح والاقطاع والكبح ومرابطة جنود السنغال السود بوادى الروهر .. وغيرها من الاهانات التى لم يغتفرها الألمان بسهولة وحتى النداءات العديدة التى ترددت فى المحافل والبرلمانات الأوربية مكررة قول بوانكاريه : لا بد لألمانيا من أن تداس بالأرجل .

وسط هذا المناخ كله ، وبينما مشاعر الغضب والكراهية فى عنفوانها يرتفع هذا الصوت الجديد لينادى : « لقد خدع الأعداء ألمانيا وخانوها .. ان ألمانيا لم تهزم قط لأن ذلك يعد ضربا من المحال .. لقد غدر بها أيضا من الداخل اذ خانها بوجه خاص رعاياها من اليهود وأرباب الفكر فيها ورجال الشيوعية الدولية .. فلا بد لها من العودة الى نقائها العنصرى .. الى حياة المحارب العنيفة » (١) ..

وبسرعة .. انتشر هذا النداء كما النار فى الهشيم .. وترددت أصداؤه فى أكثر من مدينة ألمانية تنام على الجراح وتجتر آلامها .. حيث التفتت اليه مجموعات كبيرة من الشباب الألمانى اليأس تماما فاجتمع هؤلاء على هذا النداء ، وأخذت أعدادهم فى التزايد .. حتى قام عليها فى النهاية حزب سياسى عسكرى كبير هو « الحزب القومى الاشتراكى الألمانى » المعروف بالحزب النازى الألمانى .. ذلك الذى جاء بصاحب النداء نفسه ودفع به الى مقدمة الصفوف حتى عين مستشارا لألمانيا عام ١٩٣٣ .. وحيث بدأ فى اتخاذ قراراته وتدابيره النازية الصارمة ..

فى هذا النظام تكون الدولة ليست أكثر من مظهر قانونى ، بينما النظام نفسه يرتكز الى مجموعة من الفروع أو « الشعب » - بتشديد الشين وضمها - تلك التى تتبع أعمالها وتراعى هى فيما تصدر من أعمال ، وفى مختلف وجوه أنشطتها أن تكون معبرة عن الاتجاهات

الرئيسية لسياسة الحزب ولأفكار وآراء الرئيس - الفوهرر - بمعاونة عدد من الأشخاص الذين يثق فيهم هذا الأخير كل الثقة .. فيوليهيم جميع السلطات الحزبية .. ومن هنا وكما يقول فرنان ترو « فلا محل في هذا المفهوم لحقوق أساسية للفرد الذي أصبح عنصرا من عناصر المجسوعة الخاضعة بهذه الصفة الى النظام الذي أقامه الرئيس حسب مفهوم للخير المشترك يحدده على هواه .. فالصحافة وبوجه عام كل تقنيات الاعلام ، ما هي الا مجرد أداة في خدمة الخير المشترك ، وبالتالي الرئيس الذي يجسده » (٢) .. وحيث تتداخل هذه الفكرة مع ما ذكره تشاخونين في كتابه الشهير : اغتصاب الجماهير بالدعاية السياسية .. حيث يقول : « هتلر هو القوة .. القوة الوحيدة الحقيقية .. وما دام جميع الناس معه ، فينبغي أن أكون أنا أيضا .. أنا رجل الشارع معه ان كنت أرغب في الحياة » (٣) .. رغم ما في ذلك من مضمون تهديدي حقيقى ينبع من « الرعب الهتلري » .

ومن أجل ذلك كله ، وحتى يمكن أن تسود الأفكار الهتلرية أو النازية ، وكما يقول د . محمد عبد القادر حاتم : « استخدمت الدعاية الهتلرية النبأ بطريقة منهجية كوسيلة لتوجيه الأفكار ، فالأخبار الهامة لا تنشر قط على حالها وانما كانت لا تظهر الا وهى محملة بدلالة معينة ومعبأة بشحنة دعائية .. كان التغليظ هو الشغل الشاغل للدعاية الهتلري » (٤) ..

ولم يكن هذا المفهوم وليد أحداث الحرب العالمية نفسها ، أو قبلها بعدة شهور أو بسنوات قليلة .. فالواقع أن التفاتة الرجل الى الصحافة ، وتنبيه لأهميتها ومن ثم أهمية العمل على أن تكون سلاحا في ترسانة أسلحته الدعائية .. بل وسلاح هام مثل الاذاعة والخطابة هى فكرة قديمة تعود الى أوائل الثلاثينات ، وحيث بدأت وزاراته المختلفة فى إخضاعها منذ عامى ١٩٣١ - ١٩٣٢ ، بل انها عمدت عام ١٩٣٣ الى

الغاء الصحافتين الشيوعية والاشتراكية الغاء تاما ، ضمن ما ألغته من أجهزة المعارضة ، كما عادت الى تقييد وسائل الاعلام عامة ، في شبه نظام متتابع وصارم دعمته باصدارها - وبموافقة هتلر شخصيا - لقانون ٤ أكتوبر - تشرين الأول ١٩٣٣ .. ذلك الذي أكد طاعة الصحافة التامة للسلطة .. أو بما أطلق عليه بعد ذلك « الاسترقاق الشامل للصحافة » .. حتى أننا خلال هذا النظام نفسه نرى ونقرأ ونسمع العجب العجيب عن صحافة الرجل الذي بدأ نشاطه وهو على حد تعبير رسالة دكتورة عن الصحافة الألمانية - عبد الرحمن المشهداني - يرتعد خوفا من ذكر اسم صحيفة واحدة ، أو من مقالة لصحفي .. ومن هنا فقد شهدنا جميع هذه الصور والتصرفات الهتلرية الحديدية في مواجهة الصحافة :

✽ فصحافة هتلر تريد التعبير بجميع الوسائل الممكنة عن عظمة الرايخ ، وتربط بين تطور الشعب الألماني وسعادته ، وبين الأفكار والآراء الخاصة بالحزب القومي الاشتراكي ، وتلجأ في سبيل تأكيد هذه الأفكار والمبادئ وتأييدها الى مختلف الحجج والتفسيرات والتأويلات والتحليلات التي تخدم مصالحها .. ومن هنا فقد كثر ارتباطها بالرموز والشعارات والأقوال الهتلرية والنازية مثل السيادة الألمانية ، والسوبرمان ، والصليب المعقوف ، والمجال الحيوي وغيرها .

✽ ويقول ب . دينوايه في كتابه عن الصحافة في العالم ، وهو يرسم إحدى صور هذه الوسائل الهتلرية : « ادعى النظام الهتلري أن الصحيفة يجب ألا تكون سلعة ، بل عنصرا من عناصر الثقافة الشعبية ، وألغى بوسائله الملتوية الصحافة المعارضة كلها .. ولم يكن في الاستطاعة ادارة صحيفة الا بواسطة مديرين وصحفيين معتمدين ومطهرين يمثلون تعليمات حزب النازي ، فاخفت جميع الصحف الصغيرة في العاصمية

والأقاليم ، وكانت تنبض بالحياة ، وتميزت جميع الصحف التي عاشت بعد ذلك برضى وزارة الدعاية ، بلهجة ووجهات نظر موحدة » (٥) .

✽ كذلك فإن هذه الصحافة نفسها وعلى طريق تحقيقها للأهداف المرسومة لها بدقة .. نجدها بعد لجوئها الى مختلف الحجج والتفسيرات والتأويلات والتحليلات .. تعود فتلجأ الى أساليب أخرى من تلك التي تعتبر معنة في بعدها عن الحقيقة ، فهتلر بعد أن توصل الى السيطرة عليها يبدأ عن طريق المديرين المعتمدين في تلوين الأخبار ، وتحريفها وتشويهها أيضا ، بل ان هؤلاء أقدموا في مرات تجل عن الحصر على اختلاق بعض الأخبار اختلاقا تاما و « فبركة » العديد منها .. بل استند هتلر في دعايته عامة ، ودعايته الاذاعية والصحفية خاصة على الكثير من الأخبار الكاذبة كوسيلة من وسائل الاقناع حيناً ، والتهديد في حين آخر .. والاثارة في أحيان كثيرة .. وما تزال روايات صحافته عن مخازن الأسلحة الكبرى والأسلحة الوهمية والمجهولة ، ماثلة في أذهان الكثيرين .. كل ذلك رغم أن الرجل نفسه يعتبر عالما في سيكولوجية الأكاذيب ، واعيا بكل أبعاد نتائجها بدليل قوله : « ان أكثر الأكاذيب افتراء تترك دائما أثرها حتى حينما يظهر أنها ليست من الواقع في شيء » ..

✽ وقد كتب هتلر يقول مبررا فرض الرقابة « الحديدية » على الصحف .. « أليس من واجب الدولة أن تراقب الصحافة نظرا لتأثيرها القوي على الجمهور ؟ ان حرية الصحافة شيء جميل ، ولكن هذه الحرية تصبح عاملا من عوامل الفساد اذا لم تمارس في الحدود التي ترسمها مصلحة الدولة والأمة .. ان الموقف المخزى الذي وقفته الصحافة قبل الحرب لا يمكننا نسيانه ، وقد شددت الصحافة اليسارية على وجوب انقاذ السلام بأي ثمن بينما كانت الدول المعادية جادة في اعداد عدة الحرب .. ألم تبشر صحافتنا بالديمقراطية الغربية وتمجدها وتطالب

بتقوية شخصية الفرد وتبشر باضعاف الدولة ؟ ألم تسهم في محاربة  
تقاليد شعبنا العريق مزينة له الانغماس في الملذات التي أتلقت مناعته  
الخلقية ؟ ألم تحارب مشروع التجنيد الاجبارى ، وتحرض النواب على  
عدم منح الاعتمادات للجيش ، بينما كانت رائحة الحرب تنتشر  
في الأجواء ؟ « (٦) .

✽ وإذا كان ذلك مما يبرر - من وجهة نظره - فرض مثل  
هذه الرقابة ، كما يفسر أيضا الاجراء الذى لجأ اليه في سنوات حكمه  
الاولى من إيقاف اصدار الصحف الشيوعية والاشتراكية تمهيدا لاصدار  
الصحف التى تعبر عن أفكاره وآرائه .. فانه ذلك مما يضاف الى تلك  
الاراء السابقة له ، والتي ترى أن الدعاية الألمانية ومنها الصحفية ،  
كانت سببا من أسباب هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الاولى . وحيث  
بدا ذلك في قوله على سبيل المثال لا الحصر :

« لقد ركزت الصحافة الألمانية والنمساوية على السخرية من العدو  
واظهاره بمظهر الجبان ولكن هذه الدعاية كانت تعطى نتائج معكوسة ..  
لأن قراء هذه الصحف كانوا يجدون في ساحات القتال جنودا شجعانا  
واقوياء ينتشرون في صفوف الأعداء ، لذلك فبدلا من تقوية روح  
المقاومة في الجنود ، أضعفت من روحهم المعنوية ، ورفعت من حدة  
سخطهم ، بعكس دعاية الانجليز ، تلك التى كانت تبدو وكأنها معقولة ،  
وغير متطرفة ، بل وبارعة أيضا ، فقد كانت تصور الألمان كالمتوحشين ،  
وفبائل الهون البرابرة .. ومن هنا فقد كانت تدعو الجندى الانجليزى  
الى اليقظة والثبات ، وعندما كان يلاحظ شدة قتال الجنود الألمان ،  
كان يتأكد من أن الدعاية التى زودته بها حكومته لم تكن مضللة ،  
فيقتنع بأن الألمان من المتوحشين قولا. وفعلا « (٧) .

✽ كذلك فقد حفلت كتاباته العديدة الأخرى ، بما يفسر كل  
اجراء نادى به الرجل ، أو اتجه الى تنفيذه على المجال الصحفى .. ولعل

أشهر هذه الكتابات ما جاء منها في كتابه « كفاحي » .. وحيث نقرأ له على سبيل المثال لا الحصر : (٨)

— « ان الصحافة هي التي تتولى تنشئة الجمهور سياسيا ، بما تنشره من أخبار وتبث من آراء وليس للدولة يد في توجيه الدعاوة الصحفية ، هذه المدرسة يتلقى فيها الجمهور دروسه اليومية ، فالصحافة هي في قبضة قوى يواجهها الشؤم » .

— « لقد أتيح لى وأنا فى فيينا أن أخالط صانعى الآراء وناشريها ، فأدهشتنى السهولة التى يستطيع بها هؤلاء أن يخلقوا تيارا معينا وأن يوجهوا الجمهور وجهة تتعارض فى بعض الأحيان مع مصلحة الجماعة » .

— « فى بضعة أيام يمكن للصحف أن تجعل من حادث تافه بحد ذاته قضية خطيرة تهز الدولة ويمكنها كذلك أن تسدل ستار النسيان على القضايا الحيوية فلا يلبث الجمهور أن ينساها » .

— « اذا كانت سمعة أحدهم قد لوثت فى الماضى فالدعاوة الصحفية لا تلقى صعوبة فى دفن الماضى .. أما اذا كان المقصود محاربة رجل شريف ، فان اليهود بسفالتهم المعهودة لا يتورعون عن رميه بكل نقيصة ، جاعلين من الصحافة التى يوجهون منبرا للتحامل على الرجل .. حتى أنهم يذهبون الى حد انتقاد حياته الخاصة ونشر فضائح أفسراد عائلته اذا كان ثمة فضائح .. اما اذا لم يوفقوا الى شىء يخدم أغراضهم سواء فى حياته العامة وحياته الخاصة ، فانهم يلجأون الى الافتراء ويواصلون الحملة مسخرين فى ذلك عشرات الصحف ، على أمل أن يعلق شىء فى أذهان الناس مما يفترون به على الضحية » .

— « تلك هى العصاة التى تفبرك الرأى العام وتوجهه .. ومن هذا الرأى ينبثق البرلمانيون كما انبثقت فينوس من زبد الأمواج » .



.. ألا تجعل هذه الأقوال وغيرها ، الباحث في مجال الصحافة والدعاية أيضا ، يقع في حيرة كبيرة ؟ فهو يحمل على الصحافة الشيوعية ، واليهودية حملته الشعواء ، ولكنه في مجال التطبيق وعلى أعمدة الصحف النازية ، يقوم باتباع نفس أساليب هذه الصحف ، من كذب وتهويل ورياء وتملق واختلاق .. وغيرها مما يشكو هو نفسه منها ..

على أن ذلك كله لم يمنع من أن يكون له مع الصحافة ، وتكون لها معه العديد من القصص الطريفة ، تستوى في ذلك الصحافة الألمانية والعالمية .. نقدم هنا - في النهاية - بعض صورها .. على أثر هذه الرحلة مع دعايته السياسية الصحفية الحديدية ..

— فلقد أثبتت التحقيقات التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية وأشرف على إجرائها الكونجرس نفسه ، أن عددا كبيرا من الصحف الأمريكية قامت بكتابة مقالاتها الافتتاحية ، قبل أن تدخل بلادها الحرب العالمية الثانية ، بوحي من هتلر نفسه ، وعن طريق مستشاريه ، وذلك مقابل مبالغ معينة من الأموال ، كان يقدمها لأصحابها ورؤساء تحريرها ، وكتاب هذه المقالات .. كما أثبتت هذه التحقيقات أيضا أن بعض الصحف الأمريكية لعبت أثناء هذه الحرب دور الجاسوس للجانب الألماني نفسه لقاء مبالغ كبيرة من الأموال .

— ويقال ان أكثر ما كان يضايق هتلر في هذه الصحف الأمريكية — باستثناء الجاسوسة — أنه هو شخصا وأن أعوانه ورجال حزبه ومحليه وخصائبي دعايته كانوا لا يعرفون كيف يحصلون على المعلومات الهامة من سطورها ، كما كانوا يريدون ذلك ، ويفعلونه مع الصحف الفرنسية مثلا .. والسبب في ذلك أن محرري هذه الصحف قد ضربوا المثل في اليقظة التامة وكانوا خير كاتبهم لأسرار جيوش بلادهم .. بل ان الدعاية الأمريكية في بعض الأحيان عمدت الى نشر بعض الأخبار

الكاذبة ، وكان هتلر وأعدائه يقبلون الطعام الصحفي الأمريكي ، بل وتنطلي عليهم الحيلة ، ويتصرفون بما يؤكد ذلك .

— وفي احصاء طريف لصحيفة انجليزية وردت هذه الأرقام كلها :  
خطب هتلر منذ عام ١٩٣٠ حتى قيام الحرب العالمية الثانية عدد ٦١٦ خطبة ، وخطب أثناء الحرب ١٢٧ خطبة وتحدث في برامج الاذاعة قبل الحرب ٢٣٦ مرة وأثناءها ١٣٩ مرة وكتبت الصحف الانجليزية عن قصة غرامه الشهيرة ١٠٥٧ مادة صحفية من بينها ٧٢٠ خبراً و ١٣٠ مقالة والباقي تحقيقات صحفية ، كما نشرت له الصحافة الانجليزية خلال فترة الحرب عدد ٢١١٤٩ صورة مختلفة ، وبعد الحرب تحدثت هذه الصحافة عن مصير هتلر وقصة اختفائه أو انتحاره بنشرها ٣٤٠١ مادة صحفية أغلبها من نوع الأخبار الصغيرة ، والتحقيقات الصحفية ، كما حرصت ١٢٢ صحيفة ومجلة انجليزية على نشر كتابه الأشهر « كفاحي » على حلقات يومية أو أسبوعية .

— ويذكر محسن محمد في كتابه — حكايات صحفية — أن الصحفي الانجليزي الكبير « لورد ويدز مير » كتب مقالاً في أوائل عام ١٩٣٩ قال فيه « ان هتلر جنتلمان عظيم ، وحرصت معظم الصحف الانجليزية في ذلك الوقت على أن تكرر هذا اللقب ، وتصف هتلر بأنه رجل وديع ومسالم ، وذلك لأن الشركات هددت الصحف بمنع الاعلانات عنها اذا ذكرت أن الحرب قريبة الوقوع !!

- 
- (١) هـ.ج. ويلز . ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد « موجز تاريخ العالم » .
  - (٢) فرنان ترود ترجمة محمود الغندور : « الاملام » ص : ٥٧ .
  - (٣) محمد عبد القادر حاتم : « الراي العام » ص : ٢١٥ .
  - (٤) المصدر السابق ص : ٢١٦ .
  - (٥) ب . دينوايه ، ترجمة عبد العاطي جلال : « الصحافة في العالم » ص : ١٧٢ .
  - (٦) محمد عبد القادر حاتم : « الراي العام » ص : ٢٢٠ .
  - (٧) المصدر السابق ، ص : ٢٢٧ .
  - (٨) أدولف هتلر « كفاحي » ص : ٣٧ - ٣٨ .

مسولينى :

---

الدوتشى صحفيا .. !

---

موسولينى :

الدوتشى صحفيا

لا يذكر « الفوهرر » فى الأذهان الا ويذكر « الدوتشى » أيضا ..  
 ذلك لأنهما — هتلر وموسولينى — قد تماثلا فى أشياء كثيرة جدا ..  
 كان من بينها الظهور وسط دكام الحرب ، وعلى أثر الآلام العديدة  
 التى خلفتها لوطنيهما ، والوطن نفسه يجتر هذه الآلام ، وكذا وسط  
 مشاعر الضياع والقلق والآثار المدمرة الأخرى .. بالاضافة الى نظرات  
 التشفى ، وصرخات اليتامى ، وأنين الشكلى ،، وصور الدمار ، والتعطيم  
 الاقتصادى ، وتغيير الخرائط .. وما الى ذلك كله ..  
 فى هذه الأوقات يثور الشعور الوطنى ، على الرغم من تمزقه ،  
 ويصبح مستعدا لأن يستمع الى أية كلمة تقال ، لا سيما عندما تداعب  
 آمال الشباب وأحلامهم ، فى لحظة قوية ، تنهض بالوطن من عثاره ،  
 وتعود به — مرة أخرى — الى الحلبة وتبحث له من جديد عن مكان  
 تحت الشمس ..

ومن هنا ، فقد راحا يتماثلان كذلك ، فى الضرب على الوتر  
 الحساس ، وتر العزة القومية وفى استغلال طبقة الشباب المتمرد ، ودمه  
 الحار المتدفق ، والمستعد تماما لأن ينقل هذه الحرارة ، الى شرايين  
 الآخرين ، والوطن كله ، فراحا يتحدثان اليه بالخطب النارية والشعارات

الطنانة ، وباستخدام لأقصى ما يمكن استخدامه من طاقات وجهود وسائل الاعلام ..

وتقول التعليقات الصحفية العديدة التي تناولتهما معا - هتلر وموسوليني - أنهما اكتشفا ذلك التماثل بين أفكارهما ، والى حد الاتفاق الكامل أحيانا ، دون أن يكون أحدهما قد عرف الآخر أو التقى به مرة واحدة ، وقبل أن تتم هذه المعرفة بسنوات عديدة ، أو يتم اللقاء بينهما .

انهما من نتاج الأحداث المريعة ، وصناعة ركام الحرب ، وميراثها البغيض .. رغم كل ما راجا يقدمانه من أحلام الوطنية المتعصبة ، وصراعات الديكتاتورية العسكرية ..

ومن الغريب أن يكون « موسوليني » .. القائد الايطالى الشهير ، وزعيم الحزب الفاشستى والرجل الذى لوى بشدة عنق العالم كله أكثر من مرة ، وأجبر الصحفيين والاذاعيين والأضواء كلها على أن تتجه اليه ، تتابعه فى حماسه ، وهو يخطب ، وهو يردد الأناشيد الحماسية وخلقه مئات الألوف ، وهو يوزع شارات الحزب على هؤلاء ، وهو يقود دراجته البخارية وسط شوارع روما ويذهب بها الى مقر قيادته ، وهو يكاد يسرق الأضواء حتى من هتلر نفسه .. من الغريب أن يكون هذا الرجل هو نفسه ذلك الصحفى الشاب الخجول ، الذى لا يكاد يحس بمجيئه أحد ، أو بذهابه أحد ، ولا كم قضى من الوقت داخل حجرة مكتبه ، أو عند رئيس التحرير .. كل ذلك ، بينما كانت مقالاته النارية تتحدث بغير طبيعته تماما ، لا سيما عندما يقوم بحملاته المقاتلية على الرأسماليين الايطاليين الكبار ، وعلى أصحاب المصانع العديدة ، ويلقى على رؤوسهم بالعديد من التهم ، ويفند مزاعمهم ، ويرد على رسائلهم بالحماس نفسه .. حتى أن رئيس تحريره طلب منه التريث والهدوء أكثر من مرة ، وقال له متسائلا : لماذا يبدو للقراء دائما ،

أنك تخطب فيهم وأنت تكتب ؟ وقال له مرة أخرى .. لا تنس أنك صحفي .. ولست أحد القساوسة ..

ومن أجل هذه المقالات الخطائية أو الخطب المقاتية والتي كان يبدو أنها طابع صحافة الزعماء في هذا الوقت .. أخذ الرجل المحرر الهادئ الطبع الثائر الكلمات ينتقل من صحيفة صغيرة الى صحيفة أخرى .. ولكنه عندما انتقل الى تحرير الصحيفة الاشتراكية « الأفانتى » (١) تبدل حاله كثيرا .. أو بتعبير أكثر دقة ، استطاع جاذب الثورة العلنية فيه أن يتغلب على جاذب الهدوء أو الثورة المكبوتة .. فأصبح ظاهره مثل باطنه .. فهو ثائر في دهاليز الصحيفة وأروقتها ، ثائر على زملائه من المحررين ، بل وعلى رئيس التحرير نفسه ، ثائر على القراء أيضا .. حتى أصبحت ثورته وجراته وحماسه .. حديث المجتمع الإيطالي .. بل والمجتمعات العادية والأندية والصالونات

ولكن ، وكما توقعت بعض الزعامات الإيطالية الأخرى .. فقد انتقل الرجل - الصحفي - من الكتابة في مجالات السياسة الداخلية ، والهجوم على الرأسمالية الإيطالية ، الى مجالات السياسة الخارجية مهاجما الدول الرأسمالية نفسها ، ولكنه اختلف مع معظم زملائه من المحررين اليساريين وكان الاختلاف حول مسائل عديدة في مقدمتها الوسائل المتبعة نفسها في التعامل مع أعداء البلاد .. ثم امتد هذا الخلاف لينتقل الى مسألة انضمام إيطاليا في الحرب الى صف الحلفاء ..

ولأنه كان في ذلك الوقت قد وصل الى منصب رئيس تحرير الصحيفة الإيطالية الاشتراكية « الأفانتى » فقد رأى أن من الأكرم له ، والتعارض يزداد بينه وبين زملائه والعاملين معه ، أن يستقيل من هذا المنصب ويحاول بنفسه أن يصدر صحيفة خاصة به يمكن عن طريقها

أن ينقل آراءه إلى الإيطاليين في كل مكان .. وأن تصل إليهم هذه الآراء دون معارضة من أصحاب الصحيفة ، أو الزملاء .

.. وفعلًا تمكن الرجل من إصدار هذه الصحيفة التي أطلق عليها اسم « الشعب » (٢) .. بعد شهور قليلة من تركه العمل في الصحيفة الأولى ..

على أن التحول الأكبر ، والأكثر خطورة في حياة الرجل ، والذي انتقل به من مجال الكتابة الصحفية الثائرة .. إلى مجال الثورة نفسها ، في المصانع والحقول والشوارع والأندية هو ما حدث في أوائل العشرينات .. وحيث بدأ الرجل يحس بنفس مشاعر الخوف والقلق على البلاد ، والتي أحس بها هتلر بعد ذلك بقليل ، خاصة في ظل اضطراب داخلي كبير ، ودمار حضارى ومعنوى أكبر ، وحكومة ضعيفة مترددة .. ومواطن محروم ، يعانى ضائقة اقتصادية كبرى ، وخوف من انقلاب شيوعى يجتاح البلاد .. خلال ذلك كله .. بدأ للرجل أن يستشر عددا من العناصر الشابة المتمردة على الأوضاع ، والمحرومة أيضا والتي يعانى أهلها من البؤس والاقلاق ، وتعانى هى من الاحباط النفسى الكبير الذى خلقته الحرب من ورائها .. ومن هنا فقد بدأ يجتذب إليه هؤلاء ، وهو يوزع الشعارات هنا وهناك ، ولا يترك جمعا من الجموع أو فرصة من الفرص دون استغلالها .. وقد أسفر ذلك كله عن تأليف حركة قومية يرتدى أصحابها القمصان السود ، وينتظمون داخل إطار الحزب الفاشستى .. هؤلاء الذين راحوا يهاجمون الحكومة وضعفها وترددتها في غير هواده .. والذين آمنوا بزعامة الرجل مطلق الايمان .. ليزحف هو - الدوتشى ومعناها القائد - وخلفه الآلاف منهم إلى روما ، في أكتوبر ١٩٢٢ ، حتى أصبح قائدها الوحيد .. بدون منازع .. تماما كما فعل يوليوس قيصر قبله بحوالى العشرين قرنا وبعد أن تخلص من القادة العسكريين المنافسين .. على النحو الذى ذكر من قبل .

وفي روما ، وكما هو شأن الداعية الماهر ، والذي يستند الى أساس غير قليل من الخبرة الصحفية ، ويوزع اهتماماته على وسائل الاعلام .. بدأ الرجل يجتذب اليه مزيدا من الشباب ورجل الشارع الايطالى بواسطة لفت الأنظار اليه في كل مكان ، والى بعض « الفرقعات » الاعلامية والدعائية التى كانت تلهب خيال هؤلاء ، وتعددهم باستعادة المجد والرفاهية ، فمضى يسير من نجاح الى نجاح وقامت بتأييده أكثر طبقات وشرائح المجتمع الايطالى ، حتى كبار الرأسماليين ورجال الصناعة ، وذلك في مواجهة « الثورين الحمر » .. بينما راحت شعاراته العديدة تغطى الآفاق وتعمل عمل السحر في عقول الايطاليين عامة والشباب خاصة ، ولا سيما تلك التى تقول : « كل ايطالى فاشستى — ايطاليا للأقوياء — المجد لايطاليا — يعيش الحزب الفاشستى » .

وقبل أن نواصل الحديث عن موقف الرجل من الصحافة ، نترك د . محمد عبد القادر حاتم يحدثنا عن بعض أساليب دعايته حيث يقول : « كان موسوليني يعمل على تهيئة أفراد الشعب جميعه عندما يريد أن يخطب في الجماهير ، وكانت وسيلته الى ذلك أن يحشد الاجتماعات بالشباب الحزبى الفاشستى الذى يقوم بالقاء الأناشيد المختلفة ثم يلقي الخطباء الخطب الرنانة وأخيرا يحضر موسوليني الاجتماع بعد أن يكون أفراد الشعب جميعهم قد تهيأوا للاستماع الى هذه الخطب .. كما كان موسوليني يحب دائما أن يعلن بنفسه أى خبر هام في الحشود الجماهيرية وتنقله الاذاعة عن موسوليني رأسا ، فمثلا أعلن عن اجتماع ضخم في روما سيحضره موسوليني وبدأ الاجتماع بالأناشيد من الشباب والخطب من الخطباء وكانت الموسيقى تعزف الأناشيد الحماسية وأخيرا جاء الدوتشى راكبا موتوسيكل بسرعة فائقة ، وكان الدوتشى يقود الموتوسيكل بنفسه رافعا يده بإشارة الفاشستية ويده الأخرى تقود الموتوسيكل ودخل الى منصة الخطابة وقال المذيع : الدوتشى سيتكلم ،



فبدأ الدوتشى خطبته ، اليوم تلقيت برقية من القائد الايطالى بدخول القوات الايطالية المسلحة أديس أبابا .. وهنا مضى أكثر من نصف ساعة والشعب كله يهتف بصفة مستمرة بحياة الدوتشى .. ولم تشهد ايطاليا هتافا أو مظاهرة في تاريخها مثل ما حدث في هذا اليوم » (٢) .

لقد أحرز الرجل لايطاليا عدة انتصارات جعلت الشعب الايطالى يتعلق به .. ويرفع من قدره ويعتبره « الأنموذج » والقذوة .. كما تعلقت به قلوب الشباب أكثر من غيرهم .. وكان على الصحافة أن تعبر عن هذه المشاعر كلها ، وأن تتحدث هي الأخرى باعجاب شديد عن الرجل الذى استولى على ألبانيا ثم الجبشة ، والذى خلع من قلوب مواطنيه الخوف والقلق ، والضعف والتردد وأحل مكانها مشاعر القومية ، وأحلام الانتصار .. وهكذا لم يعرف عن الرجل أن الصحف قد هاجمته باستثناء قلة نادرة منها ، كانت تتخوف من اتجاهاته العسكرية ، وتخشى أن يدفع بها مرة أخرى .. الى ميادين قتال لا تقدر عليه ، كما جاءت رياح الهجوم أحيانا من ناحية الصحف الشيوعية المناهضة ..

كل ذلك ، والرجل — موسوليني — يعلن أن صحافة بلاده حرة تماما ، وأنها تتمتع بقسط من الحرية لا يتوافر لصحف أخرى كثيرة في أوروبا .. فهل كان ذلك هو ما حدث فعلا ؟ .. أو هل كانت تلك هى الصورة الحقيقية .. لصحافة بلاده ..

الحق أن الرجل لم يبعد كثيرا عن الحقيقة .. فقد حاول جهده أن يعطى لهذه الصحافة قدرا لا بأس به ، وعلى وجه الخصوص ، فى أواسط وأخريات العشرينات ١٩٢٤ - ١٩٢٨ - لكن ذلك لم يدم طويلا ، بل نجد أنه يعود فيشرف بنفسه على وضع عدد من القوانين التى تحد من هذه الحرية .. تلك التى نجد أن مفهومها عنده ، أو من وجهة نظره الخاصة قد أصبح متغيرا .. فبعد أن كان يرى أنها حرية

لا تلتزم بشيء أو مطلقه .. عاد فخشي عاقبتها ، ومن ثم فقد أصبح تفسيره الجديد لها هو ذلك الذى يقول على لسانه هو شخصيا : « نعم ان الصحافة الابطالية حرة ، لأنها تخدم فقط قضية ونظاما » (١) .  
ويا له من تفسير لمعنى الحرية الصحفية .. وتوضيح لمدلولها ، كما يفهمها الدوتشى ..

المهم أنه تطبيقا لهذا المعنى راح يشرف على وضع عدد من القوانين التى تهدف الى أن توضع الصحافة بكامل جهازها وأنشطتها ، والعاملين بها أيضا داخل اطار قوى ويغلب عليه الطابع العسكرى .. ذلك هو الاطار الحكومى نفسه .

وأكثر من ذلك ، فإنه — وعلى الرغم من كونه من بين رجال الصحافة السابقين — الا أنه رأى أن تقوم الشرطة بأساليبها الخاصة بتطبيق القانون الصحفى ، والاشراف على تنفيذه اشرافا حازما .. زاد من سطوته أن التعليمات كانت صريحة تماما ، بأن تصدر الصحيفة التى يرى أى ضابط شرطة صغير ، أو أى ضابط يقضى لوبتجيته فى قسم الشرطة الذى يوجد مقر الصحيفة أو مطابعها به .. فى امكان مثل هذا الضابط الصغير — وليس الرقباء فقط — أن يأمر بمصادرة الصحيفة ، وعلى أصحابها ورئيس تحريرها أو مديرها المسئول الانصياع فورا لقرار هذا الضابط دون عودة منه حتى الى رؤسائه ..

كذلك فقد ألزم القانون نفسه — قانون ٢٦ فبراير ١٩٢٨ — جميع العاملين بالصحف الايطالية بالاشتراك فى مؤسسة نقابية ، تكون تحت الاشراف المباشر للحزب الفاشستى .. بما فى ذلك هؤلاء الذين يعملون فى مجالات الصحافة الاقليمية ، أو صحافة الهيئات أو المؤسسات .. ولم يكن هؤلاء جميعا يستطيعون الحصول على عضوية هذه المؤسسة النقابية ، الا اذا قام بتزكيته عدد من أفراد الحزب ، أو السلطة ...

حدث ذلك كله ، قبل أن يقرر موسوليني دخول الحرب العالمية الثانية الى جانب دول المحور مما سبب ألوانا من الغضب الصحفى ، والذى ظهرت بعض كلماته على صفحات الجرائد ، ولكنها كانت من هذه الكلمات « المخنوقة » والتي لم تجد استجابة كبيرة ، أو تفاعلا بين جموع القراء ، أو الرأى العام الايطالى .. فقد كان ما ينادى به الرجل ، وما يحسه هؤلاء تجاهه ، أقوى وأهم كثيرا من هذه الأصوات التى كانت تطلب أن يكون الرقيب من بين رجال الصحافة ، وأن يكون التعطيل أو تكون المصادرة ، بعد اجراء قانونى ، وحكم ينطق به القاضى . بعد اعطاء الصحيفة أو من يمثلونها فرصة الدفاع عنها ..

ولكن هذا الذى لم تكن ترضاه تلك الأصوات ، مكبوتة وغير مكبوتة ، يتضاءل تماما أمام ما كان يخبئه القدر للصحافة الايطالية .. اذ سرعان ما اندلعت نار الحرب العالمية الثانية ، وقررت ايطاليا الدخول فى معاركها يوم العاشر من يوليو عام ١٩٣٩ .. وحيث فرض ذلك على هذه الصحافة صورة جديدة من صور السيطرة استمرت حتى اجتياح الحلفاء لها فى يوليو ١٩٤٣ ..

أما هذه الصورة الجديدة ، فقد كان يبدو خلال تفصيلاتها ملامح وأبعاد التقييد الكامل وان انطلق من تلك النظرية القديمة التى تقول : « لا يعتبر الفرد غاية المجتمع بل هو وسيلة له فقط » (٥) أى أنها تلغى وجود الحقوق الفردية تماما .. الا بمنحة من الدولة وذلك بالقدر الذى تقدم خلاله الفائدة فى انماء مؤسسات الدولة ..

وكانت العودة الى هذه النظرية ، خاصة خلال ظروف الحرب تعنى أشياء كثيرة عبرت عنها الاجراءات الصادرة فى تلك الأوقات والتي استمرت سائدة حتى سقوط الرجل نفسه - موسوليني - وقيام الحكومة الجديدة التى وقعت الهدنة فى ٣ سبتمبر ١٩٤٣ .. انها تقوم على هذه « القيود » و « السدود » و « المحاذير » و « المنوعات » كلها :

— تعديل أوضاع جميع المطابع الإيطالية بحيث تصبح جميعها مطابع حكومية ، أو على حد تعبير صحفى إيطالى تصبح جميعها مطبعة واحدة حكومية لها عدة فروع مختلفة فى روما والأقاليم .. تخضع خضوعا تاما للقوانين العديدة التى تحدد أوضاعها ، مما خلق أزمة كبيرة فى هذه الصناعة ، وسبب هروب العمال منها ، حتى أن الصحف لم تكن تجد العمال الذين يقومون بطباعتها .. وقد استمرت هذه الأزمة ، بل واشتدت حدتها عن ذى قبل حتى بعد انتهاء الحرب العالمية بسبب عدم وجود « المطبعجى » نفسه ..

— وقد كانت هناك ثلاثة أشكال من الرقابة الموسولينية ، أو « الرقباء » أنفسهم .. بدأت فى صورة مكتب خاص يوجد بوزارة الداخلية ، ثم تطور هذا المكتب الى « أمانة دولة » لشئون الصحافة والاذاعة .. وأخيرا وزارة صحافة ودعاية .. وسيان كان المشرف هو مدير المكتب الخاص أو الأمين ، أو الوزير نفسه ، فقد كانوا جميعا من العسكريين ، وتساعدهم مجموعة أخرى من الرتب العسكرية الأقل ، وهؤلاء لم يقتصر دورهم عند حدود الرقابة من حذف وتعطيل ومصادرة ، فقط .. وإنما امتد ذلك الى منح تراخيص الصدور ، أو منعها كما كانت تتدخل تدخلا إيجابيا وحازما فى القيام بجمع الأخبار التى يهم الدوتشى نشرها أو اذاعتها ، وتقوم بتوزيعها على الصحف والاذاعة ، مع أوامر صريحة بنشرها واذاعتها على حالتها .. ودون حذف أو تحريف أو إضافة ، وحتى دون استبدال كلمة بكلمة أخرى .. حتى خرجت الصحف الإيطالية جميعها وهى عبارة عن نسخة واحدة بأسماء متكررة ..

— ويقول أحد الصحفيين الإيطاليين فى مذكراته عن هذه الفترة أيضا ان الرقابة مارست بالإضافة الى ذلك أنها كانت توزع أمرا يوميا يبين للصحف الموضوعات والأخبار التى يجب إبرازها ، وتلك التى يجب أن تمر بها مر الكرام ، دون تناولها ولو بكلمة واحدة ، كما كان أعوان

الرقيب يبرون على دور الصحف ، ليس من أجل الرقابة والمتابعة فقط ، وإنما كان يدخل في أعمالهم بعض الصور المهنية ، كتقديم رؤوس الموضوعات واتجاهات الافتتاحيات ، كما كانت الرقابة تتدخل أيضا - خاصة بعد أن أوكلت مهمتها الى وزارة الصحافة والدعاية - حتى في شكل الصحيفة وأخراجها وفي نوعية الصور ومحتواها وأعدادها أيضا ..

ومن الطبيعي أن تكون هناك ، وحتى يمكن تنفيذ ذلك كله ، ضحايا عديدة لهذه الصور الرقابية كلها ، وكانت هذه الضحايا من بين الصحف والمجلات والصحفيين معا ، فقد تمت مصادرة ٦٧ صحيفة في روما والأقاليم لفترات تتراوح بين أسبوع واحد وثلاثة شهور ، كما أغلقت ١٩ صحيفة ، وسبع مجلات إغلاقا تاما .. كما تم الحكم بالسجن على ٨٣ صحفي إيطالي لمدة تتراوح بين ستة شهور وعامين وتم استبعاد أربعة من الصحفيين الى خارج البلاد ومنعهم من دخولها تماما ، وكان هؤلاء من مراسلي وكالات الأنباء الغربية .

وقد زاد من حدة هذه الأزمات كلها أحداث الحرب نفسها ، وكان من أبرزها ضرب مصانع الورق القائمة في الشمال الإيطالي ، وتعذر حصول هذه الصحف على الورق من بلاد أخرى الا بشق الأنفس بسبب قطع خطوط المواصلات ، واتجاه وسائله الى العمل الحربي .. كما قتل عدد غير قليل من شباب الصحفيين الإيطاليين الذين انخرطوا في سلك الجندية ، أو في إطار التعبئة ، بالإضافة الى هذه القيود السالفة الذكر .. تلك التي أثرت على حالة الصحافة الإيطالية عامة ، بل واستمرت تأثيراتها الى ما بعد الحرب بسنوات .. وحتى أوائل منتصف الخمسينات نفسها ، وعلى وجه الخصوص ، في قلة العنصر البشري الفني ، وحتى النادرة التامة ، خاصة بالنسبة لصناعة الطباعة والاخراج ذاتهما .. لقد أدى ذلك - بعد الحرب - الى أن بعض الصحف والمجلات التي عادت الى الظهور ، لم تكن تجد من يقوم بالتحضير فيها ، فاذا وجدته فانها لا تجد الفنانين

اللازمين لإدارة المطابع الحديثة ، بكامل أعمالها ... وفي ذلك يقول مؤرخ  
صحفي مصري :

« .. لأن إيطاليا قطعت زهاء ثلاثين عاما دون صحافة حرة ، فلم  
يصبها التطور الذي يصيب عادة الصحف الحرة التي ينضجها التنافس  
ويعلو من شأنها الخلاف على المسائل العامة ، فقد عاشت الصحافة  
الإيطالية في كنف الحكومة الفاشستية تمثل اتجاهها معينا وتخرج جميعها  
من مطبعة واحدة فانعدم التنافس في إدارتها وتحريرها وتخلفت عن  
الصحافة الأوروبية أجيالا متصلة » (١) .

---

(١) Avanti

(٢) Il fuorodel Italia

(٣) محمد عبد القادر حاتم : « الرأي العام » ص ٢٠٩ .

(٤) فرناند ترو ، ترجمة محمود الفنتور : « الاعلام » ص ٥٧ .

(٥) المصنوع السابق ، ص : ٥٦ .

(٦) إبراهيم مبد : « دراسات في الصحافة الأوروبية » ص : ٢٢٨ .

فاندى . .

---

دستور الصحافة الشعبية

---

غاندى :

### دستور للصحافة الشعبية

على الرغم من أن « المهاتما » يعرف في العالم كله بأنه الرجل الذى دعا الى استقلال الهند عن طريق « العصيان بغير عنف » ، وبذ الصناعات الانجليزية والعودة الى صناعة بلده ..

وعلى الرغم من أن أشهر صورة له ، هى تلك المعبرة عن « الاستقلال الذاتى » الذى دعا اليه ، وهى صورته وهو يغزل ثوبه بمغزله اليدوى الخاص ، وهو يحلب ماعزه ويشرب لبنها كلما أحس بالجوع أو يقودها من ورائه الى حيث يسير .

وعلى الرغم من أن الرجل كان يلوى اليه أعناق العالم كله .. وبشدة عندما يعلن عن صومه حتى تتحقق رغباته .. أو كلما سجنته السلطات الانجليزية .. حتى لوى اليه هذه الأعناق كما لم يلوها من قبل عندما انطلقت رصاصة من هندوسى متعصب سقط بعدها مضرجا بدمائه فى ٣٠ يناير ١٩٤٨ ..

أقول .. على الرغم من ذلك كله ، وأيضا .. على الرغم من أن شخصية « غاندى » المحامى كانت ، وما تزال هى المعروفة .. الا اننى كلما كنت أقرأ أو أسمع عن هذا الرجل ، كنت ازداد يقينا بأن له صلة ما .. بالصحافة ..



فلا يعقل أن يكون للرجل - نبي القرن العشرين - كل هذا التاريخ ، دون أن تكون له مثل هذه الصلة ، بل أكثر من صلة أيضا ..  
ومن هنا ، فقد بدأت أتلمس هذه الصلة ، وأسعى للحصول عليها عند مختلف المصادر ، حتى عثرت أخيرا على عدد كبير من شواهدا ..  
ودليل واحد على شدة ارتباط المهاتما بالصحافة ، وأنه كان يعمل حسابها تماما في مخططاته ويريدها أن تحمل آراءه الى القراء ، خاصة في خارج الهند .. هذا الدليل يأتي من خلال أسلوبه للمقاومة نفسه ، والذي كانت الدنيا تهتز له ، وتتسابق الصحف والاذاعات ووكالات الأنباء في نقل أخباره وتفصيلاته الدقيقة أولا بأول .. ذلك هو الصيام حتى تحقق رغباته .. ولكنه حتى في صومه هذا كان يتجاوز عن الاستجابة لأي شيء مهما بلغت أهميته ، الا أن الرجل كان حريصا على القيام بجميع مقابلاته مع رجال الصحافة ، قبل القيام بصومه ، بينما كان يؤجل كل شيء آخر .. الى أجل غير مسمى ..

وبينما كان غاندى يرفض الحديث حتى الى أقرب الأقربين اليه ، أو أخلص خلصائه ، أو الى أعضاء حزب المؤتمر الهندى الذى أصبح رئيسا له منذ عام ١٩٢٥ .. بينما كان ذلك كله يحدث فان المهاتما كثيرا ما كان يقطع صومه ، أو يعلن انتهاءه قبل موعده بعدة أيام ، وكان السبب - غير المعلن - لهذا هو اجراء مقابلة مع مندوب صحيفة عالمية كبرى ، أو مع صحفى عالمي جاء خصيصا الى الهند للكتابة عنه ، وعن قضية استقلال بلاده .. بل ان بعض مفكرى الهند يقولون أن الرجل قد أنهى صومه قبل الموعد المحدد ثلاث مرات ، اثنتان منها بسبب مقابلتين صحفيتين هامتين ، تتعلقان بموضوع الاستقلال نفسه ، والثالثة عندما اضطر الى ذلك بسبب وصول المسودة الأولى للوثيقة التى وضعت فيها بريطانيا مشروع استقلال الهند .. فخرج عن صومه لنكى يناقشها على وجه السرعة ، وذلك قبل أقل من عامين من اطلاق الرصاص عليه .

ولكن هؤلاء يقولون .. بشرط أن تكون المقابلة هامة .. فهناك عشرات من المراسلين والصحفيين المحليين الذين فشلوا في مقابلته لأنه كان صائما ، بل ان هناك بعض الذين حضروا من خارج الحدود خصيصا لاجراء هذه المقابلة .. وفوجيء هؤلاء باعلان صومه ، وعادوا بخفي حنين ، أو كان عليهم أن ينتظروا وقتا لا يعرفون عدد أيامه أو أسابيعه .

والواقع أن اهتمام غاندى بالصحافة لم يكن وليد رئاسته للمؤتمر الهندي عام ١٩٢٥ ، أو اعلانه عن مبادئه في المقاومة ، ورايه في استقلال الهند ، فتاريخ الرجل نفسه يقول أنه كان يؤمن بالدور الذي يمكن أن تلعبه الصحافة في نشر مبادئه وأفكاره ودعوته الاستقلالية ، وأن ايمانه بسلاح الصحافة ، كان لا يقل عن ايمانه بالأسلحة الأخرى التي استخدمها بكفاءة منقطعة النظر ...

ومن الغريب أن يتلازم ذلك الاهتمام ، في نفس أوقات الكفاح المصري ، وحيث أدرك غاندى ، كما أدرك الزعماء المصريون في نفس هذه الأوقات ، مصطفى كامل ، وعلى يوسف ، ولطفى السيد ، وغيرهم أن الصحافة تستطيع أن تكون المدافعة عن حقوق الوطن والمواطن ، وأن تحمل أصواتهم الى عقل الشعب وقلبه ، وتناقش قضايا الاستقلال والحرية ، وما يتفرع عنهما من قضايا أخرى ..

ذلك أن غاندى ، منذ سنوات كفاحه الأولى ، كان حريصا كل الحرص على أن تخرج أفكاره الى النور ، تلك الأفكار التي كانت تراوده وهو بعد طالب علم في انجلترا ، ثم أخذت تراوده بشدة كلما اقترب موعد العودة ، حتى أنه راح يدون أكثرها وهو في طريق عودته الى جنوب أفريقيا .. ليمارس المحاماة هناك ، ويدافع عن العاملين المهسود هناك — الكوليز — وحيث كان يوجد في الكاب والنااتال والبوير حوالي ١٥٠ ألف هندي في ظروف قهر وعسر .. منقطعة النظر .

رأى غاندى أن الدفاع عن هؤلاء لن يجدى إذا تم فى قاعات المحاكم وحدها ، فالقضاة الانجليز لن يقدموا كثيرا أمام ما يتعرض له هؤلاء من أعمال ، كما كان يعرف تماما ، أن ميدان المعركة الحقيقية فى الهند نفسها .. ومن ثم فقد رأى أن يتوجه الى هؤلاء جميعا بسلاح الصحافة ، فأصدر وأشرف على تحرير صحيفة « الرأى الهندى » (١) فى جنوب أفريقيا ، وكانت أبرز كتاباته بها هى تلك التى تحمل آراءه التى حمل طوال حياته مسئولية الدفاع عنها ونشرها والتى لوت بشدة أعناق الناس فى كل مكان ، كما أنها هى التى صدرت بعد ذلك فى كتاب يحمل أفكار غاندى وآراءه ، كان عنوانه مرة « هذا مذهبي » ، ومرة أخرى « مذكرات غاندى » كما اقتنفت منه عدة أقوال صدرت فى كتب منفردة أكثرها شهرة كتابه « حضارتهم وخلصنا » الذى اتخذت منه بعض الطوائف انجيلا لها ، ونادت بنبد كل ما جاءت به الحضارة الحديثة ، ودعت أعضاءها الى العودة الى الطبيعة ، وحياة الريف والصحراء والغابات ، ونبد الحياة فى المدن الكبرى والعواصم حيث السأم والملل والضجيج والتلوث والجرائم الكبرى ..

بل ان هذه المقالات نفسها يكتبها غاندى - الكاتب الصحفى هذه المرة - بأسلوب الحوار بينه وبين قارئ وهمى يتخيله يجلس اليه ، ويناقشه هذه الأمور كلها ، والرجل يضع له النقط فوق الحروف ويقدم له رأيا بعد رأى ، وفكرة فى اثر أخرى ..

على أن من أبرز ما كتبه « المهاتما » فى هذه المجموعة من المقالات الصحفية « الاعترافية » ما تضمن رأيه فى الصحافة نفسها .. فهو فى كلمات قليلة جدا ، يقدم فكرته عنها ، ويعلن عن دستور لها .. وذلك عندما يكتب :

« الصحافة ينبغى أن تكون قائدة الشعب ، ورائدته ، وخادمتها أيضا ، ان هدف الصحافة الأول يجب أن يكون خدمة الفرد والمجتمع

والانسانية .. انها وهى تقوده ، وهى تضع نفسها فى مكان الريادة وهى تدافع عن آرائه ، وهى تؤيد مواقفه ، وهى تقوم بحل مشكلاته ، انما تقدم أقصى درجة من الخدمة ، وأرفع مرتبة منها .. وان من أهداف الجريدة أن تدرك الشغور الشعبى وأن تعبر عنه ، وان من مهامها أن تثير بين الشعب بعض المشاعر والأمانى المرغوبة ، كما أن عليها أن تكشف دون خوف عن نقاط الضعف والثغرات والعيوب التى تهدده « (١) » ..

وان الانسان ليقف متعجبا .. فهل صاحب هذه الآراء هو زعيم ، ومحام ، أم انه الى العمل الصحفى أقرب ..

ربما يكون الجواب أن الزعيم والمحامى ، والصحفى ، هى أسماء عديدة لشخص واحد يعمل عملا واحدا .. له عدة وجوه ، أو جوانب ، وأن الزعامة والمحاماة والصحافة - جميعها - كانت وما تزال شيئا واحدا .. من وجوه كثيرة ..

خاصة عندما يكون الرجل .. هو غاندى .

Indian opinion (١)

(٢) المهاتما غاندى - ترجمة الاساتذة الجامعيين : « هذا ملهى » ص : ٣٠٥ .

**فرانكلين روزفلت :**

**رئيسى جمهورية الصحفيين**

## فرانكلين روزفلت :

### رئيس جمهورية الصحفيين

.. كانت لهذا الرجل بعض مواقفه « الشهيرة » فى مواجهة الصحافة والصحفيين ، ومحاولة الحد من سلطاتهما ، وتقليصها .. وتضييق الخناق عليهما ، وسحب عدد من امتيازاتهما ..

كما أن الصدام قد وقع بينهما أكثر من مرة .. خاصة فى أخريات عهده بالحكم ..

كذلك فان احدى المجموعات الصحفية الأمريكية ، قد بلغ بها الضيق مبلغه .. حتى أدى بها ذلك الى حد نشر اعلان مساحته صفحة كاملة .. وفى جميع الصحف الأمريكية ، تتحدث فيه عن حرية الصحافة ، وتعيد تذكير القراء والمجتمع الأمريكى بها ..

وعلى الرغم من ذلك كله ، فقد كان الرجل - الرئيس الأمريكى فرانكلين ديلا نوروزفلت - من أصدقاء الصحافة المعدودين ، والمتبشرين أيضا .. حتى أن رئيس نادى الصحفيين الأمريكىين فى واشنطن قال فيه مالم يقله فى أحد غيره .. وكان بين ما قاله أن ف. روزفلت لم يكن رئيسا لجمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ، بقدر ما كان رئيسا لجمهورية الصحفيين ! .. وقد فسر رئيس النادى بعد ذلك ما كان ينشأ من خلافات بين الرئيس والصحافة قائلا : أنها ليست خلافات جذرية أو عميقة ، وانما هى خلافات فى رأى فقط ، تلك التى تسير طابع المجتمع الديموقراطى

الذى تتفق جميعا على بنائه ودعته كما أننا نختلف يوميا على صفحات الجرائد والمجلات ، بل وفي نادى الصحفيين دون أن يؤثر ذلك فى وحدتنا أو تعاوننا ..

على كل .. لنبدأ بأهم جوانب هذا الخلاف نفسه .. أو على غير العادة ، لنبدأ بالوجه الآخر للصورة الذى يبرز من خلال تفصيلاته ملامح الصدام ، وطنييته ..

والواقع أنه حدث خلال فترات رئاسته الأربع ، أن وقع أكثر من صدام ، وليس صداما واحدا .. بين الرجل من جانب وصحافة بلاده من جانب آخر .. لعل أبرزها ما وقع خلال فترة رئاسته الأولى .. وذلك عندما وافق الكونجرس الأمريكى على قانون « الانعاش الصناعى الوطنى » .. فقد خولت بنوده رئيس الولايات المتحدة سلطات اضافية جديدة وعديدة كان من بينها ما اعتبر الصحفيون أنه طعنة قوية ، بل وقائلة على حد تعبير احدى الصحف ، موجهة الى صناعة الصحافة نفسها ، بل والى حريتها والعاملين بمياديتها المتسعة ..

نعم ، لقد أعطى له هذا القانون سلطة اجازة اصدار أو عدم اصدار الصحف - الموافقة على الترخيص من عدمها - وكذا خوله سلطة انشاء جهاز رقابة عامة تنظر فى أمر تنفيذ الصحف لشروط منحها الترخيص من عدمه ..

وعلى الرغم من أن هذه البنود ذيلت بعباراة « فى حدود القانون » .. وعلى الرغم من أن المقربين من الرئيس ، وعددا من أعوانه راحوا يطمئنون أصحاب الصحف والمحررين الى أن فى « روزفلت » لا ينوي العمل بهذه

البنود أو استخدام هذه الصلاحيات التي يخولها له هذا القانون الجديد الا أن قيامة الصحافة قامت ، وعلا ضجيج الصحفيين وارتفعت أصواتهم خلال الاجتماعات العديدة التي قاموا بعقدتها في أنديةهم المنتشرة بطول البلاد وعرضها ، كما كتبوا ينتقدون هذا القانون نفسه .. قائلين بأن الصحافة الأمريكية ترفض قبول هذه الضمانات الشفهية التي يقدمها أعوان الرئيس ، تجاه قانون مجحف مدون حتى أن هذا الهجوم نفسه الذي قامت به الصحف ، كان يعنى في جوهره عدم استخدام البنود المشار إليها ، والا لاستخدمت أولا .. خلال حملة الصحف عليها .. أى أن الحكومة قد جمدت هذه البنود من تلقاء نفسها .. وفي ذلك يقول « توماس ييرى » معلقا على هذا الصدام نفسه :

« وهكذا جر القانون الى اختبار لم يكن اختبارا بالفعل لأن الصحف لم تقم بأية محاولة للتقيد به ، فظلت تصدر كما في السابق ، بغض النظر عما تحبه الحكومة أو تكرهه ، فمرت الحكومة بالأمر مر الكرام اذ أدركت المحذور الذى يترتب على منازلة مؤسسية بالغة القوة كالصحافة الأمريكية .. وهكذا ربحت الجرائد هذه الجولة المهمة بواسطة احجام الحكومة عن تنفيذ القانون » (١) .

كذلك فقد حدث أكثر من صدام آخر ، ولكنه لا يرقى الى مستوى أو أهمية الصدام السابق .. نعم ، كان يحدث الصدام عندما تخالفه بعض الصحف الرأى ، وهو ما كان يكرهه تماما .. كما كان يحدث أيضا عندما يبدو له أن بعض الصحف تعارض فوزه بالرئاسة ، بل انه صرح ذات مرة الى أن معظم الصحف الأمريكية تعمل على ابعاده عن منصبه الكبير الذى شغله في حياته أربع مرات .. كما أن ضيقه بالصحافة ، وتبرمه بالصحفيين



قد بلغ مبلغه - وهو الصدام الكبير الثاني الذي حدث في عهده - عندما ارتفعت أصواتهم واندفعت أقلامهم تعارضه بشأن بعض مشروعاته الداخلية ، وعلى وجه الخصوص مشروعه الكبير القاضي بتوسيع هيئة المحكمة العليا ، والذي هاجمته ١١٨ صحيفة يومية ومجلة في شبه حملة صحفية قوية ومنظمة .. حتى تضعفت أركان المشروع ، وركن على الراف .

كذلك فقد ثارت زوبعة أخرى ضد الرئيس - ولا أقول صداما كاملا - وذلك عندما حطم بنفسه التقاليد التي وضعها لمؤتمرات البيت الأبيض الصحفية .. تلك التي كان يعقدها في مكتبه وعلى مسمع ومرأى من الجميع .. ولكنه رأى أن يغيرها ذات مرة ومنح حديثا خاصا لأحد الصحفيين دون غيره من زملاء المهنة .. كما سمح له بأن ينقل عنه مباشرة .. وكانت النتيجة هي ما عبرت عنه دوان برادلي قائلة : « وقد أثار هذا عاصفة من الاحتجاج لدى رجال الصحافة بلغت من الشدة حدا جعله لا يكررها أبدا » (١) ..

ذلك كله عن أبرز مواقفه في مواجهة الصحافة والصحفيين ، أو مواقف هؤلاء في مواجهته .. تلك التي تمثل الوجه الآخر للصورة .. فماذا عن الوجه الأول لها ؟

الواقع أن كلمة رئيس نادي الصحفيين بشأن الرجل كانت صادقة الى حد معقول ذلك لأن من الثابت أن صور علاقاته الجنسية ، ومفردات هذه العلاقات ، وتفصيلاتها وكذلك ، أسلوب تعامله معها ، جميعها تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنه كان من كبار المجتذباء الذين يحرصون على إقامة الجسور الدائمة ، ودعمها ، وتقوية الأواصر والروابط وعلاقات

الود ، بينه وبين الجهاز الصحفى الأمريكى ككل .. يستوى في ذلك اصحاب الشركات والتكتلات الصحفية ، ورؤساء التحرير وكبار الكتاب والمعلقين والمحللين ومندوبى البيت الأبيض ، وكذا المراسلين الأجانب بالعاصمة الأمريكية .. رغم هذا الفتور ، وهذه القطيعة التى وصلت فى بعض الأوقات - كما شاهدنا - الى حد الصدام الكامل ..

وخذ عندك هذه الصور العديدة ، لتلك العلاقة الحسنة ، بل والحسنة جدا والتى كانت الطابع المسيطر لتعامله مع دولة القلم والجبر والفكر والرأى والصورة والخبر والتحقيق الصحفى .

— فمن المعروف أن الرجل — فرانكلين روزفلت — لم يغلّق باب البيت الأبيض أو باب مكتبه فى وجه صحفى .. خلال أغلب فترات حكمه .. ولم يكن ذلك بالطبع لأنه يعلم أنه عندما يغلّق مسئول بابه فى وجه صحفى ، فإن الصحفى يأتيه من الشباك .. وانما لأنه بعقليته الشعبية التى كان يصدر عنها فى كثير من تصرفاته ، ولايمانه منقطع النظير بالدور الذى كان على الصحافة أن تؤديه .. كان يؤمن تماما بأن الصحافة هى مرآة الرأى العام فى بلده ، وهى التى تقدم له الصورة الحقيقية للمواطن الأمريكى بأفكاره ومشكلاته التى تؤرقه .. وأحلامه أيضا .. ومن ثم فقد كان يقدر رسالة الصحافة حق قدرها .. ويرى فى كل صحفى يطرّق بابه وفى كل صحيفة أيضا ، ذلك الجسر الذى يربط البيت الأبيض ، بالشارع الأمريكى ، على عظم طوله واتساعه وتشعبه .

— وكان من الطبيعى أن ينتقل هذا الاهتمام من الرئيس الى جميع أعوانه ، وأعضاء وزارته ، وكبار رجال الدولة أيضا ، بعد أن وجدوا منه كل هذا الايمان بالدور الصحفى والاقتناع بالرسالة الصحفية ..

بل يقال أن أوامره الى هؤلاء كانت صريحة جدا ، بامداد الصحافة بكل ما تريده من معلومات وحقائق .. وعد ذلك من قبيل المصلحة العليا .. مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، ومن ثم فلم يعرف أن وزيرا من الوزراء ، أو رجلا من رجال البيت الأبيض قد أغلق بابه في وجه مندوب أو مراسل ، أو أوصده دونه ..

— بل انه في أكثر الأوقات التي يخشى فيها جانب الصحافة — زمن الحرب — فان الرجل عندما اضطر الى فرض الرقابة .. قال في البيان الذي وجهه الى الشعب الأمريكي وصحافته :

« ان جميع الأمريكيين يمتقنون الحرب ، ولكن التجارب التي مرت بهذا الشعب ومرت بغيره من الشعوب ، قد بينت أنه لابد من وجود رقابة ما في زمن الحرب .. ونحن في حالة حرب » ثم أمر بإنشاء مكتب الرقابة الأمريكي في ١٩ ديسمبر ١٩٤١ ..

وحتى في هذه الحالة الأخيرة ، فانه قام باختيار « بيرون برايس » رئيس التحرير بوكالة الأسوشيتدبرس مشرفا على هذا المكتب ، حتى يكون قد اختار واحدا من الأسرة الصحفية ذاتها ، بينما كان في مقدوره أن يعين واحدا من رجاله أو رجال البيت الأبيض أو وزارة الداخلية أو الخارجية ، أو أحد القادة العسكريين كما حدث ويحدث في دول كثيرة .. كما أنه أخضع كل ما يتعلق بالبريد والاتصالات السلكية واللاسلكية والصور والكتب والمكتبات لدائرة أعمال هذا الرجل نفسه .. وأكثر من ذلك فقد طلب هو شخصا منه أن يضع نظاما خاصا للرقابة الاختيارية بالتعاون مع أصحاب الصحف ومحرريها .. وسائر وسائل الاعلام ..

— وحتى في ميادين المبارك نفسها ، وعلى الرغم من أن بعض أعضاء قيادته العسكرية كايزنهاور وغيره كانوا يعارضون منه ذلك ، فإن الرجل سمح بإصدار العديد من الصحف والمجلات العسكرية المتخصصة في جبهات القتال نفسها ، كما أحرزت الصحف ووكالات الأنباء الأمريكية تطورا ملحوظا خلال الحرب العالمية الثانية .. يقول عنه د . ابراهيم عبده :

« لقد حققت الصحف ووكالات الأنباء الأمريكية إبان الحرب الثانية أعظم انتصار في تاريخها جميعا .. فقد اتسع مجال العمل حتى شمل الكرة الأرضية كلها ، ولقى العاملون في حقل الصحافة عوائق الرقابة ومصاعب المواصلات ، وأخطار الأسلحة المستعملة والأمراض الفتاكة وغير ذلك من متاعب ، وكان سجل ما تم طوال ثلاث سنوات وتسعة أشهر من اشتراك الولايات المتحدة في الحرب .. كان هذا السجل بارزا في كنهه وكيفه ، ونقلت أخبار الحرب في صورة كاملة منقطعة النظير » (٣) ..

— وقد أصدر « جراهام ج . وايت » الذي يعمل محاضرا في الأدب الأمريكي بجامعة سيدني كتابا جديدا - ١٩٧٩ - بعنوان « روزفلت والصحافة » يتحدث فيه عن هذه العلاقة التي كانت في جانب منها عاصفة ومعقدة .. وفي أكثر جوانبها مشرقة ومتينة ، بين هذا الرئيس الأمريكي وبين صحافة بلاده .. وذلك من واقع اتصاله الوثيق بالجانب الصحفي للرئيس ، وحيث حضر المؤلف جميع مؤتمراته الصحفية تقريبا .. كما حضر له أكثر من لقاء ومؤتمر سياسي .. وكان من أبرز ما كتبه الإشارة إلى أن الرئيس كان محل إعجاب الصحفيين

عامة ومندوبى البيت الأبيض خاصة .. وأن مؤتمراته كانت أكثر افتتاحا وأقل رسمية من المؤتمرات التى كان يعقدها أسلافه كما أنه كان يحضر هذه المؤتمرات أكبر عدد من المندوبين .. وكان الرئيس يرد على جميع أسئلتهم ، ويتبسط معهم فى القول ، كما عرف عنه أنه كان يصافحهم جميعا ، يدا بيد .. وأنه عقد خلال سنوات حكمه ٩٩٨ مؤتمرا صحفيا .. وكثيرا ما كان يدعو عددا من الصحفيين لتناول طعام الغداء معه .. كما يقرر كذلك ، أنه على الرغم من كل ما كان الرئيس يذله من أجل دعم هذه الصلة وتحسينها باستمرار ، فإن أغلب الصحف كانت تعارضه طوال فترة رئاسته بينما هو لم يحاول أن يوقف — على حد رأيه — تيار معارضتها له ..

— كما كان هناك اجتماع على النشاط الصحفى المتميز لزوجات الرئيس ، تلك التى كانت حريصة على أن تنافس زوجها فى عقد المؤتمرات الصحفية ، حتى أنها عقدت أحيانا أكثر من مؤتمر واحد أسبوعيا ، كما كانت تعقد مؤتمرات عديدة للصحفيات ، تخاطبهن خلالها بدون حواجز أو رسميات ، كما كانت توجه لهن الدعوة لتناول الغداء على مائدتها .. وبعد الغداء تصحبهن الى زيارة لجميع حجرات البيت الأبيض ، بما فى ذلك مكتب الرئيس الخاص ، ومكان احتفائه ببعض أشيائه الخاصة وطوابعه ، ويريده .. ويقال كذلك أنها كانت تجيب على جميع أسئلة الصحفيات ، بما فى ذلك الأسئلة الخاصة جدا عن حياة الرئيس ، وحتى حياته معها وما الذى يحبها ؟ وما الذى يكرهه فيها ؟ ومتى يتفقا ، ومتى يختلفان ؟ وكيف يعالجان مشكلاتهما الخاصة ؟ وما هى صفاته التى لا يعرفها الناس عنه ؟ وما هى أبرز

نواحي ضعفه ؟ وكيف يتخذ قراراته الهامة ؟ وماذا يفعل ليلتها ؟ .. الى غير هذه كلها من الأسئلة الأكثر اقترابا من حياتهما الخاصة والتي يقال أنها كانت ممنوعة على الصحفيين ، أو لم يكن هنا من يستطيع توجيهها اليه .. من الرجال ..

وعلى أية حال ، فانه يبقى لهذا الرجل هذه الصور العديدة كلها .. صور الاعجاب الى حد الغزل مع الصحافة والصحفيين .. صور الصديق الذي يقف مع صديقه دائما ، وفي جميع الأحوال ، ولكن لا بأس من قليل مما يعكس صغو العلاقة بينهما .. الى حين ، لتعود بعد ذلك أقوى مما كانت . أن هذه الأزمات الطارئة .. حتى وان كانت قد وصلت في بعض الأحيان - كما شهدنا - الى حد وقوع الصدام ، فقد كانت تمثل اختبارا لقوة الصحافة ومدى ايمان العاملين بها برسالتها .. وعلى حد تعبير توماس بيرى : « وعلى كل فقد خرجت الصحافة من هذا الاختبار ظافرة كما فعلت في اختبارات عديدة سابقة » ، بالتمسك بحقها في نشر الحقيقة « (٤) » ..

(١) توماس بيرى ، ترجمة مروان الجابري : « الصحافة اليوم » ص : ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) دوان برادلى ترجمة محمود سليمان « الجريدة ومكانها في المجتمع الديمقراطي »

ص : ٧٨ .

(٣) ابراهيم عبده : « الصحافة في الولايات المتحدة الامريكية » ص : ٢٧٥ .

(٤) توماس بيرى ، ترجمة مروان الجابري : « الصحافة اليوم » ص : ٥٧ .

شارل دييجول :

---

سلاح خطير جدا ..

تلك هي :

الصحافة السرية :

---

## شارل ديغول :

سلاح خطير جدا

تلك هي :

الصحافة السرية

على أثر تهاوى المدن الفرنسية أمام الجيوش الألمانية وتوقيع الهدنة في يونيو ١٩٤٠ .. بدأت الرقابة الألمانية تعمل عملها في التضييق على صحف المنطقة المحتلة ، بل وفي خنق الصحف التي لا تستجيب لمطالب الرقيب « ستافل » ولا تنشر ما يرى نشره من أخبار يوزعها هو بنفسه على رؤساء أو مدراء تحريرها في مؤتمراته التي يعقدها .. أو يوزعها باحدى الطرق الأخرى ، أو توزعها وكالة الأنباء الألمانية « دن.ب » بمعرفة المكتب الفرنسي للاعلام .. كما اتبعت هذه السلطات وسيلة أخرى للضغط على الصحف الفرنسية حيث كانت تخفض « تموين » الصحيفة المشاغبة من الورق .. أو تمنعه في بعض الأحيان .. حتى نجحت سلطات الاحتلال في ازالة بعض الصحف عن طريقها ، خاصة الصحف السياسية ، بينما بدأت الصحف الأخرى تظهر الخضوع — رغم أنفها — لقواعد الرقابة التي فرضها النظام الألماني .

.. ولكن تلك الصورة لم تكن تمثل الا الوجه الأول للعملة .. وجه ما يجري في المناطق الواقعة تحت القبضة الفولاذية للجيوش الهتلرية .. وصحيح أنه كان الوجه الأكثر بروزا ، ووضوحا ، وسيطرة .. ولكن الصحيح أيضا أنه كان هناك ذلك الوجه الآخر وجه ما يجري في المنطقة غير المحتلة .. وحيث نلمح الفارس ديغول وهو يرتفع بقامته المديدة وسط أعضاء حكومة فرنسا الحرة .. هؤلاء الذين انتقلوا الى



« فيشي » مغلنين أن الحرب ما زالت قائمة .. ومن ثم اعلانهم استمرار قيام صحف هذه المنطقة بأدوارها الاعلامية والتوجيهية والتفسيرية خلال هذه الأوقات العصيبة من بداية الأربعينات بل ان هذه الحكومة ، وبتوجيه من دييجول نفسه كانت تحاول قنذر ما تستطيع أن تساعد صحف هذه المنطقة على الصدور واستمرار الحياة ..

على أن العمل الديجولي الآخر ، والذي دل على ذكاء وحاسة اعلامية كبيرة ، بل وقيادية وطنية أيضا .. هو ما كان يفعله هذا الصديق للصحافة والصحفيين بأن يشجع اصدار الصحف السرية أو « صحف المقاومة » في المناطق الفرنسية المحتلة ، خاصة بعد وضع الحلفاء أقدامهم على الشمال الأفريقي ، واحتلال الألمان للمنطقة الجنوبية من فرنسا .. وحيث تبع ذلك — وكما توقع دييجول في حديث له مع أعضاء الحكومة الحرة — سقوط عدد من الصحف الفرنسية الكبرى .. تلك التي كان الاعتماد عليها كثيرا وأساسيا في مخاطبة الشعب الفرنسي .. وهي أمثال صحف « الطان » و « الفيجارو » و « البروجرية » وغيرها بينما كانت الصحف الأخرى ، قد رضخت للقوى الأكبر منها .. أو استسلمت للرقابة الصارمة .

وسط هذا الضباب المتكاثف في السماء الفرنسية .. وبين أشواك غابة الاحتلال كان صدور الصحف السرية ، يمثل فكرة بعيدة المنال ، صعبة التحقيق ، تحتاج الى قدر كبير من الشجاعة .. بل كان صدور صحيفة واحدة منها يعتبر مخاطرة غير مأمونة العواقب ، مع رقابة لا ترحم تستند الى احتلال عسكري يبت عينونه ، تماما كما تنتشر أسلحته في كل مكان .. ولكن ، ومن زاوية أخرى ، فقد كانت هذه الفكرة ، تمثل ذلك البصيص القليل من الضوء ، خيطا واحدا من خيوط الأشعة ، وسط ضباب الأحداث وظلام الأفق ، ومشاعر الخوف والقلق والترقب .

وأعتقد ، أن سوابق اصدار مثل هذه الصحف كانت تتجمع في رأس ديجول وتلح عليه بشدة ، وعلى رؤوس الآخرين ممن كانوا يناقشون فكرة هذا العمل .. فقد صدرت مثلها أثناء نضال « المستعمرات الأمريكية » من أجل الاستقلال في العقد السابع من القرن الثامن عشر ، كما أصدرها الثوار من اليونانيين أكثر من مرة في مواجهة سلطات الاحتلال التركي .. كما صدرت أيضا أثناء ثورات عدد من الشعوب على الانجليز والفرنسيين أنفسهم .. وكان من بينها ما أصدره المصريون قبل وأثناء وبعد ثورتهم الكبرى عام ١٩١٩ - على الانجليز - في القاهرة والأقاليم ..

باختصار .. لم يكن هناك من خاطر يلح على الرجل ، وهو يعيد تنظيم صفوفه ، ويرى في الاعلام والدعاية سلاحا مؤثرا أبرز من ذلك الذى يدعو الى مد يد العون لمثل هذه الصحف القليلة جدا .. والتي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة .. وأكثر من ذلك تشجيع اصدار صحف جديدة بل واصدارها من مواقع المقاومة السرية المنتشرة في مختلف أرجاء فرنسا .. ومن ثم فقد تتابع اصدار هذه الصحف « السرية » التي تحمل أسماء عديدة كان من أبرزها :

« ديفانس دى فرانس (١) - فران تيرور (٢) - ليبراسيون (٣) - كومبا (٤) - فرون ناسيونال (٥) » .. وغيرها ..

وقد أعدت لطباعتها مطابع خاصة ، بعضها كان في الأصل من مطابع الصحف التي توقفت عن الصدور ، وبعضها الآخر من مطابع الصحف الاقليمية ، كما أن بعض هذه الصحف نفسها كان يطبع في عدد من القرى وبطريقة سرية جدا .. ثم يخرج مع القوافل الصباحية التي تنقل الخضر والفاكهة والألبان الى المدن الكبرى ، على عربات يقودها عدد من أفراد المقاومة حيث يتسلمها آخرون يقومون بتوزيعها سرا .. وأما مشكلات الحبر والورق وغيرها فقد كان سهل الحصول عليهما

من بعض المؤسسات الفرنسية وبيوت الأوراق والطباعة ومما يزيد عن حاجة بعض الصحف التي كانت تطبع كمية أقل من تلك التي حددتها للسلطات .. وبكثير .. وكان الورق الباقي يجد طريقه الى الطوابق السفلى من بيوت أحياء المدن الفرنسية ، ليخزن هناك ، أو يطبع فوراً في تلك الأماكن .. وحتى عن طريق سرقة « بويينات » الورق من مخازن تلك الصحف التي أيدت الاحتلال لتعيش ، ومن مخازن قوات الاحتلال نفسها .. أضف الى ذلك كله بعض « خصائص » الصحافة التي كان عليها أن تصدر في مثل هذه الظروف فمن الطبيعي أن تكون هذه الصحف السرية ، غير مرتبطة في صدورها بوقت محدد ، أو بساعة معينة ، فقد كانت تصدر « حسب التسهيل » ، كما لم ترتبط أيضاً بشكل معين في إخراجها ، ولا بعدد محدد من الصفحات ، فقد كان ذلك فوق طاقتها ، وطاقاة أصحابها حتى أن بعضها كان يصدر أحيانا في ورقة واحدة فقط ، بل صدر بعضها أحيانا في ورق سميك ، من ذلك النوع الذي تصنع منه الأكياس والقراطيس وأكثر من ذلك صدرت أيضا على ورق مقوى ، كان في الأصل معدا لعمل علب السجائر والأحذية ، حتى اذا جاءت الصحيفة السرية على الكمية التي حصلت عليها من هذا الورق ، بدأت البحث عن كمية أخرى ، أو عن نوع آخر ، حتى صدرت صحف على « مناديل الورق » و « المناشف » .. وهى الطريقة القديمة التي استخدمها صحفى فرنسى أثناء عهد « لويس فيليب » فى الأربعينات من القرن السابق ، وجميع هذه الطرق كان يعلم بها رجال المقاومة ، وقادتها ، بما فى ذلك دييجول نفسه .. حيث حملت من أفكاره وتعليماته ورسائله كثيرا .. حتى وصفها أكثر من مرة بأنها « سلاح خطير جدا فى يد المقاومة » .. تستطيع أن تستخدمه الاستخدام المناسب لاحتراز النصر وتحقيق التحرير ..

على أن من أبرز هذه الصحف السرية التي ساعد الرجل على إصدارها ، ومضى يمدّها بعونه منذ صدورّها وحتى التحرير تلك

الصحيفة المسماه « ديفانس دى فرانس — الدفاع عن فرنسا » .. والتي أقبل أفراد المقاومة عليها وساعدوا على توزيعها بين طوائف الشعب الفرنسى بمختلف الطرق ، بل كانوا يهربونها الى خارج فرنسا أيضا .. وإلى المناطق الأخرى التي كانت تعاني سطوة الاحتلال الألماني .. أو تشرب من نفس كأسه ..

وقد استمرت هذه الصحف السرية في عملها بوازع وطنى يدفع المسؤولين عنها الى العمل المتواصل ، وبذل كل الجهود التي كانت تعتبر في مقدمة أسلحة المقاومة ضدها ، ولم يفت في عضها أن الألمان كانوا أحيانا يعثرون على نسخها ويقومون باحراقها ، كما قبض هؤلاء على كثير من محررى وموزعى هذه الصحف ، وتعرضوا للسجن والتشريد ، كما تعرضوا لعقوبة الاعدام رميا بالرصاص ، فما فت ذلك في عضد الآخرين ، ولا أوقف صدور مثل هذه الصحف التي يعترف لها التاريخ الفرنسى بكل ما قدمته .. تماما كما يعرف للرجل الذى شجعها على الصدور ، وأيدها ، ودفعها الى الاستمرار ومواصلة الكفاح .. يعرف له دوره الكبير .. ويعترف له به .. للقائد الفارس صديق الصحافة الجنرال دى جول .

Defense de la France

(١)

France — Tireur

(٢)

Liberation

(٣)

Combat

(٤)

Front National

(٥)

ایزنہاور . . :

---

نصف . . لها

ونصف . . علیہا

---

ايزنهاور :

نصف ٠٠ لها

ونصف ٠٠ عليها

هذا رجل كانت له مواقفه العديدة من الصحافة ، والمختلفة الى حد بعيد ، والى درجة التناقض .

ولكن قراءة سريعة لتاريخ الرجل نفسه - دوايت ايزنهاور - تبين أن هذه المواقف العديدة ، رغم تفاوت حدثها للرئيس الأمريكى من صحافة بلاده ، يمكن أن تختصر فى موقفين أساسيين تنطلق منهما أو تتفرع جميع المواقف الأخرى ، كما تتصل بهما كذلك اتصالا وثيقا ..

فهو .. منذ بدأ اسمه يظهر على صفحات المجلات المتخصصة - مجلات الجيش الأمريكى - .. وعندما كان يتسلل على استحياء وفى مرات قليلة جدا ، بل ونادرة ، الى سطور الصحف العامة أو السيارة ، فقد كان هو نفسه يمتعض كثيرا .. ويبدو أن هذا الموقف الجاد الجامد .. قد صحبه وهو يقفز الى الرتب العسكرية المتقدمة .. ثم عاد يصحبه وهو ينتقلد مناصب القيادة العسكرية ، فيقابل رجال الاعلام عامة والصحفيين خاصة ، بذلك الوجه المتجهم ، وبملامحه العسكرية الجافة ، تلك التى كان يجيد رسمها تماما ، أو كانت هى بعض طبيعته العسكرية التى كانت تسرى فى دمائه ودماء غيره من العسكريين ، بملامحهم الجادة دائما ، الخشنة أبدا .. حتى وهم فى أوج مجدهم وقمة انتصارهم .. حتى ليخيل اليك أن تلك هى طبائعهم التى ولدوا عليها ..

تماما كما يقولون أن فلانا ولد ليكون عسكريا ، وأن فلانا ولد ليكون صحفيا .. وأن فلانا ولد ليكون فنانا .. وهكذا كان الرجل من هذه الطبقة من القادة العظام ، الذين — كما يبدو — ولدوا ليكونوا من كبار العسكريين ، والذين كان اقتناعهم يزداد دائما ، وبمرور الوقت ، ومع تأزم المواقف وضجيج المعارك ، ودخان البارود ، ومنظر الدم .. أن الاعلاميين عامة ، والصحفيين خاصة هم من « المتطفلين » .. وأن تطفلهم هذا قد يؤدي الى عواقب عسكرية وخيمة .. بل ان هذا التدخل منهم ، قد يزعج القائد العسكري أيما ازعاج ، وقد يتسبب في تعقيد الأمور .. أيما تعقيد ..

بل يقولون أن عبارات كثيرة كان الرجل يرددها وكأنه يحفظها عن ظهر قلب ، أو كان يفاجئ بها الاعلاميين من صحفيين واذاعيين .. وحتى رجال الاعلام العسكري نفسه والتابعين لجيوش الحلفاء ، أو للقوات الأمريكية المسلحة .. انها عبارات من مثل :

— وماذا يريد المستمع من قائد عسكري ؟

— وما دخل التراء بتطورات المعارك على الجبهات المختلفة ؟

— وما الذى يعنى صحيفتكم بالنسبة لهذه المسألة ؟

— ولماذا تدس المجلة أنفها فى حياة الضباط والجنود ؟

ومن هنا ، فقد كان اللقاء به يمثل صعوبة كبيرة ، ليس أكبر منها: سوى انتزاع عدد من الأخبار من بين أنيابه .. ان المحرر فى هذه الحالة يكون قد انتزعها من بين أنياب الأسد نفسه ولذلك كله ، فلم يكن ينجح فى هذا اللقاء ، الا المخبر القدير ، والمراسل المتمرس ..

بل يحكى عنه ، أن أحد المراسلين الحريين التابعين لوكالة أنباء أجنبية ، طلب مقابلته وأخذ يلح فى هذا الطلب ، والرجل يحول جميع

طلباته الى الضباط الصغار ، أو الى ياوره الخاص أو الى أركان حربه ..  
أو الى مكتب الأنباء الأمريكى التابع لجهاز الحرب .. ولكن المراسل  
يستمر فى محاولاته ولا ييأس أبدا .. بل يظل يتمسك بحبال الصبر  
ويتابع القائد العسكرى ، و « ينام » له قرب مركز قيادته .. وعندما  
ينولون ذلك لايزنهاور يبعث فى استدعاء المراسل ، ويطلب منه أن يقوم  
بجولة فى الميدان .. يعود بعدها الى لقائه لمدة نصف ساعة فقط !!

وبعد أن يقوم المراسل بهذه الجولة التى استمرت أكثر من يوم ،  
وبرفقته بعض رجال الأمن يواصل .. الى مركز القيادة ، والى مكتب  
ايزنهاور نفسه ..

ولكن القائد العسكرى يفاجئ المراسل بسؤال عما شاهده ،  
ويواصل سؤاله عن انطباعاته الخاصة بخطوط الدفاع وتوزيع الأسلحة  
والكتائب ، والمعسكرات المختلفة ، كما لم ينس أن يسأله عن روح  
الجنود المعنوية ، ودرجة ارتفاعها ، وعن درجة انتظامهم والطعام الذى  
يقدم لهم ، ونوعيته ، ورأيه بشأنه ..

سأله ايزنهاور عن ذلك كله ، وجلس هو يستمع ، واجابات المراسل  
تترى اجابة فى اثر أخرى ، دون أن يترك له فرصة واحدة ، ليقدم سؤالاً  
واحداً .. حتى أخذ ينظر فى ساعته ثم دخل أحد رجاله من العسكريين  
ليعلن عن انتهاء المقابلة .. التى قام فيها ايزنهاور بدور الصحفي .. وخرج  
المراسل من باب مكتبه وهو يضرب كفا بكف .. فقد خرج كما  
دخل تماما !!

وصحيح أن الموقف لم يكن كذلك دائما ، فقد قابل الرجل عددا من  
الصحفيين ، وفازوا منه بأحاديث هامة ، ولكن ليس فى جميع الأحوال ..  
ومع مزيد من ابراز الطابع العسكرى المتجهم .. كل ذلك رغم أن تقارير  
المخابرات الحربية نفسها كانت تتحدث بفخر زائد عن احترام المراسلين



الغريبن عامة ، والأمريكيين خاصة ، لشرف مهنتهم ، وعلمهم على صالح بلادهم ، وقيامهم بمسئوليتهم كاملة .. بحيث لم يتسرب الى أعمدة الصحف أو الى أمواج الأثير ، ما يفيد منه الأعداء ، من أخبار عسكرية ، مهما تكن درجة أهميتها .. مما كان يثير غضب المخابرات الألمانية ومحلى أخبار العدو - الحلفاء - كثيرا .. حتى كان ذلك مثار شكوى هتلر نفسه .

ولكن .. على الرغم من ذلك كله ، فقد كان الرجل يرى أن العسكرية شيء .. وأن الصحافة والاذاعة والدعاية أشياء أخرى .. وأنه اذا دخلت هذه الوسائل من الباب ، خرجت العسكرية بكل خطتها ، وتحفظاتها وأسرارها وعالمها .. من الشباك .

كان ذلك هو الموقف الأول للرجل ، وكانت هذه بعض صورته - وهى كثيرة - ومن هنا فقد أثار قرار الرجل بترشيح نفسه لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية عن الحزب الجمهورى ضجة اعلامية كبيرة .. فقد كان رجال الاعلام عامة ، والصحافة خاصة ، يعرفون أن فرصته للفوز بهذا المنصب كبيرة ، ومن ثم فقد كانوا يخافون من استئثار الطابع العسكرى له ، فى التعامل معهم .. وبنفس الأساليب ، وحيث يعنى ذلك وضع تقاليد جديدة لعلاقة الرئيس بالصحافة لا شك أنها ستحد من نشاطهم كثيرا .. وقد تؤثر حتى على الرؤساء من بعده ، وأول ما كانوا يخشونه منه ، أن يعمد الى الغاء المؤتمر الصحفى الأسبوعى الذى كان الرؤساء يتابعون عقده بالبيت الأبيض ، والذى كان يحضره العديد من المحررين ، ويعتبر هو ترمومتر العلاقة بين الرئيس من جانب ، والصحافة الأمريكية من جانب آخر ..

نجح الرجل ، وأصبح رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية عن الحزب الجمهورى .

وعلى الرغم من أن بعض الصحفيين قد تحدث عن مخاوفه بصوت عال ، وأن عددا من المراسلين راحوا يتحدثون عن ذكرياتهم ، والرجل العابس الوجه ، القاسى الملامح يواجههم ، أو يحاول أن يقوم هو بدور الصحفي ، أو يردد أقواله عن الصلة المفقودة - فى رأيه - بين العسكرية والاعلام ، أو بين القادة والصحفيين .. على الرغم من ذلك كله فقد بدأ الرجل بداية طيبة مع هؤلاء من « الفضوليين » اذ جاء الى قاعة المؤتمر الصحفى الأول مبكرا عن موعده ، وأخذ فى مداعبة عدد من مراسلى البيت الأبيض ، وكان بعضهم من الذين عملوا معه فى ميادين المعارك ، كما كان يبدو وجهه مبتسما وكأنه ما يزال يخوض معركته الانتخابية ، بل وأكثر من ذلك ، فانه أعلن أكثر من مرة عن ترحيبه بأى سؤال يقدمه له أى منهم ، خلال الوقت المخصص للمؤتمر الصحفى ، أو أى وقت آخر .. بل لقد أضاف الرجل الى وقت المؤتمر عدة دقائق أخرى ، وهكذا .

وأسقط فى أيدى المحررين ومراسلى البيت الأبيض ، وبلغت دهشتهم مداها ، من هذا الأسلوب الجديد تماما على الرجل ، والذي لم يكن أحدهم يعرفه عنه ، أو يتوقعه .

ولكن الرجل الذى كان قد قرر أن يغير من أسلوبه العسكرى ، وأن يحرص على أن يكون صديقا للصحافة والصحفيين ، قدر استطاعته ، كان قد أعد لهم أكثر من مفاجأة أخرى .. وكان من بين هذه المفاجآت على سبيل المثال لا الحصر :

- دعوة عدد كبير من المراسلين الى مصاحبته فى بعض رحلاته .
- اضافة عدد آخر من أجهزة وخطوط التليفون فى الحجرة المجاورة لقاعة المؤتمرات والتي تتصل مباشرة بالصحف ووكالات الأنباء .
- عدم رفض رغبة أى صحفى فى مقابلته قبل أو بعد انتهاء المؤتمر .

— دعوة المراسلين الى بعض المؤتمرات التي يرى الرئيس عقدها في أوقات أخرى غير الوقت الأسبوعي المحدد لها — ما بين العاشرة والعاشر والنصف من صباح كل أربعاء — ويتم ذلك عن طريق اشعارهم بمواعيد المؤتمرات الجديدة أو الاستثنائية بطرق كريمة ولطيفة .

— ارسال صور من البيانات التي يقوم الرئيس بالقائها والمعدة سابقا ، حتى دور الصحف والمجلات وأبواب وكالات الأنباء بالإضافة الى ما يقدم لهؤلاء أثناء عقد المؤتمرات نفسها .

ولكن ، هل كانت هذه الاجراءات الجديدة كلها كافية لتغيير صورة الرجل الأولى في أذهان هؤلاء ؟ ولرسم هذه الصورة الجديدة التي كان حرصه — كما يبدو — بالغاً على أن تستقر في مخيلتهم ؟ ..

الواقع أن الصحفيين قد انقسموا في مدى استجابتهم لاجراءات ايزنهاور الجديدة ، وأسلوبه الجديد في التعامل مع الصحافة .. فالبعض منهم كان يرى في ذلك تغييراً جذرياً ، وسوف يستمر الرئيس عليه ، طوال فترة حكمه ، بل وسوف يضيف اليه جديداً مما يساعد على دعم هذه الصداقة الوليدة بينه وبين مرآة الرأي الأمريكي والعالمي ، والبعض الآخر كان يرى أنها مجرد اجراءات خاصة بأسابيع وشهور الرئاسة الأولى ، وأنها تصرفات وقتية فقط لا يلبث بعدها الرجل أن يعود الى مواقفه الأولى ، والى عسكريته الجافة ، فقد ولد الرجل عسكرياً .. وسرف يموت عسكرياً .

ولكن ، من الغريب أن يقدم الرئيس بتصرفاته التي تلت الأسابيع الأولى لحكمه ، ما يؤكد الرأيين معا .. بل ما تسبب بعد ذلك في مزيد من الجيرة لهؤلاء الذين راحوا يتابعون علاقته بالجهاز الصحفي ..

فبينما نجد أن ايزنهاور يفعل كل ذلك ، ويقدم هذه التسهيلات الجديدة للصحفيين ، بل وبينما نجده يقدم أكثر منها ، ومما لم يفعله رئيس آخر من قبله ومثال ذلك موافقته على تسجيل هذه المؤتمرات على أشرطة

وتقديمها الى الصحف والاذاعات التي تريدها .. كما وافق كذلك على أن تصورها محطات التلفزيون .. في أفلام خاصة .. ولكن حتى هذه أيضا وجدت من يقول بأن الرئيس قام بتحويل المؤتمرات الصحفية ذات التقاليد انراسخة ، الى استعراضات تليفزيونية واذاعية ، خاصة عندما وافق على اذاعتها أو بثها على الهواء مباشرة .. بل راح هؤلاء يضيفون الى هذا الموقف من الرئيس عدة مواقف أخرى عدوها عليه لا له ، ومن ذلك مثلا أنه بادر ففضى من الأساس على أسلوب المعاملة الخاصة لصحفيين معينين ، مما أثار جدلا كبيرا ، لأن هؤلاء كانوا يتمتعون بهذه الحقوق منذ عهد الرئيس « ترومان » .. ومن بينها كذلك ما صرح به ذات مرة داخل اجتماع مجلس الوزراء .. حيث قال بالحرف الواحد :

« ان أى شخص يكون لديه وقت للاستماع الى المعلقين أو قراءة مقالات أصحاب الأعمدة لا يكون لديه كما هو واضح عمل يشغله » (١) ..

كذلك أخذ عليه هؤلاء ما حدث في مؤتمر الحزب الجمهورى عندما أنحى باللائمة على الصحافة الأمريكية ، بسبب الطريقة التي كانت تغطي بها شئون الحزب بل وبالنسبة لهذه النقطة بالذات فإن أكثر الصحفيين الأمريكيين ، بل وأكثر الأمريكيين أنفسهم ، كانوا يرون عكس ذلك تماما . ومن ثم فإن الصحافة الامريكية - فى رأى هؤلاء - كانت مشايعة له بشدة ، رغم تخوف رجالها منه ، كما أنها ساعدت على نجاح كثير من الرؤساء الجمهوريين .

وربما من أجل هذا الغموض نفسه الذى غلف علاقة الرجل بالصحافة ، فقد حدث خلاف كبير بين عدد من المؤرخين ، البعض - كما حدث بالنسبة للصحفيين أنفسهم - يتحدث عن الوجه الأول لصورة الرجل ، أو عن نصفه « العسكرى » ، والبعض الآخر يتحدث عن الوجه الثانى أو عن نصفه « الصحفى » مما يجعلنى أكرر ذلك التساؤل الذى سبق أن قدمته فى كتابى « فن الخبر » عند حديثى عن هذه المؤتمرات

نفسها .. فهل كان لهذا الرجل - حقا - موقف شعبى بسيط من الصحافة  
يبدو خلال مؤتمراته ولقاءاته ، يخالف تماما موقفه الرسمى منها ؟  
لقد قدمت مؤلفة وصحفية أمريكية - دوان برادلى - تفسيرها  
لذاك عندما كتبت تقول عن علاقة الرؤساء الأمريكيين بالصحافة ، وهو  
تفسير معقول ، ومقبول أيضا :

« والخصومة الشخصية والسياسية تكمن وراء الكثير من نقد  
الصحف للحكومة ، فرئيس التحرير الديمقراطي الذى كان يعارض بشدة  
أحد المرشحين للرئاسة ، ولكنه نجح رغم ذلك لن يغفل أخطائه الكثيرة  
التي يرتكبها وهو فى السلطة ، ورئيس التحرير الجمهورى الذى يؤمن  
أن الحكومة الديمقراطية تدير دولة رفاهية سيظل يبرز هذا باستمرار  
لقرائه ..

وفضلا عن ذلك ، يوجد بالفعل خلاف كبير حقيقى فى رأى بين  
الحكومة الأمريكية والصحافة الأمريكية ، فالحكومة تعتبر من أهم  
مصادر الاخبار التي قد تهم أو ينبغى أن تهم كافة المواطنين ومع ذلك فإن  
الحكومة جهاز بالغ التعقيد والصعوبة ، وقد لا يكون من المفيد فى جميع  
الأحوال أن يذاع كل شئ يقال أو يعمل فى واشنطن عن طريق الصحافة ..  
وكثيرا ما يتمركز الصدام حول الرئيس ، لأن الرئيس هو رأس  
الحكومة ، وقد حاول بعض الرؤساء ترويض القوة الجبارة للصحافة ،  
وحاول البعض الآخر هزيمتها فى معركة ، ولكن لم يستطع أحد أن يحقق  
نجاحا كاملا .. كما لم يفشل أحد فشلا كاملا » (٢) ..

.. أقول ربما يفسر ذلك آراء الجانبين ، وحيرة الدارسين والمؤرخين ،  
بين وجهى صورة الرجل ، أو بين نصفه العسكرى ، ونصفه الجماهيرى  
الصحفى .. بين المارشال القاسى الملامح ، المتجهم الوجه ، وبين « آيك »  
الدلينف ، بابتسامته العريضة ، وحبه للمحررين وقلبه الكبير الذى وسع

عشرات منهم ، كما وسع أيضا سائقته الخاصة : ل . كاي سمر باي (٣).  
التي تحدثت الصحف عن غرامه الكبير بها ... ويالها من قصة مثيرة للرئيس.  
القائد العسكرى .. والعاشق أيضا ..

ولكنها الصحافة .. التي ما تزال تتحدث عن هذه العلاقة  
الغرامية ، حتى عندما عقدت زوجته ( مامي ) مؤتمرا صحفيا هو  
الوحيد في حياتها من نوعه لتتفى فيه هذه العلاقة ، فان الصحافة أخرجت  
لها لسانها .. وقالت : ولو .. لقد أحب الرجل سائقته فعلا والى درجة  
العشق !!

---

(١) روان برادلى ترجمة: محمود سليمة : « الجريدة ومكانها في المجتمع الديمقراطي »

(٢) المصدر السابق ، ص : ٨٢ ، ٨٣ .

Lt kay summersby (٣)

جون كيندي :

---

السلام والتقدم  
بطريقة صحفية

---

جون كنيدي :

السلم والتقدم

بطريقة صحفية

كثيرة هي البدايات التي يمكن أن تكون مقدمة للحديث عن هذا الرجل .

بل ان الكاتب نفسه ليقع في حيرة شديدة ، عند محاولته اختيار مقدمة ذات دلالة تعبر في دقة ووضوح عن حياة هذا الرجل القصيرة للغاية ، الحافلة جدا ، وأيضا عن قصة اغتياله التي شغلت الرأي العام العالمي ، وما تزال تشغله ، حتى الآن .

فهل نبدأ بتلك القصة ، وبخبر الاغتيال الذي نشرته جميع صحف العالم ، وأعلنته اذاعاته ، ومحطات تليفزيونه ، ومن ثم أصبح من أهم الدروس الصحفية ، التي يقدمها الأساتذة والمترسون ، في أقسام الاعلام وكتلياته ومعاهده ومدارس الصحافة .. في العالم كله ؟ .. نعم ان قصة الاغتيال هي قصة صحفية فريدة في نوعها ، وان السرعة التي انتقل بها الخبر الى العالم كله ، وأساليب تغطية وسائل الاعلام له ، والتقارير والقصص والتحقيقات والموضوعات الاخبارية والمقالات ، وحتى الصور انتى نجح البعض في التقاطها .. جميعها جديرة بأن تدرس ، كما حظيت بعناية تستحقها عند هؤلاء .. فهل نبدأ بها ؟

أم نبدأ بقصة انتخابه في ظروف بالغة الصعوبة ، ولا يحسده عليها أحد ؟



أم نبدأ ببرامجه السياسية والاقتصادية والتنموية والانسانية التى  
ما تزال حديث المجتمعات ، ويحاول عدد من رؤساء الدول تقليدها ، بشكل  
أو بآخر ، وبانعكاساتها الصحفية وسيطرتها على الصفحات والسطور ؟  
أم نقصر هنا ، فى حديثنا عنه ، على علاقته بالصحافة والصحفيين ،  
وهو أيضا - وكما سنرى - يعتبر موضوعا خصباً للغاية ؟

ويالها من مقدمات ، أو استهلالات محيرة حقاً ، وصعبة أيضاً ،  
وليس أكثر منها صعوبة سوى محاولة الجمع بين جميع هذه المعالم المتصلة  
بها .. فى اطار هذه السطور .

ذلك لأن الرجل - جون كينيدى - ومنذ وقع اختيار الشعب  
الأمريكى عليه فى نوفمبر ١٩٦٠ ، وحتى انطلقت تغتاله رصاصات الثانى  
والعشرين من نوفمبر ١٩٦٣ ، بل وبعد هذا التاريخ أيضاً ، وهو يسرق  
الكاميرا ، والأضواء ، والسطور ، والكلمات ، والخطب ، والحروف ،  
والنقط أيضاً .

لقد استقبلت الصحافة العالمية عامة والأمريكية خاصة أخبار اختياره  
للرئاسة بكلمات تعبر عن الحذر ، والقلق ، والخوف على مستقبل البلاد ،  
والسلام العالمى ، بل لم يتورع بعض الصحفيين عن اعلان شكوكه التامة  
فى امكانية نجاح هذا الرجل فى قيادة القارب الأمريكى .. وكان هؤلاء  
يجدون فى المناخ العام السائد ، بعض أسباب تخوفهم ..

فالرجل ، هو أصغر رئيس يتم انتخابه فى تاريخ الولايات المتحدة  
الأمريكية ، وهو لم يتعد بعد مرحلة الشباب ، كما أن فوزه على منافسه  
الجمهورى ريتشارد نيكسون - نائب الرئيس السابق ايزنهاور - قد  
تم بأغلبية ضئيلة من الأصوات ، وعندما ظهرا معا على شاشة التلفزيون  
الأمريكى فى سلسلة من المناظرات تحدث لأول مرة على هذه الشاشة ، كان  
من الواضح أن الرجل محدود الخبرة وأن منافسه يتفوق عليه بما اكتسبه

خلال السنوات الثماني التي قضاها في حكومة ايزنهاور .. وحتى عندما عادت الصحف الى مراكز معلوماتها لتحدثها عن تاريخ الرجل وجهوده ، لم نجب أجهزتها بأكثر من أنه كان مواطنا أمريكيا نصف مشهور وعضوا غاديا بمجلس الشيوخ باستثناء بعض الأحاديث الصحفية التي قدمته بينما جاءت اجابة العقل الاليكترونى في صحيفة « نيويورك تايمز » مخيبة للأمال .. إذ راحت تقدم الأرقام العديدة التي تؤكد حالة الرخاء الذي حصلت عليه البلاد في عهد الجمهوريين ..

وزاد من مشاعر الخوف والقلق ، تلك التي كانت تتردد على الصفحات ، وتنتقل الى شفاه الأمريكيين وكعادتهم - بسرعة البرق - أن الرجل قد اختير لقيادة القارب الأمريكى وسط بحر متلاطم الأمواج هالتوتر الدولى على أشده ، والروس قد أسقطوا طائرة الاستطلاع الأمريكية : ( يو ٢ ) وأسروا قائدها ، ووضعوا الولايات المتحدة الأمريكية في شخصه داخل قفص الاتهام ، وقاموا بمحاكمتها على ذمته ، أو بمعرفته ، وفيدل كاسترو ينتصر على باتيستا في كوبا ، ويتحول الى « شوكة » شيوعية مناوئة للولايات المتحدة ، والوجود السوفييتى يتزايد في دول أفريقيا المحررة بمعرفة عبد الناصر وسباق الفضاء يتحول الى سباق تسلح رهيب ، وخطر نشوب حرب هيدروجينية يبدو محتملا ، حتى بسبب خطأ في التقدير أو في حسابات العقول الاليكترونية أو تشابك بعض أسلاكها ، والروس يرفضون ، ويعقدون محادثات نزع السلاح ، وخروشوف يستثمر ذلك كله لصالحه ، ولصالح بلاده .

فهل يستطيع الشاب الطموح ، بوجهه « التصويرى » أن يواجه ذلك كله ؟ وهل يمكن لمثل هذه الابتسامة العريضة التي يوجهها دائما الى المندوبين والعدسات ، أن تفيد كثيرا في حل مثل هذه المشكلات ، أم ينتصر الزأى الذى تردده صحافة الجمهوريين ، والقبائل بأن توزيع

الابتسامات يصلح فقط للجلوس أمام الكاميرا .. ولكن ليس أمام الدب الروسي، القوى، الخبير المجرب، الداهية، خروشوف ..

ولقد كان من المنتظر ازاء ذلك كله، أن يبادر الرجل وفي مواجهة هذه الأنكار والآراء كلها الى تعيين عدد من الوزراء والمستشارين « المخضرمين » والذين يعطى الشعر الأبيض رؤوسهم أو — على الأقل — ممن عرفوا بخبراتهم في مجالات الاحتكاك والتوتر السابقة .. ولكن، ضاعف من تخوف الاعلام الأمريكى عامة، والصحفى خاصة أن الرجل قد قرر المضى في الاتجاه المعاكس تماما، أو المخالف لهذه الآراء والأفكار نفسها، فهو يصرح في خطاب تنصيبه وبحماس الشباب قائلا: « لقد تم تسليم الشعلة الى جيل جديد من الأمريكيين » (١) .. وكان له ذلك حقا حيث قام باختيار أعضاء مجلس وزرائه، ومستشاريه ومعاونيه .. جميعهم من الشباب الذى بدأ يهيمن على مقاليد الأمور والمناصب المختلفة في أكثر أجهزة الدولة ..

لقد بدا وكأن الرجل لا يلقى بالا الى هذه الأقوال والأفكار كلها .. بل وكأنه يريد أن يثبت، بالقول وبالفعل عدم صحتها .. ولكنه، من زاوية أخرى بدأ يلوى عنق الصحافة اليه ويجبر الأضواء على أن تتقدم نحوه، ثم تتركز عليه، مع كل يوم يمر من أيام حكمه .. وكأنه يقول لرجال السلطة الرابعة في بلاده .. لقد تسرعتم في الحكم، وما كان لكم أن تفعلوا ذلك قالها الرجل بأسلوبه الخاص، وطريقته المعينة التى عبرت عنها علاقته بصحافة بلاده، وكانت هذه بعض صورها ..

لقد بدأ الرجل فترة حكمه والخلاف ناشب بين الصحف الأمريكية على حقيقة موقف سلفه — ايزنهاور — من الصحافة، وذلك على الرغم من الاجراءات العديدة التى قام بها على سبيل الاقتراب من الصحافة والصحفيين، والغاء صورته العسكرية، وتصرفاته أثناء الحرب — من أذهانهم .. كما بدأها أيضا ولسان حال أكثر الصحف، خاصة صحف

الجمهوريين تهاجم صغر سنه وقلة خبرته .. ولكنه منذ بدأ وهو يلفت الأنظار اليه بكثرة قراءته لها ، ومتابعته الدقيقة لموادها ومناقشته لوزرائه ومستشارى البيت الأبيض وأعوانه ، بل وزوجته جاكلين ، تلك المناقشة التى تتناول ما تأتى به الصحف عن هؤلاء ، وما تكتبه من أخبارهم ، أو تنقله على ألسنتهم ، حتى عرف عنه أنه يقرأ الصحف بانتظام أكثر من أى رئيس آخر من أسلافه ، بما فى ذلك هؤلاء الذين كانوا يعملون بها فى بدء حياتهم ، كما كان يستوى عنده فى مجالى القراءة والمتابعة صحف الديمقراطيين وصحف الجمهوريين معا ..

ويبدو أن هذه المتابعة الدقيقة للمادة الصحفية قد أطلعته على أهمية الاقتراب من هؤلاء ، ووضعت يده على أسس هذا الاقتراب ، كما عادت بذكرته الى أيام عضويته لمجلس الشيوخ ، وصداقته لعدد من مندوبى ومراسلى الصحف الأمريكية ، وحيث كان هؤلاء يبدون تعاوناً كبيراً معه ، كما بادلهم هو هذا التعاون نفسه عن طريقه تصريحاته العديدة ، وإعلان رأيه فى المسائل الهامة التى كانت تعرض للبلاد .. وإلى حد الادلاء بالأحاديث الصحفية الكاملة والعديدة ، والتى كانت هى أول ما لفت الأنظار الى نشاطه .. وإلى اسمه نصف المعروف فى هذا الوقت ..

واذن فالصحافة تستطيع أن تقدم له الكثير ، ولبرامجه الطموحة ، فى السلام والتقدم فليمد لها يد التعاون ، وليبحث عن أصدقائه القدامى من مندوبى ومراسلى مجلس الشيوخ ، وليتخذ منهم قواعد الى عقل وقلب زملائهم .. وإلى التأييد فوق الصفحات .. هذا كله من جهة ، ومن جهة أخرى ليدع أعماله تتحدث معلنة عن نفسها ، ولتجبر هى العدسات والأضواء على أن تتحول اليها .. رضيت بذلك أم كرهت .

وقد رأى الرجل أن تكون خطواته الثالثة - بعد القراءة الدقيقة والمتابعة والاتجاه الى الصحفيين الأصدقاء - هى تلك الخطوة التنظيمية بنقل قاعة المؤتمرات الصحفية للرئيس من قاعة الاتفاقية الهندية القديمة

الى قاعة أخرى ضخمة بوزارة الخارجية ، تتسع لأكثر من ضعف عدد الصحفيين الذين كانوا يحضرون في القاعة القديمة ، وبذلك وسع من قاعدة الحضور ، وأمكن لحوالي خمسمائة صحفي متابعة هذه المؤتمرات الصحفية للرئيس كيندى ، كما أمكن بذلك أن يحضرها رجال الاذاعة والتلفزيون بأجهزتهم العديدة ، ومصادر الأضواء ، والاشتراك في تبادل الأسئلة والاجابات ، واذاعة ذلك كله ، وبثه على الهواء مباشرة .

كذلك ، وتدعيما لهذه العلاقة الجديدة التي كان الرجل يوالى اقامة جسورها ، فانه بادر بتعيين عدد كبير من شباب المحررين والاذاعيين ورجال العلاقات العامة .. ليمثل هؤلاء فريق عمل متكامل في حقل العلاقات الصحفية ، يوالى العمل في اعداد هذه المؤتمرات ، وتجهيز البيانات ، وتسهيل المهام الصحفية ، والاتصال بأجهزة الاعلام وترتيب وعمل اللقاءات الهامة ، واعداد زيارات الاعلاميين للبيت الأبيض ، حتى أصبح اجموع العاملين بهذا المجال بالبيت الأبيض أكثر منه بالنسبة لاي رئيس آخر . كما تبع ذلك مضاعفة مكاتب الصحفيين ، وأجهزة اتصالهم بصحفهم داخل واشنطن وخارجها وداخل الولايات المتحدة وخارجها ، خدمة لمراسلي الصحف ووكالات الأنباء العالمية بالعاصمة الأمريكية .

وقد لفتت هذه الاتجاهات الكندية كلها أنظار الصحف والمجلات حتى أنه في ٢ أبريل عام ١٩٦٢ نشرت مجلة « يو اس نيوز أندويرلد ريبورت » (٢) تقريراً صحفياً عن صورة الرئيس - كيندى - وكيف كان يجرى بناؤها ، تحدث عن الوسائل التي كان يلجأ اليها الرجل في خطب ود الصحفيين ، ومن بينها بالاضافة الى ذلك كله أنه كان يوافق على اجراء المقابلات الخاصة وتقديم الأحاديث لعدد منهم ، كما كان رؤساء التحرير وأصحاب الصحف يدعون من آن لآخر ، وأحيانا بانتظام في سلسلة من الولائم بالبيت الأبيض ، كما كان يدعى اليها كذلك من ينوب عن مراسلي الصحف الأجنبية ووكالات الأنباء والصحف الامريكية من خارج واشنطن

العاصمة .. كما دعى لحضور الولايم أيضا بعض ممثلى الصحافة فى أنحاء البلاد .. كما لم تقتصر تلك الولايم على « مراسلى واشنطن » أو مندوبى الصحف أو وكالات الأنباء من القائمين بالعمل الاخبارى وحده ، وإنما كان يدعى لحضورها كتاب الأعمدة والمقالات وبعض المعلقين والمصورين .. ومن العجيب ، أن عملية استطلاع قامت بأجرائها بعض معاهد الرأى العام فى الولايات المتحدة الأمريكية أظهرت أن رجال الاعلام كانوا يحتلون دائما ولمدة عام كامل ، مكانا مرموقا فى قائمة الداخلين من أبواب البيت الأبيض الأمريكى ، أو ضيوف الرئيس كنيدي ، أو ضيوف زوجته ، وبعباية احصائية وجد أن « واحدا فى المتوسط من كل خمسة ضيوف يدعون الى البيت الأبيض ، لابد وأن يكون كاتباً أو صحفياً » (٣) ..

.. ويجمع الخبراء على أن هذه الأساليب لم تكن وحدها التى نجح الرجل عن طريقها فى أن يصبح واحدا من أقوى الرؤساء فى التاريخ الأمريكى ، وأن يكتسب على الفور مكانة كبيرة ، وشعبية هائلة ، بل انه أضاف إليها ما ظهر من مواهبه العديدة فى قوة التأثير والذكاء وسحر الكلمة المختارة بعناية شديدة وحسن الصورة .. أضاف الى ذلك كله أنه كان يطلب من وزرائه ومستشاريه الاهتمام برجال الاعلام ، كما كان السكرتيرون الصحفيون لحكام الولايات يدعون الى البيت الأبيض وأندية الصحافة لعمل المقابلات الشخصية حول أهداف الرئاسة وممارستها .. كما كان هو نفسه يصحب وعلى طائرته الخاصة أكبر عدد ممكن من الصحفيين ، خلال رحلاته السياسية أو السياحية ..

لملى أن من الأهمية الاشارة هنا الى أن أكبر ما كان يساند الرجل فى اقامة جسور هذه العلاقة ، ودعمها ، وفرض حبه واحترامه ذلك العمل الكبير الذى كان يقدمه ، والذي كان يحس به المواطن الأمريكى العادى .. فكان من بينه انجازاته تطوير مرافق البلاد والبدء فى انشاء صناعات جديدة وتوفير التدريب بأجر للعمال العاطلين ومنح الولايات سلطة جديدة

لتوسيع نطاق التأمين ضد البطالة ، واتساع دائرة التأمين الاجتماعي ، وتخفيض سن منح المعاش للأمريكي إلى ٦٢ سنة فقط بدلا من ٦٥ وزيادة الحد الأدنى للأجور ، وتكثيف الجهود نحو القضاء على التفرقة العنصرية، وحيث أعلن بالحرف الواحد وفي خطاب أذيع من البيت الأبيض الى الشعب الأمريكي « أنه قد أصبح عليه وعلى الأمة الأمريكية التزاما أدبيا بأن تضمن المساواة الكاملة للزواج الأمريكيين » ثم تقدمه الى الكونغرس بمشروع قانون يهدف الى القضاء على التفرقة في التصويت ... وذلك بالإضافة الى مواقف التحدى الخارجية العديدة التي واجهها الرجل بشجاعة وحكمة معا ، ومن أبرزها أزمة اقامة الاتحاد السوفيتي لقواعد الصواريخ الهجومية في الأراضي الكويتية ، والتي يستطيع الروس منها أن يوجهوا تهديدا نوويا الى الولايات المتحدة الأمريكية ، ودول أمريكا اللاتينية الحليفة .. والتي انتهت بموافقة الروس على فك هذه القواعد ونقلها الى بلادهم تحت رقابة هيئة الأمم المتحدة .. وحيث عد ذلك انتصارا كبيرا للرجل ، في أقوى مواجهة له مع الدب الروسى .. وذلك كله بالإضافة الى برامج المعونة التي قدمها لعدد من دول العالم، والتي ساهمت بقدر كبير في تحسين ملامح الصورة الأمريكية في هذه البلاد ..

لقد نجح الرجل بكل ذلك ، وأصبح صديق الصحفيين الأول في الولايات المتحدة الأمريكية ، بل كانت معاملته لهم ، ورعايته ، وحده ، مما يحسد عليه هؤلاء ، أو يحسدهم عليها الصحفيون في أنحاء المعمورة . ولكن يبدو أن رجال الصحافة عامة ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية خاصة ، يطالبون دائما بالمزيد من التسهيلات ، والجسور ، فاذا حصلوا على المزيد طالبوا بالجديد ، فاذا نالوا الجديد بحثوا عن غيره كما يبدو كذلك أن هؤلاء لا يرضون بغير العجب العجيب .. أو أن رضاهم قد أصبح شيئا من المستحيلات أضف الى ذلك كله تأويلاتهم العديدة لمواقف الرجل ومحاولة البحث عن أخطائه وتسقطها ، وانتهاز الفرص لاثهار ذلك .. وبأكثر من أسلوب .

— فالرحلات التى يصحبهم فيها الرئيس ، وعلى طائرته الخاصة الفخمة جدا .. هى رحلات موجهة وتأخذ عندهم صورة من صور تقييد الأنباء وعدم انسيابها الكامل ، فى حرية مطلقة .

— والانتقال بالمؤتمرات الى القاعة الكبرى .. عند البعض يعد مظهرا من مظاهر النجومية ، وإرضاء الذات .. وحماس الشباب .. وانبهارهم بالأضواء .

— وتسجيل المؤتمر الصحفى اذاعيا وتليفزيونيا واذاعته وبثه على الهواء تماما كما كان فى عهد سلفه ايزنهاور مجرد استعراض تليفزيونى لا مبرر له ، الا محاولة زيادة شعبية الرئيس ، وحتى تصل ابتساماته .. الى كل بيت أمريكى .

--- وحتى هؤلاء الذين فازوا بأحاديث خاصة منه ، وحققوا عن طريقها أكثر من سبق صحفى ، وجد من يقول أنهم من الذين كانوا يخشى جانبهم ، ويعمل على كسب ودهم ، وأما غيرهم فقد كانت الأبواب توضع من دونهم ، وكذا مصادر الأخبار ، كما كانوا يعاقبون أيضا عن طريق نقد أخبارهم ، ورواياتهم الاخبارية ..

--- كذلك فان قدامى الصحفيين — خاصة من مراسلى البيت الأبيض — كانت النيرة تدخل الى قلوبهم وهم يشاهدون الرئيس يحتفى بعشرات من الوجوه الصحفية الجديدة ، بل ويقرب هؤلاء منه الى حد الصداقة ، كما كان هؤلاء يرون فى ذلك خطرا فادحا على حيده الأنباء وموضوعيتها استنادا الى هذه العلاقة الحسنة ، والصداقة المتينة .

— وبالمثل ، فان متابعة الرئيس لما ينشر فى الصحف ، ومناقشته لهم فى أسلوب النشر ، ومحتوى المادة المنشورة ، والى حد تناوله لتفاصيلها ، عده بعض هؤلاء نوعا من التوجيه لهم ، والرقابة المستترة التى يمارسها هو شخصيا ، وبأسلوب غير مباشر .. والدليل على ذلك أن كيندى كان



ينح لهم أن يعرفوا ما يفكر فيه بشأن طريقة تناولهم لخبر من الأخبار ،  
وأسلوب ذلك تناول .. مما يعد من قبيل هذا التوجيه ، أو الرقابة  
غير المباشرة .

ومن أجل ذلك كله ، فقد كانت تقع أحيانا بين الرئيس وبين أعوانه  
ومستشاريه من جانب وبين الصحفيين من جانب آخر بعض « المناوشات »  
والخلافات التي كانت تنجم عن فهم أو سوء فهم .. ولكنها على أية  
حال لم تصل الى درجة التصادم الكامل ، الا مرة واحدة فقط ، وبشأن  
أزمة قواعد الصواريخ الكويتية نفسها .

فيعد أن امتدحت الصحف العالمية عامة والأمريكية خاصة ، وبالأجماع  
بالنسبة الأخيرة ، مسلكه حيال هذه الأزمة التي كادت تقضى الى حرب  
عالمية ثالثة .. وكذا بعد أن بدأت تغير نظرتها اليه تثيرا كاملا .. اذ  
خرجت بعض الصحف لتقول أن أهم المعلومات المتصلة بهذه الأزمة  
نفسها وبتفصيلاتها السديدة ، ومواقفها العصبية قد حُجبت عن الصحافة  
الأمريكية .. وزاد من حدة الأمر اعتراف مساعد وزير الدفاع الأمريكي  
- آرثر سيلفستر - بأن شيئا من تقييد الأنباء والسيطرة علينا قد  
حدث فعلا أثناء هذه الأزمة .. وأن النجاح الذي أحرزه الأمريكيون  
حيالها يبرر هذه الاجراءات ..

وانتهجت الأزمة كاملة ، وجن جنون الصحافة ، وأخانت توجه  
اللوم ، والنقد ، والهجوم الى الرئيس كيندي وادارته ، وقالت صحيفة  
« واشنطن ايكونوميك ستار » في مقال افتتاحي لها ، وذلك على سبيل  
المثال لا الحصر : « لم يسمح لأى مراسل صحفي أن يكون في الموقع ،  
وحُجبت عن الجميع التسهيلات التقليدية التي كانت تقدم عادة لهذا  
الغرض لأسباب واضحة الزيف ، وهكذا فإن مستر سيلفستر وحاشيته ،  
ونحن واثقون أنهم كانوا ينفذون الأوامر كانوا يتحكمون في كل

ما ينشر .. « (٤) الى أن قالت الصحيفة : « وربما فات مستر سيلفستر نتيجة واحدة محتملة من نتائج الأساليب التي استخدمناها - على حد قوله - ألا وهي أنه وأن رؤساءه قد أصبحوا من الآن فصاعدا محل شك .. فما يقولون قد يكون هو الحقيقة ، ولكن هذه الحقيقة سوف تقبل منهم ممزوجة بحجة من ملح الشك .. » (٥)

كما نشر « آرثر روك » مقالا بمجلة « فورتشن » (٦) ضمنه نقدا شديدا لهذا التقييد للأخبار ، وسخر فيه من تلك الاجراءات .. ثم رأى في نهايته أن يوجه اللوم الى الصحافة نفسها التي سمحت في تغطيتها لأنباء أزمة الصواريخ .. أن تخضع للتأثير .. كما نشرت مقالات أخرى عديدة تناول هذا الموضوع نفسه ، بأكثر من أسلوب .

حتى كان يوم الثاني والعشرين من نوفمبر ١٩٦٣ .. وعلى أرض مدينة دالاس ، بولاية تكساس الأمريكية .. وبين عشرات من الأعوان والمستشارين ، والوزراء ، ومئات من رجال الشرطة والشرطة السرية والمخابرات ، وعلى بعد خطوات قليلة من عشرات من رجال أمن الولاية المشهورين بقبعاتهم ذات الطراز القديم ، والى جانب زوجته ، وجوار جون كونيلى حاكم الولاية القوي .. وبينما الموكب الكبير يتقدم ، اذ انطلقت ثلاث رصاصات لتصيب الرجل في عنقه وجمجمته ، يميل بعدها الى الأمام .. ثم يسقط في مشهد تراجيدي بالغ التأثير .. يصبح بعدها جون كينيدي مانشيتا لصحف العالم كله ، وأول خبر في نشرات الاذاعات .. ودرسا لطلاب الاعلام ، ومدارس الصحافة وهواة التصوير .. ومعاهد الشرطة وخبراء الجريمة أيضا ..

(١) فرانسييس وايتني وآخرون : « موجز التاريخ الامريكى » ص ١٨٤ .

(٢) U.S Newsaworld Report

(٣) روان برادلى ، ترجمه محمود سليمة : « الجريدة ومكانها في المجتمع الديمقراطي »

ص : ٨٠

(٤-٥) المصير السابق ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٦) fortune

## أهم المراجع العربية والمعرية

- ١ — ابراهيم امام — تطور الصحافة الانجليزية في القرنين السابع عشر والثامن عشر — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — ١٩٥٦ .
- ٢ — ابراهيم عبده — تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية — القاهرة — ١٩٤١ .
- ٣ — ابراهيم عبده — الصحافة في الولايات المتحدة الأمريكية — سجل العرب — القاهرة — ١٩٥١ .
- ٤ — ابراهيم عبده — دراسات في الصحافة الأوربية — مطبعة جامعة فؤاد — القاهرة — ١٩٥١ .
- ٥ — ابراهيم عبده — محنة الصحافة وولى النعم — سجل العرب — القاهرة — ١٩٧٨ .
- ٦ — اجلال خليفة — الصحافة — دار الطباعة الحديثة — القاهرة — ١٩٧٦ .
- ٧ — احسان عسكر — نشأة الصحافة السورية — دار النهضة العربية — القاهرة —
- ٨ — أحمد حسين الصاوى — فجر الصحافة في مصر — الهيئة العامة للكتاب — القاهرة — ١٩٧٥ .
- ٩ — أحمد عبد الرحيم مصطفى — علاقة مصر بتركيا في عهد الخديو اسماعيل — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٧ .
- ١٠ — أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع — تاريخ أوربا في العصر الحديث — مترجم عن ه.ا.ل فيشر — دار المعارف — مصر .
- ١١ — اسماعيل مظهر — سير ملهمة من الشرق والغرب — مترجم عن صمويل نينسون ووليام دى ويت — النهضة المصرية — القاهرة .

- ١٢ — بهاء فهمى — أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين — مترجم  
عن ١ . جرانت وهارولد تمبرلى — سجل العرب — القاهرة .
- ١٣ — جورجى زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية — دار الهلال —  
القاهرة — ١٩٣٧ .
- ١٤ — جورجى زيدان — تاريخ مصر الحديث — دار الهلال .
- ١٥ — حسنين عبد القادر — الصحافة كمصدر للتاريخ — مكتبة  
الأنجلو المصرية — القاهرة — ١٩٦٠ .
- ١٦ — خليل صابات — الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم —  
دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٨ .
- ١٧ — شمس الدين الرفاعى — تاريخ الصحافة السورية — دار المعارف  
— مصر — جزءان .
- ١٨ — عبد الحميد البطريق — تاريخ أوروبا الحديث — جامعة الرياض  
— السعودية — ١٩٧٨ .
- ١٩ — عبد الحميد العبادى ومحمد بدران — تاريخ المسألة المصرية —  
مترجم عن تيودور رتشين — لجنة التأليف والترجمة والنشر —  
القاهرة — ١٩٥٠ .
- ٢٠ — عبد العاطى جلال — الصحافة فى العالم — مترجم عن  
ب . دينوايه — وزارة الثقافة — القاهرة .
- ٢١ — عبد الرحمن الرافعى — عصر اسماعيل — مكتبة النهضة المصرية  
— القاهرة — ١٩٤٨ .
- ٢٢ — عبد العزيز توفيق جاويد — موجز تاريخ العالم — مترجم عن  
هـ.ج. ويلز — النهضة المصرية — القاهرة .
- ٢٣ — عبد اللطيف حمزة — أدب المقالة الصحفية فى مصر — ج ١ —  
ج ٢ — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٥٤ .

- ٢٤ — محسن محمد — حكايات صحفية — أخبار اليوم — القاهرة .
- ٢٥ — محمد عبد القادر حاتم — الرأى العام وتأثره بالاعلام والدعاية — مكتبة لبنان — بيروت — ١٩٧٣ .
- ٢٦ — محمد عزة دروزة — تركيا الحديثة — مطبعة الكشف — بيروت — ١٩٤٦ .
- ٢٧ — محمد مصطفى زيادة ومحمد نوفل — نابليون — مترجم عن هريوت فيشر — دار المعارف — مصر .
- ٢٨ — محمد مصطفى غنيم — مخبرو الصحف — مترجم عن دافيد بوتر — دار الكاتب العربى — القاهرة .
- ٢٩ — محمود أدهم — فن الخبر — دار الشعب — القاهرة — ١٩٧٩ .
- ٣٠ — محمود النندور — الاعلام — مترجم عن فرنان ترو — المنشورات العربية — بيروت .
- ٣١ — محمود سمهان — الصحافة — مطبعة الحلبي — القاهرة ١٩٣٩ .
- ٣٢ — محمود محمد سليمة — الجريدة ومكانها فى المجتمع الديمقراطى — مترجم عن دوان برادلى — النهضة العربية — ١٩٧٧ .
- ٣٣ — محمود نجيب أبو الليل — الصحافة الفرنسية فى مصر — القاهرة .
- ٣٤ — مروان الجابرى — الصحافة اليوم — مترجم عن توماس بيرى — . بدران — بيروت — ١٩٦٢ .
- ٣٥ — منير بكر التكريتى — الصحافة العراقية — مطبعة الارشاد — بغداد .



## صدر للمؤلف

- ١ — أنشودة حب — شعر — الدار البيضاء — القاهرة — ١٩٦٣ .
- ٢ — فن الخبر — دار الشعب — القاهرة — ١٩٧٩ .
- ٣ — فن تحرير التحقيق الصحفي — دار الشعب — القاهرة — ١٩٧٩ .
- ٤ — هم والصحافة — دار الشعب — القاهرة — ١٩٨٠ .

## تحت الطبع

- ١ — تحرير الأخبار الصحفية .
- ٢ — دراسات في الصحافة المصرية .
- ٣ — فن الحديث الصحفي .





## فهرس الكتاب

صفحة

٥	نقد	□□
١٠	يوليوس قيصر: « صحيفة كاملة من ٢٠٠٠ سنة »	□□
١٨	هنري الثامن: « اضرخوا النار فوراً فى هذه الاوراق الخطرة »	□□
٢٦	البصابت: « اقطعوا يده حتى لا يكتب مقالة اخرى »	□□
٣٦	شمارل الاول: « اليومية الكاملة تروى ابرز أحداث القرن السابع عشر »	□□
٤٤	جون آدامز: « هل يصود الرئيس الى قصره عاريا ؟ »	□□
٥٤	توماس جيفرسون: « حكومة بدون صحف أم صحف بدون حكومة »	□□
٦٠	بونابرت: « ايهما الأقوى .. الجيوش أم الصحافة ؟ »	□□
٧٨	واشنطن هاردنج: « هل مات الرئيس الأمريكى مقتولا ؟ »	□□
٨٤	أليسيو شيبانيك: « عندما ولدت حرية الصحافة »	□□
١٠٢	سهيلا: « لا .. ان الجرنالجية غير سواسية »	□□
١١٢	اسمهاميل: « رجل فعل الكثير .. ولكن ؟ ! »	□□
١١٨	عبد الحميد الثاني: « دولة الجرائد وسوء الماقة »	□□
١٣٦	ليمنين: « الدعاية والتنظيم الجماعى واثارة القلاقل والفوضى »	□□
١٥٠	أنتونيوك: « منقل الدردنيل والهجوم العاقل »	□□
١٦٠	فبصل الاول: « العهد الذهبى لا يدوم طويلا »	□□
١٦٨	أدولف هتار: « العصابة التى تفبرك الراى العام »	□□
١٧٨	موسولينى: « الدوتشى صحفيا .. ! »	□□
١٩٠	غاندى: « دستور للصحافة الشعبية »	□□
١٩٦	فرانكلين روزفانت: « رئيس جمهورية الصحفيين »	□□
٢٠٦	شارل دييجول: « سلاح خطير جدا .. تلك هى الصحافة السرية »	□□
٢١٢	ايزنهاور: « نصف لها .. ونصف عليها .. »	□□
٢٢٢	جون كنيدي: « السلم والتقدم بطريقة صحفية »	□□
٢٣٣	المراجع	□□

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٠/٤٨٤١

---

الترقيم الدولي ٣ - ١٥٦ - ٢٩٦ - ٩٧٧ ISBN

مطابع دار الشريعة بالقاهرة



□□ في هذا الكتاب « هم .. والصحافة » يجيب  
الدكتور « محمود إدهم » على الكثير من التساؤلات  
التي تدور حول طبيعة العلاقة بين رجال القمة  
السياسية وسيداتنا أيضا من ملوك وملكات وأباطرة  
ورؤساء جمهوريات وحكام .. وبين رجال القمة  
الصحفية .. ! أو بين هؤلاء من جانب وبين صحافة  
بلادهم من جانب آخر .. لأنها تتصل عن قرب  
بالتاريخ العام لدولهم . وبجياة هؤلاء .. وافكارهم  
.. ومواقفهم .. وبقوانين الاعلام في بلد وآخر ..  
وبالفنون الصحفية نفسها في نهاية الامر ..

□□ والكتاب بجانب كونه دراسة عميقة وجادة  
يلقى الضوء على العديد من القضايا والمواقف التي  
تواجه العاملين في بلاط صاحبة الجلالة الصحافة !!  
والدور الذي تؤديه الصحافة .. ويؤدي الصحفيون  
خدمة لاطسانهم ومجتمعاتهم .. بصرف النظر عن  
التزمات المتطرفة .. سياسية كانت .. أم صحفية ..

